ناجي علوش

الماركسيّة والمسألة اليهوديّة

دار الطليعة - بيروت

الطبعة الثالثة

الماركسية والمسألة اليهودية

ناجي علوش

الماركسية والمسألة اليهودية

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

بيروت ـ لبنان
ص.ب ١١١٨١٣
تلفون : ٣١٤٦٥٩
٣٠٩٤٧٠

الطبعة الاولى
شباط (فبراير) ١٩٦٩
الطبعة الثالثة
آب (أغسطس) ١٩٨٠

مقدمة الطبعة الثالثة

يطمح هذا الكتاب ، لان يطرح اكثر من قضية هامة . وهذه القضايا تتلخص بالتالي :

١ ــ الماركسية وموقفها من اليهودية ، ومن ثم الصهيونية .

٢ ــ الماركسية وموقفها من الكيان الصهيوني .

٣ ــ الموقف العربي العلمي والثوري من الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني .

ولقد صدر الكتاب اول مرة سنة ١٩٦٩ ، وكان لم يكتمل بعد . ذلك ان ظروفا خاصة أملت نشره بتلك الصيغة . ثم صدر مرة اخرى دون ان يكون ممكنا لي اعادة النظر فيه . وها هو يصدر مرة ثالثة . ولقد حاولت ان أعيد صياغته ، وانجزت تطوير بعض فصوله . ومع ذلك بقيت فيه ثغرتان ، الاولى : تطوير الفصل الخاص «باليسار» داخل الكيان الصهيوني ، ومنه الحركة الشيوعية عامة ، وراكاح خاصة . وهذا ما بذلت جهودا فيه ، ولكني لم أنجزه بعد ، بسبب ظروف التنقل وعدم الاستقرار ،

وصعوبة نقل المراجع . والثانية : تطورات الموقف السوفياتي ازاء الصهيونية عامة ، ويهود الاتحاد السوفياتي خاصة . هذا من جهة، ومن جهة اخرى : تطورات الموقف السوفياتي ازاء القــرار ٢٤٢ والتسوية . ولا شك ان هذين الجانبين هامان جدا ، ويستحقان الدراسة الشاملة .

ففي الجانب الاول ، انكشف موقـــف «اليسار العمالـــي» الصهيوني ، وبات واضحا موقف ما كان سابقا الماباي والمابام . انه على يمين الاممية الثانية ، وهو موقف قوى استعمارية فاشيـــة مرتبطة بالامبريالية عامة ، والاميركية خاصة . ولقـــد انشقت الحركة الشيوعية في فلسطين سنة ١٩٦٥ ، ليتكرس وجـــود حزبين ، اولهما : الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وهو حزب يهودي صهيوني ، يقف الى جانب القوى الحاكمة في القضايا الاساسية ، بما في ذلك قضية الاحتلال والامن وحقـــوق عرب فلسطين . وثانيهما : راكاح ، المكون من اكثرية من العرب واقلية من اليهود، والذي يطالب العرب بالاعتراف بحق «اسرائيـــل» في الوجود ، ضمن حدود معترف بها ، هي حدود ١٩٦٧ ، كما انه يدعو الـى الاعتراف بالحقوق القومية للاقلية العربيـــة في «اسرائيل» . والحزب يهاجم سياسة دولة «اسرائيل» العدوانية والتوسعية ، كما يندد دائما بارتباطها بالامبريالية الاميركية ؛ وينظم حمـــلات ضد الاعتداءات التي تقع على العرب .

ان راكاح مصنف لدى معظم القوى الديمقراطية العربية على انه حزب تقدمي . وهناك من يدعو على الصعيد العربـــي عامة ، والفلسطيني خاصة ، للتحالف معه . فهل نعتبر ذلك امرا مفروغا منه ، ونسير في الركب كما تسير القوى المختلفة ؟ ارى ان نقف هنا وقفة ، فنحلل نهج هذا الحزب ، ونحدد موقفنا منه علـــى اساس دراسته وفهمه .

انه يؤيد احتلال فلسطين ، ضمن اطار حدود الخامس من

حزيران ، ولا يقبل المناقشة في ذلك . القضية هنا مقضية . وكل ما يجب ان يقال يتلخص في رفض احتلال الضفة الغربية وغزة ، والمطالبة للعرب المقيمين في ظل الاحتلال بحقوق المواطنة ، وحقوق الاقلية القومية (١) . وينسى راكاح هنا عملية الاحتلال التي بدأت بالاستيطان ، ثم بعمليات الاحتلال والتهجير سنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ ، ثم بعدوان الخامس من حزيران . كما انه ينسى كل ما قبل احتلال الخامس من حزيران . واذا كانت حدود الخامس من حزيران هي حدود دولة «اسرائيل» ، فلماذا هذه الحدود ؟ وهل يرسم الخامس من حزيران بداية تاريخ جديد ؟ ثم كيف نطالب لشعب بحقوق أقلية قومية في ظل احتلال ، ونعطي لقوى غازية حقوقا قومية كاملة على ارض ليست لها . ان راكاح هنا لا يريد ان يعرف التاريخ ، ولا ان يلتزم بالماركسية ، ولا ان يهتدي بموضوعة ماركس : «ان شعبا يستعبد غيره من الشعوب لا يمكن ان يكون حرا» . وهو يلتزم بالحقوق القومية وحقوق تقرير المصير مقلوبة. ذلك ان الغزاة لهم حق تقرير المصير ، والحقوق القومية ، والشعب صاحب الحق حقوق اقلية قومية . وهنا يعود راكاح الى جذور الحركة الشيوعية في فلسطين : «الصهيونية البروليتارية» اسما، والانتهازية الفكرية والسياسية فعلا .

وهكذا نجد انفسنا امام مفارقة : الدفاع عن الاحتلال ، والدفاع عن حقوق الذين يقعون ضحيته ؛ تكريس القوى الغازية امة ، والمطالبة بحقوق الاقلية القومية لاصحاب الارض ، تجاهل العدوان الكبير، وتنظيم الحملات ضد الاعتداءات «الصغيرة». وقد دخل راكاح الى العالم السياسي عندنا من خلال ما يلي :

---

١ – يراجع في ذلك : أ – الحزب الشيوعي الاسرائيلي : المؤتمر الـ ١٥

ب – رؤوس الاقلام للمؤتمر الـ ١٦ للحزب الشيوعي الاسرائيلي ٣٠–١–٦٩

ج – الحزب الشيوعي الاسرائيلي المؤتمر الـ ١٨ .

١ ــ الانتماء السياسي ، ذلك أن القوى والاحزاب الشيوعية الملتقية مع خط الحزب الشيوعي السوفياتي ، تعتبر راكاح حزبا شقيقا ، وتتعامل معه على هذا الاساس .

٢ ــ تبنّي الاحزاب الشيوعية قرار ٢٤٢ ، ثم تبني موضوعة قيام دولة فلسطين الى جانب دولة الكيان الصهيوني . وهـــذا يجعل طرح راكاح يقع ضمن هذا الاطار .

٣ ــ تبنّي أنظمة وقوى عربية ، ومنها قـــوى فلسطينية ، القرار ٢٤٢ ، ثم فكرة قيام دولة فلسطينية ، الى جانب الكيان الصهيوني . ولما كان راكاح يتبنى هذا النهج ، فقد بات ملتقيا مع هذه القوى ، وصار حليفا لها .

٤ ــ تبنّي قيادة م.ت.ف هذا النهج وترويجها اياه .

وهكذا بات راكاح حليفا . على ماذا ؟ على الاعتراف بدولـــة الكيان الصهيوني ، والاعتراف بدولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة . وهو بهذا حليف قوى التسوية والاستسلام .

اما نحن فلا نقبل فكرة التحالف مع راكاح . لاننا لا نقبل فكرة قيام دولة صهيونية على ارضنا ، ولا نقبل بحقوق اقلية قومية في ظل احتلال صهيوني . وهكذا ، فاننا نرى كشف الجـــذور الصهيونية في هذا الطرح وتعريته تماما ، مقدرين لراكاح وقوفه ضد سياسة العدوان والتوسع ، ودفاعه عن حقوق المدن والقرى والافراد ، ولكن هذه ليست القضية الاساسية . ان القضيـــة الاساسية تتعلق بجوهر الموضوع ، وهو عملية الاستيطان ، وقيام دولة صهيونية على أنقاض شعبنا العربي ؟ وعلى ضوء تحديـــد راكاح موقفه من هذه القضية نحدد موقفنا منه . فاذا ما طوّر طرحه ، من محاربة الاعتداءات والانتهاكات الصغيرة الى محاربـــة العدوان الكبير : وجود الدولة الصهيونية والكيان الصهيوني ، قلنا له نعم ... هذا هو الطريق ، وعلى هذا يمكن ان نلتقي ، وسنكون دائما مستعدين للتحالف مع كل فرد او جهة ترفض وجود الدولة

الصهيونية ، وتقبل التعايش على اساس الاعتراف بحقوق العرب القومية في وطنهم . ونعتبر هذه الموضوعة محك التفريق بين الصهيونيين والثوريين ، بين الرجعيين والتقدميين ، وبين اصدقائنا وغيرهم .

وهنا نحن نختلف مع الذين يتحالفون مع راكاح من العرب عامة والفلسطينيين خاصة ، لانهم يعلنون الاعتراف بالوجود الصهيوني، ويعطون هذا الاعتراف مدلولاته الحسية ، من خلال هذه العلاقات التي تتغطى بمظاهر تقدمية ، وأمثال هؤلاء هم الذين صاروا يسمون الاممية الثانية من الاشتراكيين ، وهم الذين شن عليهم لينين والاممية الثالثة حملات لا ترحم ، لانهم يدافعون عن «برجوازيتهم» واستعمارها ومطامحها .

وحتى يتطور راكاح ، نظل مع نقد موقفه الفكري والسياسي، ومع كشف جذور هذا الموقف بلا تردد ، كما نظل مقدرين له وقوفه ضد التوسع والعدوان ، واهتمامه بقضايا التعذيب ونسف البيوت ومصادرة الاراضي ، وكل ما يكشف عنصرية الصهيونية، وارتباطها بالامبريالية الاميركية ، ولكن ليس اكثر من ذلك .

ان هذه الاطروحات ستستثير راكاح وحلفاءه العرب . لا بأس، ليس قصدنا الاستثارة ، ولا المهاترة ، ولا فتح جبهة على صعيد القوى الوطنية والديمقراطية . فنحن مع وحدتها ضد الامبريالية عامة ، والامبريالية الاميركية خاصة ، وضد الكيان الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية ، وضد القوى الرجعية العربية . ولكن وفي الوقت عينه مع خوض الصراع الفكري والسياسي لطرد التيارات التصفوية والاستسلامية ، ولتعزيز وحدة القوى الوطنية والثورية والديمقراطية . ومع ان لهذا العمل ازعاجاته واشكالاته. الا اننا معه ، ومع الوحدة ، معه ، ومع توسيع الجبهة المعادية لمعسكر العدو المشار اليه آنفا . ونرى ان هذا الصراع الفكري ضروري لاغناء حركتنا الثورية ، ولتصليب عودها ، وتطوير

قواها . ومن هنا فنحن لا نخشى الحوار ولا نخافه ، ونقبل من القوى ذات العلاقة ان تناقش آراءنا ، وأن تحدد موقفها منها . ونطالب كل القوى الوطنية والديمقراطية والثورية بخوض غمار هذا الحوار .

هذا في جانب ، وفي جانب آخر ، فان الموقف السوفياتي الفكري والسياسي له أثره الفاعل في مواقف مثل هذه القوى . ونستطيع ان نلمس تحولات هذا الموقف منذ سنة ١٩٤٧ حتى الان . ولقد بينت في الكتاب تحولات الموقف السوفياتي قبل ١٩٤٧ بشيء من التفصيل . وكذلك التحولات بعده نسبيا حتى ١٩٦٧ . ولم تتح لي الظروف ان اتناول الفترة اللاحقة . ولذلك سأشير هنا الى عدد من الظواهر والتحولات ، آملا ان اعود الى هذا الموضوع في وقت لاحق .

واود هنا ان اشير الى ما يلي :

اولا : أيّد السوفيات قيام دولتين عربية ويهودية سنة ١٩٤٧ ، ولكنهم ما لبثوا ان اعتبروا الامر الواقع الذي جرى تثبيته بعد ١٩٤٩ والذي أدى الى اتباع غزة لمصر ، وإلحاق الضفة الغربية بالاردن ، امرا واقعا مقبولا . وما عادوا يثيرون الموضوع جديا . وظل الامر كذلك حتى سنة ١٩٦٧ . وما لبث هذا الخط ان اخذ شكله القانوني في القرار ٢٤٢ الذي اعتبر الفلسطينيين لاجئين . وهكذا بات الشعار السوفياتي الاساسي ، بعد تشرين الثاني ١٩٦٧ ، المطالبة بتنفيذ القرار ٢٤٢ . واعتبر كل من يخرج على ذلك مغامرا . ولقد ظل الامر كذلك حتى توقيع اتفاقيتي كمب ديفيد ؛ مع شيء من التشديد والتخفيف .

ثانيا : بدأ تحول سوفياتي منذ سنة ١٩٧٠ ، قاد الى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، والى بدء الحديث عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وقد تبلور هذا التحول في المناداة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، وحقه في اقامة دولة مستقلة . وما لبث هذا التحول ان اخذ بعدا جديدا ،

بعد توقيع اتفاقيتي كمب ديفيد ، اذ توقف الحديث عن القرار ٢٤٢ . وكان هذا التحول متوازيا مع اتجاه م.ت.ف نحو التسوية، وتهافتها عليها .

ثالثا : صعّد اليهود السوفيات في هذه المرحلة صراعهم ضد السلطة السوفياتية ، فأخذوا يثيرون مشاكل داخلية ، ترافقها زوابع من الحملات الصهيونية والامبريالية المعادية للاتحاد السوفياتي [٢] . وقاد هذا الى فتح باب الهجرة ، والى تدفق اليهود السوفيات الى الخارج بأعداد متزايدة ، تحدثت عنها في فصل خاص من الكتاب . وهكذا باتت الهجرة هي الحل ، بعد ان كان يُرى في التمثل من جهة ، وبيرا بدزان من جهة اخرى . كما قاد نشاط اليهود السوفيات والحملات المؤيدة لهم في الخارج الى تصاعد الحملات السوفياتية ضد «اسرائيل» والصهيونية ، وصدور العديد من الكتب والابحاث الهامة [٣] .

رابعا : وكان الاتحاد السوفياتي من ١٩٥٥ حليفا لحركة التحرير العربية ، في كل صراعاتها مع الاستعمار القديم والامبريالية الجديدة . ولقد أمد القوى الوطنية والتقدمية والانظمة الوطنية بالاسلحة والمساعدات والقروض ، ووقف الى جانبها في الصراعات السياسية الكبرى مثل تأميم قناة السويس وحرب حزيران وحرب تشرين . وعلى الرغم من الخلافات التي كانت تنشب ما بين الحين والآخر ، الا ان الاتحاد السوفياتي لم يغير سياسته هذه ، حتى بعد ان قام انور السادات بانتهاج سياسة

---

2 — Foreign Affairs: William Korey, The Future of Soviet Jewry, pp. 67 - 81.

٣ — غزو بلا اسلحة ، المقدمة — منشورات اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

مناقضة لسياسة عبد الناصر ، فأبعد الخبراء السوفيات ، وضرب العلاقات المصرية ـ السوفياتية ، واتجه نحو الامبريالية الاميركية . كانت السياسة السوفياتية ، كل هذه المدة ، مع تحرر المنطقة ، واستقلالها السياسي والاقتصادي ، ولذلك كانت تلتقي مع مطامح شعوبها ، وان كانت هنالك نقاط خلاف هامة ، مثل الموقف من قضية فلسطين مثلا (الموافقة على التقسيم ، الموافقة على القرار ٢٤٢ الخ) .

ولما كان السوفيات حريصين على تحرر وطننا العربي ، ضمن اطار نظرة شاملة لتحرير العالم ، فان هذا يزيد من امكانيات اللقاء بيننا وبينهم . وان كان هذا لا يحول دون وجود نقاط الخلاف . فالسوفيات من الناحية النظرية يطرحون الشيوعية بديلا للراسمالية . وهم يعملون عمليا لانهاء اي أثر للامبريالية عامة ، والاميركية خاصة . وهذا النهج لا يتغير بالنسبة لهم ، وان كانت التكتيكات تختلف ما بين مرحلة واخرى ، وقطر وآخر ، ولما كان جوهر المسألة القومية بالنسبة لنا هو الصراع مع الامبريالية عامة ، والاميركية خاصة ، والصراع مع العدو الصهيوني والقوى العربية الرجعية ، فان ذلك يجعل بيننا وبينهم اكثر من نقطة لقاء ، ويطرح أرضية للتحالف . ويمكن ان يقوم التحالف على التالي :

١ ـ محاربة الامبريالية عامة والاميركية خاصة ، ومواجهة السياسات العدوانية الصهيونية . وهذا يتضمن الا نوافق نحن على اية سياسة سوفياتية تعترف بوجود كيان صهيوني ، كما يتضمن ان نأخذ بعين الاعتبار انهم حتى الان ليسوا في وضع يسمح لهم بتجاوز موقفهم الحالي في هذا الموضوع . وبالتالي نقبل هنا ان يظل الخلاف قائما ، وان نواصل الحوار معهم للوصول الى اتفاق على هذه النقطة ، وأن ندفع بزخم الصراع في منطقتنا الى الدرجة التي تؤدي الى تحول جوهري في الموقف السوفياتي. ان نقطة الضعف تكمن حتى الان في الموقف العربي فهو :

أ ـ ما زال لا يوفر مقومات الدفاع عن الوطن ، ولذلك فان المشكلة ليست مشكلة التقدم العربي لتصفية الدولة الصهيونية ، بل مشكلة التوسع الصهيوني . وما زالت الانظمة العربية ، كما كانت منذ سنة ١٩٤٧ ، عاجزة حتى عن دفاع فعّال .

ب ـ ما زال هناك العديد من القوى والانظمة التي تلعب أدوارا هامة في السياسة العربية ، والتي تؤيد الموقف السوفياتي . ولقد كانت هذه القوى محصورة في الاحزاب الشيوعية العربية ، فباتت منذ سنة ١٩٧٠ تضم احزابا وأنظمة عربية متعددة ، ومنها قيادة م.ت.ف وعدد من القوى الفلسطينية .

ولذلك فان الموقف الصحيح يتمثل في العمل من اجل وحدة الموقف العربي على أسس قومية صلبة ، وخوض الصراع مع الكيان الصهيوني ضمن اطار المعركة مع الامبريالية والرجعية ، والحوار مع السوفيات على النقاط المختلف عليها ، وشن الحملات النقدية على القوى الوطنية والتقدمية العربية التي تتبنى خط التسوية مع الكيان الصهيوني ، بأي شكل كان .

وهذا الموقف يضمن لنا ارساء التحالف على أسس واضحة ، والمحافظة على موقف مبدئي قومي سليم . وهو تحالف يختلف عن التحالف الذي تريده الاحزاب الشيوعية العربية على اساس الاطروحات السوفياتية .

٢ ـ النضال لتحقيق تحرر العرب واستقلالهم السياسي والاقتصادي . وهنا ايضا يوجد نقاط لقاء ونقاط خلاف ايضا . وتنحصر نقاط اللقاء في التقاء مبادىء السوفيات ومصالحهم مع تحرر وطننا ، وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي لشعبنا، ولكن هناك الكثير من الخلافات في التفاصيل . مثلا : هل العرب أمة ؟ ما دور القوى المختلفة على الصعيد العربي ؟ ولا بدع ان اختلفنا مع السوفيات على هذه القضايا ، لاننا مختلفون بعضنا مع بعضنا الآخر ، وما زال الخلاف حول القضايا الاساسية السمة

الغالبة في حياتنا السياسية . المشكلة هنا في الاساس مشكلتنا، وليست مشكلة السوفيات . وحين تضع الحركة القومية العربية برنامجها ، وتخوض صراعاتها ، لن تكون العقبة الكأداء امامها سوفياتية ، وقد اثبتت الاحداث ان الموقف السوفياتي في مثل هذه الحالة يكون قابلا للتطور ، وحتى للتحول .

ثم لا غرابة ان تبقى خلافات حول هذه القضايا . فهي قضايا لا تنتهي الخلافات فيها . واذا كان الحزب الواحد ، في الوطن الواحد ، يعاني ما يعاني من جراء هذه الخلافات ، فانه يكون من غير الطبيعي ان تنعدم الخلافات بين الحزب الشيوعي السوفياتي والحركة القومية العربية ، الثورية والديمقراطية .

وهذا يقتضي :

أ ـ ألا تنظر الحركة العربية الديمقراطية الشعبية نظرة طوباوية الى العلاقة مع الاتحاد السوفياتي ، فتطلب الانسجام التام في كل الخطوات ، وتعتبر اي خلاف فكري او سياسي غريبا ، لان هذه النظرية ذاتية ولا تقوم على اساس . والنظرة العلمية الموضوعية ، هي وحدها القادرة على فهم نقاط اللقاء ، ونقاط التعارض ، او حتى التناقض ، ومثل هذه النظرة وحدها ، هي القادرة على اقامة علاقات صحيحة ، قائمة على فهم حدود المطامح المتلاقية والمصالح المشتركة ، وقادرة في الوقت عينه على فهم حدود الخلافات .

ب ـ ان ينظر الاتحاد السوفياتي نظرة علمية وموضوعية الى حركة الثورة العربية ، فلا يقيّمها من خلال موقف احد الاحزاب الشيوعية العربية ، ولا حتى من خلال ضرورة تطابق مواقفها مع مواقف الحزب الشيوعي السوفياتي . فهي حركة قومية ديمقراطية شعبية ، الشيوعيون جزء منها ، وفصيلة من فصائلها ، وهي ليست بالتالي حزبا شيوعيا ، وما يجمعها مع الحزب الشيوعي السوفياتي مصالح ومطامح مشتركة ، في محاربة الامبريالية عامة ، والاميركية خاصة ، وفي النضال

من اجل التحرر السياسي والاقتصادي .

وتوافر هاتين النظرتين ضروري لتعميق التحالف وتوطيده ، وتجنيبه الكثير من العثرات .

ونحن مع تعميق التحالف وتوطيده ، لان لنا مصلحة فيه ، ولانه ضروري لانتصارنا . وهو ضروري للاتحاد السوفياتي وكل القوى المعادية للامبريالية . ولذلك يجب ان يكون الحرص عليه من واجبات حركتنا القومية الديمقراطية الشعبية ، ومن واجبات الاتحاد السوفياتي ايضا .

ان العرب في صراعهم مع الامبريالية عامة ، والاميركية خاصة، والكيان الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية ، والقوى العربية الرجعية ، بحاجة الى تحالف وطيد مع كل القوى المعادية للامبريالية ؛ ومنها الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية والاحزاب الشيوعية وحركات التحرر الوطني الثورية والديمقراطية ، وكل القوى العمالية والديمقراطية في العالم . وهم ليسوا بحاجة الى من يقاتل عنهم ، لانهم ان لم يستطيعوا القتال بأنفسهم ، فلن يصنعوا تحررهم . وبالتالي فان تحالفهم لا يعني الانتقاص من ارادتهم ، ولا النيل من استقلالهم ، بل يعني تعزيز عوامل قوة ارادتهم واستقلالهم .

ولهذا فان الحرص على التحالف مع الاتحاد السوفياتي ، لا يقوم على ضرورة الاتفاق في كل القضايا ، وعلى جميع الاصعدة . فهناك الان كثير من قضايا الخلاف ، وقد يبرز غدا غيرها ، ولكن هذا لا يمنع التحالف ، ولا يحول دون تعزيزه ، ولا يجوز لطرف من طرفي التحالف ان يهزه ، او يوقفه ، او يتحول الى العداء ، نتيجة خلاف على قضية او اكثر ، لان هناك حاجة ماسة لتوسيع الجبهة المعادية للامبريالية عامة ، والاميركية خاصة ، ولكل القوى الرجعية في كل مكان من العالم . ومن مهمة كل الثوريين والديمقراطيين ان يوسعوا هذه الجبهة ويوطدوها ، مهما كانت الخلافات بينهم .

ان هذا الكتاب يطمح الى المساهمة في طرح هذه القضايا ، ومناقشتها ، وهو اذ يطرح مواقف احزاب وأنظمة «ماركسية» من اليهود والصهيونية ، فلكـــي يشارك في السجال الفكــــري والسياسي . ومن هنا فهو يطرح وينقد ، الا انه يظل حريصا على وحدة الجبهة المعادية للامبريالية ، فلا يسقط في التعميم ، ولا يحوّل الاصدقاء الى اعداء ، ولا يلغي بطريقة تعسفية ما بين موقفنا وموقف الاصدقاء من فروق احيانا ، ومن تناقضات في احيان اخرى .

وهذا عائد في الاساس الى انني انطلق من منطلقين :

الاول : ان الامبريالية عامة والاميركية خاصة ، علـــى راس معسكر القوى المعادية لنا نحن العرب ، وهي قوى معادية لكل الامم المضطهَدة ، ولكل القوى الديمقراطية في العالم .

الثاني : ان الاتحاد السوفياتي ، والاحزاب الشيوعية، والقوى الديمقراطية والعمالية في الجبهة المعادية للامبريالية ، وبالتالـي فان هناك اساسا للتحالف ، مهما كانت الخلافات .

اننا نحن العرب نخوض معركة ضارية ، لا تستهدف اتباعنا فحسب ، بل تفتيتنا وتشويه شخصيتنا القومية ، وتحويلنا الى شيع متحاربة . والهدف ابقاؤنا متخلفين ، وتصفية قوى الثورة والوحدة والتقدم فينا ، ونحتاج لكي نواجه هذه الحرب الشرسة الى الجبهة الواسعة داخليا ، التي تضم كل القوى الوطنيــــة والديمقراطية ، كما نحتاج الى الجبهة الواسعة دوليا . واذا كان علينا ان نعمل كل ما نستطيع لضمان وحـــدة قوانا الوطنيـــة والديمقراطية ، ولتجنب اسباب التشرذم والتناحر ، فان علينا أن نهتم بذلك على الصعيد الدولي ايضا ، وبالدرجة عينها . واذا كانت الجبهة الداخلية هي اساس النصر ، فان الجبهة العالمية عامل هام فيه . وعلينا الا ننسى هذا العامل . وعلى كل الذين يفكرون جديا بخوض النضال ضد الامبريالية عموما ، والاميركية خصوصا، وضد الكيان الصهيوني والحركة الصهيونية العالمية ، وضد القوى

الرجعية العربية ، ان يفكروا بذلك جيدا ، لان مثل هذه الحرب الشرسة تتطلب حشد قوى شعبنا كلها ، وحشد قوى جبهة الاصدقاء .

ان هذه الملاحظات الاولية حول راكاح والعلاقات العربية السوفياتية ، اراها ضرورية ، خاصة وهناك من يحاول ان يجعل من راكاح حليفا ، كما ان هناك من يحاول ان يجعل الاتحاد السوفياتي عدوا من جهة ، ومن يريد ، من جهة اخرى ، ان يجعل الموقف السوفياتي موقفنا . ويدور هذا كله في الوقت الذي تستشرس فيه الامبريالية الاميركية من اجل السيطرة على وطننا ، وتتطاول القوى العربية الرجعية على الكرامة الوطنية ، في اندفاعها من اجل فرض تسوية مذلة وخيانية للقضية الفلسطينية ، وفي تكيفها مع مخططات الامبريالية الاميركية .

وهذا كله يتطلب موقفا موحدا صلبا ، وتحديد جبهة الاصدقاء والحلفاء ، وجبهة الاعداء بدقة ووعي ، وتجنب المواقف الطفولية او الخيالية .

آمل ان اكون قد أوضحت ما أريد قوله ، حول هاتين النقطتين ، واعد ان اعود اليهما ...

اوائل ايار ١٩٨٠ **ناجي علوش**

مقدمة الطبعة الأولى

يستهدف هذا البحث أمرين :

الاول : دراسة مواقف الماركسيين من الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني ، ابتداء بكارل ماركس وانتهاء بماركسيي اليوم .

الثاني : تحليل «اسرائيل» تحليلا ماركسيا ، أي على ضوء المنهج الماركسي في التحليل العلمي .

والغاية من هذا كله التوجه الى الماركسيين مباشرة ، في محاولة لمواجهة «اسرائيل» والحركة الصهيونية في ميدان هام ، من أهم ميادين الفكر السياسي العالمي الحديث . ذلك ان الماركسية ليست الفكر «الرسمي» لدول يزيد تعداد شعوبها عن مليار من البشر ، وتزداد اهميتها سياسيا وعسكريا وعلميا كل يوم ، فحسب ، بل هي ايضا ، عقيدة احزاب كبرى فعالة في مناطق اخرى من العالم . وعلى الرغم مما يثور حولها من نقاش ، ومن الانقسامات والخلافات التي تدب في صفوف المؤمنين بها ، فانها

اليوم توجه الاتجاه التقدمي في العلوم الاجتماعية ، وتقود قطاعات تـــزداد اتساعا مـــن الباحثين الاجتماعيين والسياسيين والاقتصاديين .

ويزيد من اهمية الماركسية انها عقيدة القوى الصاعدة فـــي العالم ، وأنها تقف اليوم نقيضا وبديلا للنظام الرأسمالي الـــذي ينحسر ظله عن هذا العالم .

لهذا كله ، فانني ارى من الضروري ان اقوم بهذه المهمـــة الصعبة .

غير اني أود ان أؤكد للقارىء العربي : ان ما نويت عمله لـــم يكن ، بأية حال من الاحوال ، كتابـــة تاريخ علاقة الماركسيـــة باليهود ، فذلك عمل موسوعي كبير ليس في قدرة فرد أن يقوم به ، لاسيما اذا كان لا يتقن الا لغة اجنبية واحدة . ولذلك لم أعمد الى تحليل متسلسل لمواقف كثير من الاحزاب الشيوعية الاوروبية من المسألة اليهودية ، ولم أحلل مواقف الاحزاب الشيوعية فـــي اوروبا الشرقية من المسألة ذاتها . واكتفيت حين عرضت مواقف الاتحاد السوفياتي ، ببعض المواقف والاجراءات التي تكفي شواهد ينطلق منها التحليل للوصول الى نتائج معينة .

وعلى الرغم من هذا ، فان الكتاب يعطي فكرة واضحة عـــن مواقف فئات الماركسيين المختلفة من «المسألة اليهودية» ، كمـــا انه يعطي صورة واضحة عن موقـــف الاتحاد السوفياتي مـــن الصهيونية واليهود .

ولما كان البحث الاول من نوعه بالعربية ، وكانت المكتبة العربية غير مزودة بالمراجع الاجنبية ، فقد وجدت صعوبة في الحصول على المراجع اللازمة ، واني لاشكر بعض العرب المقيمين فـــي الخارج ، وعلى رأسهم بسام طيبي ، وطارق اسماعيل علـــى المساعدة التي قدماها لي ...

كما اني أود ان اعتذر للقارىء العربي عن عدم خوضي فـــي مواضيع ذات علاقة بهذه الدراسة ، مثل الماركسية والمسألـــة

القومية ، واليهود والمسألة القومية ، وتاريخ اليهـــود في العصر الحديث ، واللاسامية والاشتراكية واليهود الخ ... ولقد اشرت لبعض المراجع المتعلقة بهذه المواضيع ، حيث رايت ذلك ضروريا، حتى أوفر للقارىء المعني امكانية اطلاع أوسع ...

وأود ان أذكر انني اضطررت لدفع هذا الكتاب الى المطبعة تحت ضغط ظروف غير عادية ، ولولا هذه الظروف لكنت تريثت في اصداره ، وأجريت تعديلات فيه .

ويهمني ان أعرف رأي القارىء في هذه المحاولة ، لكي اقوم بالتعديل اللازم على ضوء ملاحظاته ، اذا ما كان لهذا الكتاب ان يطبع طبعة ثانية .

المؤلف

بيروت ٢٥–١–١٩٦٩

اليهود ليسوا أمة

(١٨٤٤ — ١٩٤٧)

تمهيد

تمثل الماركسية اللينينية اليوم في ميدان السياسة.، وبالنسبة لقطاعات واسعة من البشر ، ايديولوجية الثورة الوطنية والطبقية، اي ايديولوجية الثورة الوطنية والبروليتارية الاشتراكية معا ، وهي تمثل في ميدان العلوم الاجتماعية المنهج الديالكتيكي في البحث والتحليل . وعليه ، فالماركسية ضد «اليهودية» سياسيا ، وضدها ايديولوجيا ؛ لان «اليهودية» ضد العلم والتحرر . الماركسية ايديولوجية التقدم والتغير ، اما اليهودية فهي ايديولوجية الثبات والتحجر .

لهذا فقد اصطدمت الماركسية باليهودية منذ البدء . ولقد كتب ماركس دراسته : «المسألة اليهودية» سنة ١٨٤٤ ، اي قبل صدور البيان الشيوعي بأربع سنوات . ولم يكن ما كتبه ماركس الا المناوشة الاولى مع الصهيونية ، اذ ان خلفاءه وجهوا ضربات قاصمة للصهيونية ، يهودية عصر الامبريالية ، ولم يتركوا اي نشاط «يهودي» دون ان يفتحوا النار عليه .

وسوف تتولى هذه الدراسة مهمة الكشف عن المعارك المختلفة التي خاضتها الماركسية مع «اليهودية» . وستأتي خلال ذلك على تبيان المراحل التي مر بها الفكر السياسي الماركسي في موقفه من «المسألة اليهودية» .

١ ـ ماركس والمسألة اليهودية

تكتسب دراسة ماركس : «المسألة اليهودية» (١) اهميتها من العاملين التاليين :

الاول : كونها جزء من التراث الماركسي ، وكونها بالتالي موقفا ماركسيا من المسألة اليهودية .

الثاني : طريقة طرحها للمسألة اليهودية .

فما هو موقف ماركس من المسألة اليهودية ؟ وكيف طرح هذه المسألة ؟

ان طريقة ماركس في طرح المسألة اليهودية ومناقشتها ، تحدد موقفه منها ، فهو يرفض ان يعتبر مشكلة اليهودي مشكلة دينية فقط . ويكشف خطأ «بوير» عندما يطرحها على هذا

---

١ ـ كارل ماركس ؛ المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيتاني . مكتبة المعارف ـ بيروت ١٩٥٢ .

الاساس ، مبينا ان بوير لا يرى المسألة الا من جانب واحد (٢) . ومارکس يرفض ان يقف هنا ، انه يذهب أبعد من ذلك ، غير مقتنع بأن تخلي «اليهودي عن اليهودية ، والانسان اجمالا عن الدين» يعني تحررا وطنيا ، وان «الالغاء السياسي للدين بمثابة الغاء كل دين» (٣) .

يبدأ ماركس معالجة القضية قائلا : «لم يكن كافيا التساؤل : من ينبغي له ان يحرر ، ومن الذي يجب ان يحرر ؟ فعلى النقد ان يطرح على نفسه سؤالا ثالثا : بأي نوع من انواع التحرر يتعلق الامر ؟ وأية شروط تقوم في جوهر التحرر المقتضى ؟» (٤) .

القضية ، في نظر ماركس اذن ، ليست مسألة مسيحي ويهودي . وليست مسألة من منهما يحرر الآخر كما طرحها بوير، بل مسألة مضمون التحرر ذاته .

والمسألة اليهودية لا تطرح بشكل مطلق ، بل «تطرح بصورة تختلف تبعا للدولة التي يعيش اليهودي في ظلها . ففي المانية ، حيث ليس ثمة دولة سياسية ، دولة من حيث هي دولة ، نرى ان المسألة اليهودية هي مسألة لاهوتية بحتة» (٥) . «اما في فرنسة، هذه الدولة الدستورية ، فالمسألة اليهودية ، هي مسألة النظام الدستوري ، مسألة نقص التحرر السياسي . ونظرا لانه يحتفظ في فرنسة بمظهر دين للدولة ، في شكل تافه متناقض ، فان وضع اليهود يحتفظ ، ازاء الدولة ، بمظهر تعارض ديني لاهوتي.

ولا تفقد المسألة اليهودية مدلولها اللاهوتي ، وتصبح مسألة

---

٢ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ص ١٣ .

٣ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ص ١٢ .

٤ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ص ١٣ .

٥ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ١٤ .

علمانية ، الا في دول اميركة الشمالية الحرة ، او على الاقل في بعض هذه الدول» (٦) .

فالمسألة اليهودية لا تتجاوز كونها مسألة لاهوتية ، الا عندما تتجاوز الدولة لاهوتيتها ، وتتحول الى دولة سياسية بالفعل (٧). وهذا التحول الذي يسميه ماركس التحرر السياسي ، هو تحرير «الدولة من الدين بتحررها من دين الدولة» (٨) . ولكن التحرير السياسي لليهودي او للمسيحي لا يعني تحرر الانسان . لان تحرر الدولة من الدين ، لا يعني تحرر الانسان منه . والانسان عندما يتحرر من الدين ، بالغاء دين الدولة ، لا يتحرر من الدين بل يبقي عليه ، ولكن دون ان يكون متميزا (٩) . والانسان في مثل هذه الحالة لا يكون قد تحرر من الدين ، بل تلقى حرية دينية (١٠).

يتم مثل هذا «التحرر السياسي» مع تحول الدولة من دولة لاهوتية ، وهي صيغة ناقصة للدولة ، الى دولة سياسية ، اي دولة برجوازية .

وهذا التحرر السياسي ، يعني : «تحويل الانسان من جهة الى عضو من اعضاء المجتمع البرجوازي ، الى فرد اناني مستقل، ومن جهة اخرى الى مواطن ، الى شخص معنوي» (١١) ؛ تتناقض حقوقه مع واقعه .

ان التحرر السياسي هذا يحقق مثالية الدولة ، ولكنه يحقق في الوقت ذاته مادية المجتمع ، وهو عندما يحول الانسان الى

---

٦ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

٧ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ١٥ ــ ١٦ .

٨ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

٩ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

١٠ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

١١ ــ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

«عضو في المجتمع البرجوازي» يجعله «فردا مفصولا عن المتحد، ومنطويا على ذاته، ومنشغلا فقط بمصلحته الشخصية، ومستجيبا لتحكمه الفردي» (١٢)، انه يجعله يهوديا.

من هنا استخلص ماركس هذه النتيجة «يجب، الا نبحث عن سر اليهودي في دينه، بل فلنبحث عن سر الدين في اليهودي الواقعي» (١٣)؛ ومضى باحثا عن «العنصر الاجتماعي الخاص اللازم لالغاء اليهودية» (١٤).

وعندما طرح ماركس على نفسه هذا السؤال: «ما هو الاساس الدنيوي لليهودية؟» اجاب عليه قائلا: «المصلحة العملية والمنفعة الشخصية». ولا يفتأ ماركس ان يصل الى هذه النتيجة: «اذن فالعهد الحاضر، بتحرره من المتاجرة والمال، وبالتالي من اليهودية الواقعية والعملية، انما يحرر نفسه ايضا» (١٥).

اليهودية اذن ليست منفصلة عن المجتمع، انما هي من صميمه، «ولقد عاشت ليس ضد التاريخ، وانما بالتاريخ» (١٦) «وانما ينسل المجتمع البرجوازي اليهودي من أعماق احشائه هو نفسه دون انقطاع» (١٧). «ولا تبلغ اليهودية ذروتها، الا مع اكتمال المجتمع البرجوازي» (١٨).

اما جوهر اليهودية في نظر ماركس فهو «المتاجرة وشروطها»

---

١٢ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٤٣.

١٣ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٥٥.

١٤ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٥٤.

١٥ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٥٥.

١٦ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٥٦.

١٧ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٥٧.

١٨ ـ كارل ماركس، المرجع السابق، ص ٦٢.

ايس الا ، هذه المتاجرة التي تجعل المال إلها «أمامه لا ينبغي لاي إله ان يعيش» . و«المال هو إله اسرائيل المطماع» . «السفتجة ، هذا هو الاله الحقيقي لليهودي» . ولكن هذا الاله لم يبق الهـا يهوديا ، «فلقد اصبح إله اليهود إلها دنيويـا ، وغدا الـه الناس» (١٩) . وعليه «فان قومية اليهودي الوهمية هي قوميـة التاجر ، قومية رجل المال» (٢٠) .

وحل ماركس للمسألة واضح : «فحين ينجح المجتمع فـي الغاء الجوهر العملي لليهودية ، المتاجرة وشروطها ، عندئذ يصبح وجود اليهودي مستحيلا ، ذلك لان ضميره لم تبق ثمة من حاجة اليه ، لان الاساس الذاتي لليهودية ، الحاجة العملية ، قد اتخذت شكلا انسانيا ، وذلك لان المنازعة بين الوجود الفردي والمحسوس للانسان ووجوده الاجتماعي قد الغيت .

التحرر الاجتماعي لليهودي ، انما هو تحرير المجتمع مـن اليهودية» (٢١) .

ان ماركس هنا يؤكد بصورة لا لبس فيها ، على ان تحـرر اليهودي مرهون بالقضاء على المجتمع الراسمالي ، وان هذا التحرر هو ليس تحررا لليهودي ، انما هو تحـرر للانسان . ومع أن ماركس كتب هذه الدراسة سنة ١٨٤٤ ، فليس في كتاباته التالية ما يدل على انه غيَّر موقفه من المسألة .

لقد عاصر ماركس نشاطات يهودية مختلفة ، استهدفت بعث التراث اليهودي ، كما استهدفت تجميع اليهـود في فلسطين ، وعلى الرغم من ذلك ، فانه لم ير في النشاطات اليهودية حركة

---

١٩ ـ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

٢٠ ـ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

٢١ ـ كارل ماركس ، المرجع السابق ، ص ٦٤ .

قومية . وبينما دعم الحركات القومية في ايرلندة وبولندة ، وأيَّد الوحدة القومية الالمانية والوحدة القومية الايطالية (٢٢) فانه لم ير في «اليهودية» الا قومية وهمية .

وتؤكد لنا دراسة ماركس مسألتين هامتين :

الاولى : ان المسألة اليهودية ليست مسألة قومية ، وأنها تعالج حسب الظروف المحيطة بها ، فهي في المانية غيرها في فرنسة ، وغيرها في بعض دول امريكة الشمالية .

الثانية : ان هذه المسألة تطورت من مسألة لاهوتية في عهود سيطرة الاقطاع ، الى مسألة سياسية في عهد صعود البرجوازية ، وأن حلها مرهون بحل مشكلة النظام البرجوازي : اي القضاء عليه . وبالقضاء على النظام البرجوازي لا يتم تحرير اليهود خاصة ، بل يتم تحرير المجتمع من اليهودية .

لقد اختار ماركس الخط المقابل لخط بوير : بوير يرى مشكلة اليهودي في دينه ، وماركس يرى مشكلة اليهودي في واقعه (٢٣) . واننا لا نعتقد بأن ماركس يضل السبيل عندما يركز على الواقع ، على البناء التحتي ، ولكن هذا لا يتعارض مع القول بأن واقع اليهودي غير منفصل عن دينه تاريخيا منذ الخروج حتى اليوم . واذا كان الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي هو منطلق الفكر عامة ، فيه ينمو ويترعرع ، فان الدين اليهودي ، الذي هو نتاج واقع اليهود ، ساهم في تحديد مكانهم وعلاقاتهم مع

---

٢٢ ــ مرقص الياس : الماركسية والشرق ، دار الطليعة ، كانون الاول ١٩٦٨ ، ص (١٠٥ ــ ١٤١) .

٢٣ ــ من المفيد قراءة : «حول المسألة اليهودية» باور ــ ماركس ، ترجمة الياس مرقص ، منشورات دار الحقيقة ، ومقدمة الترجمة جديرة بالدراسة ايضا.

جيرانهم في فلسطين وفي ارض الشتات ، منذ احتلال اريحـــا بقيادة يشوع ، حتى احتلال أريحا بقيادة دايان .

ان هذا البناء الفوقي لم يُعره ماركس اهتماما كافيا ، مع انه من الواضح جدا ان اي يهودي ما كان ممكنا ان يكون موجـــودا اليوم ، لولا الدين اليهودي (٢٤) . فاليهودي الروسي او الالماني او الفرنسي الذي لا يعرف العبرية ولا حتى اليديشية ، والذي لا يعرف الا لغةبلاده ولا يتقيد الا بتقاليدها، لماذا يعتبر نفسهيهوديا، ولماذا يتحمس للحركة الصهيونية وللكيان الصهيوني ؟ لا بد بالطبع من ان يكون السر في دينه ايضا .. هذا البناء الفوقي العتيق ، ولكن ذلك لا يعني ان أطروحة ماركس في ان «اليهودية بقيت ليس رغم التاريخ ، بل بالتاريخ» خطأ . انها عين الصواب . فالاديان لم تبق رغم التاريخ ، واليهودية منها .

ولقد دلت تجربة خمسين عاما من البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي ، انها لم تكن كافية لتحرير قسم كبير من اليهـــود

---

٢٤ ــ يفسر انجلس هذا الاهتمام الزائد بالبناء التحتي في رسالة كتبها الى بلوخ عام ١٨٩٠ جاء فيها : «ماركس وأنا ، نحمل جزئيا مسؤولية كون الشباب يعطون الجانب الاقتصادي وزنا اكبر مما يجب . ففي مواجهتنا لخصومنا كان علينا ان نؤكد المبدأ الاساسي الذي ينكرونه ، وفي هذه الحال لم نجد دائما الوقت والموضع والظرف الذي يتيح لنا اعطاء العوامل الاخرى التي تشترك في الفعل المتبادل مكانها . ولكن ما ان يجب علينا ان نقدم قطعة تاريخ حية (او شرحة تاريخ) اي ان ننتقل الى التطبيق العملي ، حتى كان الامر يتبدل ولا يبقى مجال للخطأ» . وقد أكد انجلس هذه الحقيقة اكثر من مرة . ماركس ــ انجلس المؤلفات المختارة . الطبعة الفرنسية ــ موسكو ص (٥٣٥ ــ ٥٣٧) ٥٤٤ . والياس مرقص : الماركسية والشرق ، دار الطليعة ــ الطبعة الاولى ، كانون الاول ١٩٦٨ ــ ص (٥٧ ــ ٥٩) .

السوفيات من يهوديتهم .

ولكن هذه الحقيقة لا تنفي موضوعة ماركس نفيا قاطعا .. انها تشير فقط الى اهمية البناء الفوقي ، والى تحوله الى واقـــــع موضوعي لا يزول بزوال الظروف التي أنتجته آليا ، انما يحتاج زواله الى عمل وتربية وزمن .

٢ ـ لينين والمسألة اليهودية

تطورت النشاطات السياسية اليهودية بعد ماركس تطورا كبيرا . ولقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر انعقاد اول مؤتمر صهيوني (بال ١٨٩٧) ، كما شهدت نشوء احزاب يهودية . وكان من هذه الاحزاب «الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا» ، او «البوند» الذي انشيء سنة ١٨٩٧ ايضا ، والذي انضم في اذار من سنة ١٨٩٨ الى «الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا» ، ولكنه طالب في المؤتمر الثاني للحزب المذكور ، باعتبار البوند الممثل الوحيد للعمال اليهود في روسيا ، وبقبول مبدأ تقسيم التنظيم الحزبي حسب القوميات . فلما رفض طلبه ، انشق البونديون على «الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي الروسي» . وقد عاد البونديون الى الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي ، بعد المؤتمر الرابع للحزب الذي عقد سنة ١٩٠٦ في استوكهولم ، وسمي مؤتمر الوحدة . وكان ممثلو البوند في هذا المؤتمر ثلاثة . وقد اشترك البوند ايضا في المؤتمر

الخامس للحزب المذكور ، المنعقد في لندن في ايار من سنة١٩٠٧ .

ظل الصراع ، على الرغم من الانتماء لحزب واحـــد احيانا ، شديدا بين حزب لينين من جهة ، وجماعة البوند من جهة اخرى. ولقد كانت اسباب الصراع عديدة ، ليس هنا محل ذكرها . الا ان اهم هذه الاسباب الاختلاف حول مسألة القوميات .

ظل هذا الصراع محتدما ، حتى حل البوند تنظيماته سنـــة ١٩٢١ . وقد انضم قسم منه الى الحزب الشيوعي السوفياتي بعد ذلك ، ولكن كثيرا من هؤلاء الذين انضموا الى الحزب الشيوعــي اصابتهم التصفيات بتهمة التخريب (١) .

فما هو جوهر الخلاف بين لينين والبوند وغيره من الاحزاب اليهودية حول مسألة القوميات ؟

كان البوند والاحزاب الاخرى يرفعون شعار الاستقلال الثقافي القومي الذاتي ، بينما كان لينين يرفع شعار : «حق الامم فـــي تقرير المصير» . وقد لا يبدو فرق بين الشعارين لاول وهلة ، ولكن معرفة مضمون كل منهما، يكشف الفرق الكبير بينهما. فالاستقلال الثقافي الذاتي يستهدف قيام وحدات قومية ثقافية ، تمثـــل القوميات والجماعات القومية المختلفة ضمن اطار الدولة الواحدة. ولا يكون للأمة او الجماعة القومية منظمة واحدة ، بل منظمـــات تتعدد بمقدار ما تتعدد التجمعات القومية . فاليهود في موسكو يدرسون باليديش مثلا ، والارمن بالارمنية الخ .. وحيث وجد يهود اصبح من الواجب تأمين الدراسة لهم بلغتهم وهكذا .. اما الشعار الآخر ، شعار حق الامم في تقرير مصيرها فيستهـــدف تحرير كل الامم المظلومة ، واقامة علاقات أخوية بينها ، مبنية على ضرورة وحدة الكادحين من ابناء هذه الامم ، من اجل تحررهم .

---

١ ــ لينين ، في القضية القومية ، ترجمة احسان سركيس (ص ٢٢ ــ ٢٣) . منشورات دار ابن الوليد ، ١٩٥٨ .

كان لينين يدعو لحرية تقرير المصير ويؤكد حق الانفصال ، ليكون ذلك طريق اتحاد الامم ، وليحقق اتحادا طوعيا حرا .. كان لينين يدعو لحق الانفصال ، ولكنه كان ضد الانفصال ، وكان يؤيد حق الامم المظلومة في بناء كيانها القومي ، ولكنه كان يقاوم اية روح قومية ضيقة متعصبة . لقد جعل لينين قضية الثورة الاشتراكية، فوق قضية الثورة الوطنية الديموقراطية ، ولكنه اراد ان تندمجا معا ، والا تقف الثانية عقبة في وجه الاولى .

ويمكن ان نوجز اسباب مقاومة لينين لشعار الاستقلال الثقافي القومي الذاتي بما يلي :

اولا : ان رفع هذا الشعار يقود الى تقسيم الامم ، وبالتالي الى تحطيم وحدة البروليتاريا فيها ، وتقريب البروليتاريا من كل قومية الى برجوازيتها . وهذا يعني سيادة البرجوازية فكريا وسياسيا (٢) .

ثانيا : كان لينين يرى ان اختلاط الامم وتمازجها خطوة تقدمية ، وان النكوص عنه خطوة الى الوراء . وقد انتقد الذين «يقيمون الدنيا ويقعدونها» ضد «التمثيلية» واصفا اياهم بأنهم : «انما هم اولئك اليهود الرجعيون التافهون الضيقو الافق الذين بريدون ان يعيدوا عجلة التاريخ الى وراء ، ان يجبروها على السير ، لا من النظام القائم في باريس ونيويورك بل بالاتجاه المعاكس» (٣) .

وهذا لا يعني ، ان لينين يؤيد «التمثل» بالعنف ، التمثل الذي تفرضه امة قوية على اخرى ضعيفة ، فهو ضد كل تمثل

---

٢ – لينين ، ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية ، دار التقدم ، موسكو ، ص ٨ و٣٧ .

٣ – لينين ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

قسري ، ولكنه يرى ان اختلاط الامم وتمازجها ، الذي نشاهده في المدن الصناعية مثلا ، والذي هو ثمرة لانتصار البرجوازية ، تقدم في اتجاه التاريخ .

ثالثا : لم يكن لينين يـرى ان «الاستقلال الثقافي غـير الاقليمي» الذي يؤيده البوند والاحزاب اليهودية الاخرى مفيدا او عمليا او قابلا للتطبيق . فهو لا يؤدي في نظر لينين : «الا الى امر واحد ، هو تقسيم العمل المدرسي حسب القوميات ، أي تشكيل طوائف قومية متباينة في العمل المدرسي» (٤) . ولقد جاء لينين بمثل ، ليثبت خطل شعار «الاستقلالي الثقافي غـير الاقليمي» . وهذا المثل مستقى من احصائيات المدارس في بطرس بورغ سنة ١٩١١ . تبين هذه الاحصاءات «ان المدارس الابتدائية التابعة لوزارة (التعليم) العام تضم ٤٨٠٧٦ تلميذا ، بينهم ٣٩٦ يهوديا ، اي أقل من واحد بالمائة . وتبين ايضا انه كان هناك تلميذان رومانيان وواحد جورجي وثلاثة أرمن ، الخ . .» ويتساءل لينين : «فهل من الممكن وضع برنامج قومي «ايجابي» يشمل هذا التنوع في العلاقات والظروف ؟ (هذا مع العلم ، طبعا، ان بطرس بورغ ليست أشد مدن روسيا «اختلاطا» من حيث القوميات) . يبدو حتى ان الاختصاصيين في «الحذلقات» القومية، كأصحابنا البونديين ، لا يستطيعون وضع مثل هذا البرنامج»(٥) .

واذا كان لينين ينكر تحقيق مثل هذا الشعار ، بالنسبة لامم يعترف بوجودها ، فمن باب أولى ان ينكره على جماعة لا يعتبرها أمة هي اليهود .

يقول لينين : «ان اليهود المقيمين في العالم المتمدن لا يشكلون أمة . فقد تمثلوا اكثر من غيرهم ، كما يقول كاوتسكي وباوير .

---

٤ ـ لينين ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

٥ ـ لينين ، المرجع السابق ، ص ٢٠ .

كذلك لا يشكل اليهود القاطنون في روسيا وغاليسيا امة ؛ فليسوا في هذين البلدين مع الاسف (لا لذنب منهم ، بل لذنب البوريشكيفتشيين) سوى فئة مغلقة معزولة . وهذا هو الرأي الثابت الذي يقول به اولئك الذين يعرفون التاريخ اليهودي يقين المعرفة ، ويأخذون بالحسبان الوقائع المذكورة أعلاه» (٦) .

اليهود ليسوا اذن امة في نظر اينين ، انهم في الغرب فئة متمثلة ، وفي روسيا وغاليسيا فئة مغلقة معزولة . وعليه ، فحق تقرير المصير الذي يناضل لينين من اجله ، حق لا يشمل اليهود .

ومنذ البدء لم يكن لينين مقتنعا بفكرة **«القومية اليهودية»** . ولقد هاجم هذه الدعوة ، وكان مما كتبه في «الايسكرا» جريدة الحزب المركزية سنة ١٩٠٣ :

«هي رجعية كليا ، لا عندما يدعو لها دعاتها «الصرحاء» (الصهيونيون) ، ولكنها كذلك عندما تنطلق من شفاه هؤلاء الذين يحاولون ان يمزجوها بأفكار الديمقراطية الاجتماعية (البونديون) . ان فكرة القومية اليهودية ضد مصالح البروليتاريا اليهودية ، لانها تروج في صفوفها ، مباشرة او بشكل غير مباشر ، روحا معادية للتمثل ، انها روح الغيتو» (٧) .

وكان لينين يصر دائما على ان : «الامة يجب ان تكون لها ارض تتطور عليها ، وفي زماننا على الاقل ، وحتى يوسع اتحاد عالمي

---

٦ ـ لينين ، المرجع السابق ، ص ١٩ .

7 — (a) Lenin: Collected Works, Vol. 7, p. 101, Progress Publishets, Moscow.

كونفدرالي هذه القاعدة ، يجب ان يكون للأمة لغة مشتركة» (٨) وكلا العاملين لا يتوافر لليهود .

لقد كان لينين يضع المسألة اليهودية ضمن الاطار العام لحركة البروليتارية ، فهو مع وحدة البروليتارية تنظيميا . والحل الذي يقترحه لليهود ، وللمسألة اليهودية ، نابع من موقفه من المسألة القومية . ولهذا كتب مشروع قرار الى مؤتمر الحزب الثالث ١٩٠٣ يقول فيه : «ويعبّر المؤتمر عن رغبته وقناعته العميقة في ضرورة الوحدة الكاملة الوثيقة بين الحركة العاملة اليهودية والحركة العاملة الروسية في روسيا ، على صعيد المبادىء ، وعلى صعيد التنظيم على حد سواء ، ويقرر اتخاذ جميع التدابير لاطلاع البروليتارية اليهودية بالتفصيل على قرار المؤتمر هذا ، وبصورة أعم ، على موقف الاشتراكية ـ الديمقراطية الروسية من كل حركة قومية» (٩) وحين لم يقدم مشروع القرار هذا الى المؤتمر ، قدم اضافة الى مشروع مارتوف حول القضية عينها ، لا تختلف من حيث المضمون (١٠) .

ولذلك شدد لينين على مهاجمة نزعات البوند القومية ، واتهم البونديين انهم «... يتبنون لحسابهم هذه الحماقات الصهيونية» (١١) .

وكان لينين شديد الاهتمام بقضية معاداة السامية . ولقد عرّفها مرة : انها «تسمية تطلق على كل عمل يهدف الى زرع

---

8 — Salo, Baron: The Russian Jew Under Tsars and Soviets, The Macmillan Company 1967, p. 205.

٩ ـ لينين : نصوص حول المسألة اليهودية . مختارات جديدة . دار الطليعة ـ بيروت ، ص ٢٤ .

١٠ ـ لينين : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

١١ ـ لينين : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

الحقد ضد اليهود» (١٢) ، واعتبر انها «... تمد جذورها على أعمق ما يكون بين الفئات المالكة» (١٣) . وحين اعتبر لينين وحدة البروليتارية اليهودية وغير اليهودية «ضرورية كل الضرورة» ، فانما ذلك لا لتحقق البروليتاريا بأسرع ما يمكن هدفها النهائي فحسب، بل انها ضرورية كل الضرورة ايضا «لنضال فعّال ضد اللاسامية، تلك الاثارة البغيضة للخصوصيات العرقية والتناحرات القومية من قبل الحكومة والطبقات المستغلة» (١٤) .

لقد شدد لينين على مقاومة معاداة السامية . ولم يكن يعتبر هذه المهمة مهمة البروليتارية اليهودية وحدها «بل على كل البروليتارية الروسية ان تشارك الى هذا الحد او ذاك ، في هذه الحرب الاهلية التي تدبرها الحكومة» (١٥) . ولذلك فان استعداد «الجزء الافضل من المثقفين والبرجوازيين اليهود» «لمقاومة العصابات المعادية للسامية» لا يكفي وحده ، لمواجهة المشكلة . لان «الوسيلة الرئيسية ...» من وجهة نظره «للنضال ضد اللاسامية، كما بوجه عام للنضال ضد القوى الرجعية ، هي التنوير الثوري للجماهير الشعبية ، وتنظيم عنصرها الطليعي : البروليتاريا»(١٦) .

وعلى الرغم من تشدده ضد معاداة السامية ، فانه كان يرى ان «الحركة الصهيونية تمثل تهديدا مباشرا لنمو التنظيم الطبقي للبروليتارية اكثر من اللاسامية» (١٧) . وهذه وجهة نظر لا يتطرق

---

١٢ – لينين : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

١٣ – لينين : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

١٤ – لينين : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

١٥ – لينين : حشد القوى الرجعية ومهماتنا : ايسكرا ١ حزيران ١٩٠٣ العدد ٤١ ، السنة الثالثة .

١٦ – لينين : المرجع السابق .

١٧ – لينين : المرجع السابق .

لها الماركسيون عامة ، والعرب خاصة ، ابدا . الصهيونية أخطر على البروليتارية من معاداة السامية ، وجهة نظر هامة جدا ، وتستحق كل اهتمام . واذا كانت قد طمست ، في العقود السابقة ، نتيجة لوجود محاولات لطمس الوعي الثوري البروليتاري ، وبسبب المآسي التي سببتها معاداة السامية خلال الحرب العالمية الثانية ، فانني ارى ضرورة طرحها ومناقشتها اليوم ... فلقد اثبتت الصهيونية انها تحمل أخطارا على السلام العالمي ، وعلى الاشتراكية والبروليتارية ، مثل خطر معاداة السامية .

هناك نقطتان تجدر الاشارة لهما في هذا المجال :

الاولى : ان لينين استخدم كلمة الامة اليهودية ، ثلاث مرات على الاقل ، بمعنى الامة . وان كان بنية ان ينفي وجود هذه الامة. وهو يطرح ذلك في سياق معارضة شعار الاستقلال الثقافي القومي . يقول في المرة الاولى : «ومن الواجب ان نقول الشيء نفسه عن الامة التي تعاني أشد الاضطهاد والظلم ، الامة اليهودية» (١٨) . انه هنا يتحدث عن وجود عناصر رجعية وأخرى تقدمية في كل ثقافة قومية ، بالنسبة لكل الشعوب. وقد جعل اليهود أمة كبقية الامم . ويقول في المرة الثانية : «فما من قومية روسية مضطهَدة ومظلومة كالأمة اليهودية» (١٩) . ويشير في المرة الثالثة الى العمال اليهود باعتبارهم قومية «محرومة من الحقوق جميعا» (٢٠) . واليهود هنا امة وقومية . وهذا يتعارض مع مضمون كل

---

١٨ ــ لينين : نصوص حول المسالة اليهودية ، ص ٥٨ .

١٩ ــ لينين : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

٢٠ ــ لينين : المرجع السابق ، ص ٤١ .

مقالاته ومساجلاته .

الثانية : ان لينين ضمَّن في برنامج الحزب استقلالية للعمال اليهود . وهو يقول : «ان الاستقلال الذاتي في النظام الداخلي لعام ١٨٩٨ يكفل للحركة العاملة اليهودية كل ما يمكن ان تحتاجه : الدعاية والتحريض باللغة اليديشية ، المنشورات والمؤتمرات ، تقديم مطالب خاصة في تطوير البرنامج الاشتراكي ـ الديمقراطي الواحد المشترك ، وتلبية الحاجات والمطالب المحلية الناجمة عن خصوصيات نمط الحياة اليهودية» . وهو يشير لذلك اكثر من مرة (٢١) .

ولكن هل يتناقض ذلكمع الخط العام الذي طرحه لينين؟ لا ابدا ... انه خط واضح متماسك ، مع وحدة البروليتارية ضد تقسيمها قوميا ، مع التمثل السائر باتجاه التاريخ ضد الانغلاق ، ومع اندماج اليهود ضد الصهيونية ، بكل اشكالها ، لا البرجوازية فحسب ، بل والبروليتارية ايضا ، ممثلة بالبوند ...

وعندما قامت ثورة اكتوبر الاشتراكية بقيادة لينين ، اعيد تنظيم الدولة السوفياتية ، وفقا للشعار الذي رفعه لينين : «حق الامم في تقرير المصير» . وكان «نداء السلام» الذي اعلنه لينين اول وثيقة تعبر عن هذا الاتجاه السياسي بعد الثورة مباشرة ، وقد رفض هذا البيان الضم القسري ، وأيَّد حق الامم في تقرير مصيرها (٢٢) .

وقد اعلنت حكومة العمال والفلاحين ، في الخامس عشر من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ، بيان حقوق شعوب روسيا الذي جاء

---

٢١ ـ لينين : المرجع السابق ، الصفحات : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٧ .

٢٢ ـ جون ريد ، عشرة ايام هزت العالم ، دار الطليعة ـ بيروت ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١ .

في جزء منه :

«ان مجلس مفوضي الشعب قد صمم ان يؤسس نشاطاته ، فيما يتعلق بمسألة القوميات في روسيا على المبادىء التالية :

١ ــ مساواة شعوب روسيا وسيادتها .

٢ ــ حق شعوب روسيا بحرية حق تقرير المصير ، بما فيه الانفصال وتكوين دولة مستقلة .

٣ ــ ازالة كل الامتيازات والقيود القومية والدينية .

٤ ــ التطور الحر للاقليات القومية والجماعات الاثنية التي تقطن الاتحاد السوفياتي (٢٣) .

كانت السياسة الجديدة تمثل وجهة النظر اللينينية في المسألة القومية : حق تقرير المصير ، الذي يتضمن حق الانفصال وان لم يكن محبذا . وكان انفصال فنلندة في أوائل كانون الاول بحضور ستالين ، وبقرار وقعه لينين وستالين معا خير تعبير عن هذه السياسة (٢٤) .

واجتمع ، في الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٨ ، ستة من اليهود الشيوعيين ، وطالبوا بتعيين واحد منهم ، هو ديمانشتاين Dimanshtain ، مفوضا لليهود . واقد صدر قرار تعيينه مفوضا بعد يومين . وفي اليوم الواحد والعشرين من الشهر ذاته ترأس المفوض الجديد اجتماعا عاما ضئيلا ، حضره عدد من اعضاء البوند والاحزاب الاخرى . وقد استقبل بهتافات معادية مثل «يا بيروقراطي اليهود» و«يا رقيب اليهود» . وكان مما

---

23 — I. Pisarev: The Population in U.S.S.R Progress Publishers, Moscow, p. 62 - 63.

٢٤ ــ الياس مرقص ، مسألة القوميات في الاتحاد السوفياتي ، مجلة دراسات عربية ، السنة الاولى العدد الخامس ص ٢٦ .

قاله ديمانشتاين : «اننا — كأمميين — لا نسعى وراء أي مطالب قومية خاصة ، ولكننا نسعى وراء برامج بروليتارية فقط» .

وبعد ان أسس ثلاثة عشر فرعا في الاقاليم ، عقد المؤتمر الاول في العشرين من اكتوبر سنة ١٩١٨ ، وضم واحدا وثلاثين شيوعيا ، وثلاثة وثلاثين مندوبا منتقى ، وقد أصدر المؤتمر قرارا جاء فيه :

«ان كل المؤسسات العاملة في الحي اليهودي ، مثل الجمعيات Communities وغيرها ، لم يعد لها مكان بعد الان في حياتنا .. وكل هذه المؤسسات والمنظمات مضرة بالمصالح الاساسية للجماهير اليهودية الواسعة ، التي يسكنونها بالاغنيات «الحلوة» للديمقراطية اليهودية المزعومة . ويستند العامل اليهودي على انتصار البروليتاريا خلال ثورة اكتوبر . وهو يقبض على السلطة بيديه ، ويعلن دكتاتورية البروليتاريا ضمن المجتمع اليهودي» .

وصدر ، في حزيران من سنة ١٩١٩ ، قرار وقعه اجورسكي وستالين مفوض القوميات ، حلت بموجبه المنظمات الملية اليهودية، على اساس انها تستقطب أعداء الثورة ، وتبث روحا غير عمالية.

وبينما تبنت الدولة سياسة تجميع اليهود في مناطق يستطيعون تكوين أغلبية فيها ، كان القادة الرسميون اليهود يزدادون اقتناعا ، بأن اليهود ، خارج هذه المناطق ، سيتمثلون ان آجلا او عاجلا .

وابتداء من سنة١٩٢١ ، اخذت تنشأ مجالس شعبية يهودية، حيث توجد تجمعات يهودية . ولكن اليهود الذين كانوا يشاركون في انتخابات مثل هذه المجالس ، لم يزيدوا عن ١٤ بالمائة من المجموع . وفي سنة ١٩٢٠ تحولت مفوضية اليهود الى دائرة تابعة الى مفوضية شؤون القوميات .

ومع وضوح آراء لينين بصدد التمثل من جهة ، والتحرر القومي من جهة اخرى ، فان الخطوات التي بدات في عهده من اجل فصل اليهود عن المجتمعات السوفياتية المندمجين فيها ،

او انشاء انواع من الادارات الذاتية لهم ، في ظل الحكم السوفياتي ، لم تكن منسجمة مع فلسفة لينين . فلينين كان واضحا : انه مع التمثل عندما يكون هنالك اختلاط بين الشعوب، ومع التحرر عندما يكون هنالك شعب يستعبد شعبا آخر . ولما كان اليهود في روسيا ما بعد الثورة ليسوا شعبا ، وليسوا قومية، ولم تكن لهم هوية سياسية او اجتماعية محددة ، فقد كان واجبا ان يطبق عليهم مبدأ التمثل اللينيني .. وهذا ما حاول بعض الشيوعيين من اليهود ان يتجاوزه ـ كما سنرى ـ ولكنهم فشلوا، لاسباب تتعلق باليهود من جهة ، واخرى تتعلق بالنظام السوفياتي من جهة ثانية .

ولكن ما حدث بالنسبة لليهود ، بعد ثورة أكتوبر ، وخلال العهد اللينيني ١٩١٧ ـ ١٩٢٤ يمكن أن يفسر بعاملين :

الاول : ان التمثل الذي كان يتحدث عنه لينين هو تمثل طوعي اساسا ، اي ليس تمثلا مفروضا بالقوة . ومن هنا لم يكن منسجما مع مبادىء لينين فرض انصهار قسري على اليهود او غيرهم .

الثاني : ان الحكم البلشفي لجأ بعد ثورة أكتوبر الى تنمية القوميات التي كانت خاضعة للامبراطورية الروسية ، سياسيا وثقافيا . وفي مثل هذا الجو جرى العمل على بعث قوميات شبه منقرضة وعلى انشاء جمهوريات وحكومات لشعوب شرقية متخلفة مثل التتر والبشكير والقرغيز . وأعلن ستالين في المؤتمر العاشر للحزب سنة ١٩٢١ : «ان الحزب الماركسي اذ يؤمن (برسوخ الامم واللغات القومية) فهو (ينبذ سياسة التمثل والدمج القومي نبذا تاما باعتبارها سياسة معادية للشعب ، ومعادية للثورة) »(٢٥) .

وكان اليهود من جملة الجماعات التي حاولت الدولة الجديدة

---

٢٥ ـ المرجع السابق .

ان تتيح لها فرصة النمو قوميا ، ضمن الدولة الاشتراكية .

ولكن هل كان اليهود أمة ؟

لقد اجاب لينين على هذا السؤال بالنفي . وأجاب ستالين عليه بالنفي ايضا . ومع هذا فقد جرت محاولة لاعتبار اليهود أمة ، ولاعطائهم الحق الذي أعطي للامم الاخرى : حق الوجود القومي ، ضمن بعض الحدود الخاصة ، الناتجة عن عدم تجمعهم في تكتل بشري واحد .

٣ ــ موقف الاممية الثالثة

ان موقف الاممية الثالثة ولجنتها التنفيذية من انشاء حزب شيوعي في فلسطين ، ومن اتجاه هذا الحزب قضية تستحق الاهتمام . ذلك ان الاممية الثالثة كانت حريصة على رفض التعامل مع الاحزاب التي تحمل أفكارا صهيونية ، وتصر على استقلالية التنظيم الحزبي والنقابي اليهودي ، وعلى رفض فكرة الهجرة الى فلسطين .

كان ذلك واضحا في التقرير الذي قدمه لينين الى المؤتمر الثاني للاممية الثالثة (١٧ تموز ــ ٧ آب ١٩٢٠) جاء في هذا التقرير «... وكمثال صارخ على عملية الخداع هذه التي تمارسها على الطبقة العاملة في البلدان المضطهَدة ، قوى الحلفاء الاستعمارية وبرجوازيات هذه البلدان ، نذكر مشروع الصهاينة في فلسطين حيث تعمل الصهيونية ــ بحجة انشاء دولة يهودية في فلسطين التي يشكل اليهود نسبة لا تذكر من سكانها ــ على اخضاع السكان الاصليين من الكادحين العرب لنير الاستغلال

الانجليزي» . ويضيف النص : «ان اتحاد الجمهوريات السوفياتية هو السبيل الوحيد الى خلاص القوميات المستضعفة والمقهورة في الوضع العالمي الراهن» (١) . وكانت أستيرفروكلين ، مندوبة الفرع اليهودي للحزب الشيوعي الروسي، عضو البوند سابقا، ومايرزون موفد حزب العمال الاشتراكي في فلسطين ، قد شنا هجوما عنيفا على الصهيونية باعتبارها : «أكذوبة لا مثيل لها في التاريخ» (٢) .

ولقد تأكد هذا الموقف في مؤتمر باكو لشعوب الشرق (ايلول ١٩٢٠) . فقد أدان بيان المؤتمر الحركة الصهيونية باعتبارها حركة استعمارية استيطانية وأداة للاستعمار البريطاني . وكان المكتب المركزي للفروع اليهودية في الحزب الشيوعي السوفياتي قد قدّم وثيقة، بينما قدم البوعالي تسيون وثيقة اخرى واليهود الجبليون وثيقة ثالثة . وتم تبني بيان الفروع اليهودية ، بعد ادخال تعديلات عليه . وجاء في هذا البيان :

«ما الذي تقدمه بريطانيا لفلسطين ، ارضاء لحفنة من الراسماليين اليهود والانكليز ، طردت العرب من اراضيهم ومنحتها للمستوطنين اليهود . ولكي تؤمّن ، في الوقت ذاته ، متنفسا لتذمر العرب ، سلّطتهم على المستعمرات اليهودية التي انشأتها هي بنفسها ، زارعة الخلاف والتذمر والبغضاء بين جميع القبائل، مضعفة كلا الطرفين لكي تنفرد هي بالسيطرة» (٣) .

---

١ ــ فواز طرابلسي : الاممية الشيوعية وقضية فلسطين : كتاب مجلة دراسات عربية ، دار الطليعة ، ص ٦٧ .

٢ ــ احمد فرحان : الاممية الثالثة وعروبة فلسطين ، الكاتب الفلسطيني العدد ٤ آب ١٩٧٨ ، ص ٢٤ .

٣ ــ فواز طرابلسي : مؤتمر شعوب الشرق ، ترجمة فواز طرابلسي . دار الطليعة (ص ٢٤٠ ــ ٢٤١) والمرجع السابق ص ٦٧ ــ ٦٨ .

وحين طلب البوعالي‌تسيون الانضمام الـى الاممية الثالثة ، طرحت الاممية الثالثة موقفها بوضوح . كان ممثل عن حــــزب العمال الاشتراكي في فلسطين قد سافر الى موسكو ليقدم طلبا بالانضمام الى الاممية الثالثة . ويرجح بأن هذا الموفد يدعــى مايرزون ، الذي حضر مؤتمر الاتحاد العالمي (اليساري) في فيينا، والذي حذر في خطابه امام المؤتمر من : «النتائج الخطيرة التي من الممكن ان تنبع من السياسة الصهيونية ، سياسة التعاون مــع الحكم الاستعماري ، ضد جماهير الشعب العربي في فلسطين» وطالب باتحاد العمال اليهود مع العمال العرب .

وحاول المندوب ان يقنع الاممية الثالثة التي عقدت لجنتهـا التنفيذية في ايلول اجتماعا لمناقشة طلب الانضمام ، «بأن الحزب الذي يمثله هو في الحقيقة الحزب الشيوعي في فلسطين ومصر، وانه قد تبنى ، ولاسباب تكتيكية بحتة ، اسم الحزب الذي كان يوجد سابقا في فلسطين ، حزب «البوعالي تسيون» ، بعد أن تخلى عن كلمة «يهودي» . وان الحزب الحالي لا يجمعه اي قاسم مشترك مع الحزب القومي القديم ، حزب «البوعالي تسيون» . ثم حاول ان يقنع اللجنة التنفيذية بأن الحزب الذي يمثله : «يعمل بين صفوف الجماهير الكادحة اليهودية والعربية في فلسطين ... وعليه ان يناضل لتخطي صعوبات كبيرة تواجهه من اهمها قضية حذر المواطنين العرب من نشاطات العمال اليهود» . واضاف «أن جماهير العمال العرب تشكل الاغلبية العظمى من الجماهير الواقعة تحت تأثير الحزب، بينما غالبية منظمي‌الحزب (كوادره) تتشكل من العمال اليهود» .

ولكن اللجنة التنفيذية للامية الثالثة لم تقتنع بسلامة انضمام الحزب المذكور اليها . ولذلك اتخذت قرارا في دورتها المنعقدة في ٢١ــ٩ــ١٩٢٠ (٤) جاء فيه : «ان اللجنة التنفيذية للامميــــة

---

٤ ــ فواز طرابلسي : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

الشيوعية ، في الوقت الذي تؤكد فيه على قرارها السابق بخصوص حزب البوعالي تسيون ، لتحيي انبثاق فجر الحركة الثورية في فلسطين ، وتقترح على حزب العمال الاشتراكي (بوعالي تسيون) في فلسطين ما يلي : اولا ، وقبل كل شيء ، دراسة مقررات المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية والعمل على تطبيقها ، وخاصة ما يتعلق منها بشروط الانضمام الى الاممية الشيوعية (الشروط الاحدى والعشرون) (٥) . ثانيا ، تغيير اسم الحزب ، وبعد ذلك سيكون بالامكان مناقشة قضية انضمام الحزب الى صفوف الاممية الشيوعية» (٦) .

ولقد دعت اللجنة التنفيذية مندوبا عن البوعالي تسيون لحضور مؤتمرها الثالث (٢٢ حزيران ــ ٢١ تموز ١٩٢١) باعتباره مراقبا (بصفة استشارية) . وكانت قيادة الحزب (الاتحاد العالمي) قد أعدت مذكرة لتقديمها الى اللجنة التنفيذية قبل انعقاد المؤتمر الثالث ، تقوم على الاسس التالية : أ ــ تحليل اشكالية الوضع اليهودي ، ب ــ ان هذه الاشكالية تؤدي الى الفقر والهجرة . وبالتالي فان المذكرة تقترح على اللجنة التنفيذية للاممية ان تستوعب الاممية الثالثة فروع البوعالي تسيون لاهتمامها : «بالمهام الهادفة الى تلبية الحاجات الخصوصية للجماهير اليهودية كتأمين انتقالها الى المرافق الانتاجية ، وتنظيم هجرتها وتمركزها خصوصا في فلسطين ، وتلبية حاجاتها الثقافية» .

---

٥ ــ بيانات وموضوعات ومقررات الاممية الشيوعية : المؤتمران الاول والثاني ١٩١٩ ــ ١٩٢٠ ، النصوص الكاملة ص ١٤٨ ــ ١٥٤ .

٦ ــ ماهر الشريف : محاولة اولية للتعرف على حيثيات العملية التاريخية لولادة الحزب الشيوعي في فلسطين ١ و٢ شؤون فلسطينية العدد ٨٠ و٨١ الصفحات ٩٧ ــ ١١٤ و٢١٢ ــ ٢٤١ .

وقررت قيادة البوعالي تسيون ان تنظم حملة دعاوية على اساس هذه المذكرة ، هدفها تعريف الاحزاب الشيوعية الاعضاء في الاممية «بظروف التطور التاريخي للاتحاد العالمي ، وبمضمون برنامجه ، وبطبيعة المهام المطروحة امامه حاليا» .

وعقد الحزب مؤتمره الثالث ، وكان يدعى آنذاك حزب العمال الاشتراكي العبري ، بمدينة يافا ما بين ٢٢ و٢٥ نيسان ١٩٢١ . واتخذ المؤتمر قرارا بتغيير اسمه الى «الحزب الشيوعي اليهودي: بوعالي تسيون» . واعتبر انه ينشىء الفرع القومي اليهودي الذي سيكون ، مع الفرع العربي ، الحزب الشيوعي في فلسطين . وكان الهدف من ذلك التهيؤ للانضمام الى الاممية الثالثة ، وتطبيق بعض شروطها . ولكن المؤتمر أكد مساندته للاتحاد العالمي (اليساري) باعتباره : «المنظمة القيادية الوحيدة لجميع الشيوعيين اليهود» ، وطالب بضرورة تشكيل الاحزاب الشيوعية على اساس مبدأ الفروع القومية . وهذا ما كانت ترفضه الاممية الشيوعية. ولقد أقر المؤتمر شروط الانتساب الى الاممية الشيوعية ، مشترطا ان توافق «قيادة الاممية الشيوعية على استمرار تواجد الاتحاد العالمي (اليساري) كممثل لجميع الشيوعيين اليهود في العالم» . وكان من مقررات المؤتمر ايضا دعوة اعضاء البوعالي تسيون باسم «الانضباط الشيوعي» بالهجرة الى فلسطين لتقوية الفرع «الضعيف والملاحق» فيها .

وكانت هذه الافكار تعبيرا عن الصراعات الداخلية في البوعالي تسيون ، بين اكثرية صهيونية وأقلية شيوعية .

وكانت الاتصالات مستمرة بين قيادة الحزب والاممية الشيوعية ، خلال هذه الفترة . وكانت الاممية تتابع نشاطات الحزب . ولذلك نشرت اللجنة التنفيذية للاممية في صحيفتها خبرا عن انعقاد المؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي في فلسطين. فأشارت الصحيفة بأن هذا الحزب سيقبل في الاممية باعتباره

فرعا يهوديا للحزب الشيوعي في فلسطين . وبناء على ذلك كله حضر ممثلان عن الحزب الشيوعي اليهودي المؤتمر الثالث للاممية ، وأعلن كارل راديك امين سر اللجنة التنفيذية يوم ٢٥ـ٦ـ١٩٢١ في المؤتمر ، وباسم لجنة مراقبة العضوية السماح لمراقبين من الصين وتركستان ومنغوليا وفلسطين ، على الرغم من عدم وجود احزاب شيوعية فيها ، على اساس ان «التطور الكبير للحركة الثورية في هذه البلدان يتيح لنا الفرصة للسماح لممثلي الحركات الثورية في هذه البلدان ، بالاشتراك ، بصوت استشاري في اعمال المؤتمر ...» . وكان راديك مكلفا بدراسة مذكرة الحزب الشيوعي ، فأبلغ المؤتمر انه ووفق على حضور الحزب المذكور باعتباره مراقبا ، لانه طلب الانضمام الى الاممية . ثم اعلن راديك رفض الموافقة على شروط الانضمام التي جاءت في المذكرة لسببين الاول : عدم الموافقة على الهجرة الى فلسطين . والثاني : لعدم القناعة بضرورة «تأسيس اتحاد عالمي للعمال اليهود يعمل على ضمان المصالح الخصوصية للبروليتارية اليهودية» . وأشار راديك بتكوين لجنة خاصة لمفاوضة البوعالي تسيون . وكان زينوفييف قد طرح قضية البوعالي تسيون في تقريره العام امام المؤتمر ، وطلب من المؤتمر البت فيه . الا ان تيراشيني احد قادة الحزب الشيوعي الايطالي اعترض على حضور البوعالي تسيون لعدم استيفائه شروط العضوية ، وانتقد تناقض اللجنة التنفيذية في موقفها من الاحزاب اليهودية . قال : «لقد سمح للصهاينة بحضور المؤتمر بصوت استشاري ، علما بأنهم لا يستوفون الشروط الاولية للانضمام الى الكومنترن التي تنص على اشتراك جميع العمال ، بما فيهم العمال اليهود ، في حزب شيوعي واحد ، في البلد الواحد . يجب طرح هذا الشرط على الصهاينة بشكل حازم ، وعدم منحهم حق التصويت قبل استيفائه» (٧) .

---

٧ ـ فواز طرابلسي : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

اجتمعت اللجنة التنفيذية للاممية في ٢١ـ٧ـ١٩٢١ ، وناقشت قضية انضمام البوعالي تسيون . وقد اتفقت على التالي: أ ـ تشكيل لجنة ثلاثية للمفاوضات ، ب ـ تحديد الشروط المسبقة التي تنطلق منها اللجنة في المفاوضات . وهذه الشروط هي : «١ ـ يجب على البوعالي تسيون ان يحذف من برنامجه ، وقبل كل شيء ، البند المتعلق بهجرة اليهود الى فلسطين . ٢ ـ يجب حل الاتحاد العالمي للبوعالي تسيون . ٣ ـ يجب على فروع البوعالي تسيون الانضمام ، كوحدات يهودية ، الى فروع الاممية الشيوعية» (٨) .

وكان طبيعيا ان تفشل المفاوضات بين الطرفين ، لان الشروط التي وضعتها الاممية الثالثة كانت تمس قضيتين اساسيتين من المبادىء الاساسية للبوعالي تسيون : الهجرة الى فلسطين ، ووجود الاتحاد العالمي المستقل وفروعه المستقلة .

وما لبثت اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة ان اصدرت بيانا في آب ١٩٢١ ، تحدد فيه خلافها مع اليسار الصهيوني ، جاء فيه حول القضية الفلسطينية : ان فكرة تجميع جماهير العمال اليهود في فلسطين ، بهدف خلق الاساس اللازم لتحررهم المادي والاجتماعي ، هي فكرة طوباوية ، واصلاحية ، ستؤدي في النهاية الى نتائج مضادة للثورة ، وذلك بسبب المشروع الكولونيالي ، الذي تهدف الى تحقيقه ، والذي سيساعد على تقوية مواقع الامبريالية البريطانية في فلسطين» (٩) .

ومع ذلك فان اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة «لم تيأس .

---

٨ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق .

٩ ـ احمد فرحان : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

وبادرت الى ارسال مذكرة الى قيادة الاتحاد العالمي تطرح فيها قضايا محددة وعملية ، وأول هذه القضايا ان يدعو الاتحاد العام الى مؤتمر عام ، خلال خمسة اشهر ، من اجل ان يحل نفسه ، لتنضم فروعه الى فروع الاممية ، وأن توافق قيادة الاتحاد العالمي بلا تحفظ «على موضوعات المؤتمرين الثاني والثالث للاممية الشيوعية . وأن تقطع تماما كافة الروابط التي تربطها بالاتجاهات والاطروحات الصهيونية . وأن تعارض الاتجاهات الاستيطانية اليهودية في فلسطين ، المسخرة اساسا لخدمة مصالح الامبريالية الانجليزية» .

واشادت مذكرة اللجنة التنفيذية بالجهود التي بذلها البوعالي تسيون من اجل وضع أسس حركة شيوعية في فلسطين ، سيكون بامكانها ، في حال موافقتها التامة على شروط الاممية الثالثة ، ان تكون الفرع الممثل لها . ووعدت اللجنة التنفيذية ان تقوم ، في حال موافقة البوعالي تسيون على شروطها ، بانشاء اجهزة خاصة تهتم بقضايا اليهود داخل الاحزاب الشيوعية الاعضاء فيها ، وان تكوّن «مكتبا للقضايا اليهودية» تابعا لها مباشرة (١٠) .

وافقت قيادة البوعالي تسيون على فكرة المؤتمر . ولكنها طلبت لقاء جديدا مع اللجنة التنفيذية لبحث القضايا المستجدة . ولم تتلكأ اللجنة التنفيذية في ذلك ، فعقد لقاء لم يسفر عن شيء، قررت اللجنة التنفيذية على اثره ان تصدر بيانا توضح فيه الامور كلها . وقد صدر البيان ، فأشار الى الاجتماع الاخير الذي تم ، والذي ضم وفدا يمثل البوعالي تسيون (اثنان عن الاكثرية ــ وواحد عن الاقلية) ولجنة خاصة من اللجنة التنفيذية . وذكر

---

١٠ ــ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

البيان ان ممثلي الاغلبية في وفد البوعالي تسيون اقترحا احد أمرين : فإما ان يحل الاتحاد العالمي نفسه ، وتنضم فروعه الى فروع الاممية ، باعتبارها أجنحة يهودية ، يجمعها برنامج عمل واحد ، على ان يتضمن البرنامج اشارة واضحة الى المشروع الفلسطيني، او ان يستمر الاتحاد العالمي كما هو مستقلا، وينضم الى الاممية الشيوعية باعتباره «حزب نصير» ، شريطة ان تلغي اللجنة التنفيذية «ادانتها للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين» . ولذلك يقول البيان : «ان اللجنة قررت ان تحسم الموضوع بلا مماطلة» . وأشار البيان الى وجود أقلية في البوعالي تسيون تدعم وجهة نظر اللجنة التنفيذية ، وان كان هؤلاء لم يعبئوا بحزم دفاعا عن افكارهم خلال التحضير لمؤتمر الاتحاد العالمي . وطالب البيان جماهير العمال اليهود بموقف ثوري واضح ، معلنا ثقته : «بأنه وعلى الرغم من معارضة قادة البوعالي تسيون ، الذين يدافعون ، كما في السابق ، عن برنامجهم الطوباوي الرجعي بخصوص فلسطين ، فان العمال المنضوين تحت لواء الاتحاد العالمي سيجدون طريقهم الى الاممية الشيوعية ، مهما كانت القرارات التي ستتخذها اغلبية المندوبين خلال الكونغرس العالمي» (١١) .

اخذت قيادة البوعالي تسيون تعد للمؤتمر ، فطردت ممثلي الاقلية ، وعقدت المؤتمر في دانزيغ Dantzig خلال حزيران سنة ١٩٢٢ . وقد قرر المؤتمر : «على الرغم من ارادة حركتنا القوية بالانضمام الى الاممية الشيوعية ، فانها ترفض بصورة قاطعة وبالاجماع متطلبات الاممية الشيوعية غير المشروعة ، وتعلن بأن الاتحاد العالمي للبوعالي تسيون الشيوعي لن ينضم الى الاممية الشيوعية ، على الصعيد التنظيمي ، الا على قاعدة برنامج واضح

---

١١ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

يأخذ باعتباره شروط حياة وتواجد الجماهير العمالية اليهودية».

اصدرت اللجنة التنفيذية بيانا في ٢٥ تموز ١٩٢٢ ، موجها الى جميع عمال العالم ، والى البروليتارية اليهودية ترد فيه على قرار البوعالي تسيون ، وتعتبر «ان الفكرة الفلسطينية التي تهدف الى صرف أنظار الجماهير العمالية اليهودية عن الصراع الطبقي ، ليست سوى فكرة برجوازية — صغيرة ورجعية» . ودعت اللجنة التنفيذية في بيانها فروعها الى خوض «صراع حازم ضد العناصر البرجوازية الصغيرة اليهودية ، وطالبتها بدعم جناح الاقلية داخل الاتحاد العالمي للبوعالي تسيون، ليتمكن من تطبيق شروط الانضمام الى الاممية الشيوعية» . وكشفت اللجنة في بيانها انها ستدعو الى اجتماع عام لممثلي المجموعات اليهودية المنتسبة ، او التي ستنتسب اليها ، لدراسة اقامة مكتب دعاية يكون مرتبطا بها (١٢).

استمر الصراع داخل الحزب في فلسطين ، بين ممثلي الاغلبية والاقلية . وقد تقارب الطرفان بعد اشهر ، وعقدا مؤتمرا في التاسع من تموز ١٩٢٣ ، انتخب لجنة مركزية من ثمانية اعضاء ، خمسة عن الاغلبية ، وثلاثة عن الاقلية ، وبات اسم الحزب ، الحزب الشيوعي الفلسطيني . وقد أدان هذا المؤتمر الحركة الصهيونية ، وطالب جماهير العمال اليهود ، بالنضال ضدها ، واعتبرها رسول الاستعمار البريطاني . كما حدد المؤتمر موقفا من الحركة القومية العربية في فلسطين جاء فيه : «نرى في الحركة القومية العربية احد العوامل الاساسية التي تقاوم الاستعمار البريطاني . ولذا فنحن نعتقد انه من واجبنا القيام بكل شيء من اجل مساندة هذه الحركة ، بمدى مقاومتها للاستعمار» .

ارسلت قيادة الحزب الشيوعي «دانييل W. Auerbach» ، الى

---

١٢ — فواز طرابلسي : المرجع السابق ، ص ٧٠ ، اهم فقرات البيان .

اللجنة التنفيذية في ايلول سنة ١٩٢٣ ، للتفاوض معها حول انضمام الحزب . وقد وصل موسكو في كانون الثاني ١٩٢٤ . وجرت مفاوضات بينه وبين راديك ، استمرت حتى اذار ، وافقت الاممية بنتيجتها على قبول الحزب . ولقد اعرب راديك لدانييل «عن قناعته بأن مستقبل الحزب الشيوعي في فلسطين سيتعلق بمدى قدرته على التحول الى «حزب قطري» . واكد قرار اللجنة التنفيذية «بأن على الحزب الفتي ان يسعى لاقامة صلات وثيقة مع اوسع الجماهير العربية ، بغية تحول الحزب من منظمة للعمال اليهود الى حزب قطري فعلي . ودعت اللجنة التنفيذية الشيوعيين في فلسطين لدعم نضال حركة التحرر الوطني العربية السكان العرب ضد الاحتلال البريطاني ـ الصهيوني» (١٣) .

وكان راديك قد أبلغ قادة الحزب قبل مؤتمر تموز ١٩٢٤ «بأن نجاح الحزب يعتمد على تحوله الى حزب جماهيري عربي» (١٤) .

لن أتابع هنا قضية التعريب ، لان موضعها في مكان آخر من هذا الكتاب . ولكني سأشير الى واقعتين هامتين ، تتعلقان بالاممية ، وموقفها من الصهيونية ، وعمل الحزب الشيوعي في فلسطين :

الاولى : وقفة الاممية عند أحداث ١٩٢٩ ، وخلافها مع خط الحزب الشيوعي الفلسطيني في موقفه من انتفاضة ١٩٢٩ . كان الحزب كما سنبين يهاجم الاستعمار البريطاني والقيادة الاصلاحية العربية ، ويدعو الى وحدة العمال العرب واليهود ، ويسمي حوادث ١٩٢٨ و١٩٢٩ مذابح صغيرة ضد اليهود وحمامات دم

---

١٣ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، وفواز طرابلسي: المرجع السابق ص ٧٠ ـ ٧١ .

١٤ ـ هاني حوراني : قراءة في سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني (مجلة حيفا ، ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦) ، شؤون فلسطينية العدد ٥٨ ، حزيران ١٩٧٦ ص١٤٥ .

الخ .. ولقد كان الموقف من البرجوازية في الحزب الشيوعي الفلسطيني موقف مؤتمر الكومنترن السادس المنعقد سنة ١٩٢٨ . الا ان اللجنة التنفيذية للاممية (ECCI) طلبت في اواخر ايلول من الحزب تصحيح موقفه من انتفاضة آب ١٩٢٩ . وأصدرت السكرتارية السياسية قرارا حول «الحركة الانتفاضية في المشرق العربي» بتاريخ ١٦–١٠–١٩٢٩ . وكان ان دعت اللجنة المركزية الى جلسة موسعة لبحث تعليمات الكومنترن . ولقد اعترف الحزب : «بالجذور الاجتماعية العميقة» للحركة العربية وبطابعها الريفي» . وأدان الاتجاهات الانتهازية اليمينية التي حافظت على التحليل السابق ، وقرر تطهير نفسه من الانهزاميين وشدد على ضرورة التعريب (١٥) ولقد اضطرت اللجنة التنفيذية ان تعين قيادة للحزب سنة ١٩٣٠ .

وتشير الدراسة التي نشرت في موسكو سنة ١٩٢٩ حول انتفاضة ١٩٢٩ الى تفهم حقيقي لما كان يجري في فلسطين في اوساط الكومنترن (١٦) ، كما تدل دراسة اخرى نشرت في موسكو عن انتفاضة ١٩٣٣ (١٧) على مثل ذلك .

الثانية : موقف الاممية من أحداث ١٩٣٦ . لقد كان استمرارا للموقف من ثورة ١٩٢٩ . وتشير دراسة نشرت سنة ١٩٣٦ عنوانها «الوضع في فلسطين» الى الاحاطة بطبيعة الثورة . فالشعب العربي لا يستطيع : «الا ان يثور ضد العدوان الصهيوني

---

١٥ – فواز طرابلسي : المرجع السابق ، ص ٧١ – ٧٦ .

١٦ – موسى خليل : الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩١٥ – ١٩٤٨ ، شؤون فلسطينية ، العدد ٣٩ ، ص ١١٨ .

١٧ – شليستر : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين ، ترجمة رياض يونس عن مجلة Agrar Problem موسكو مجلد ٣ و٤ – ١٩٢٩ . انظر دراسات عربية السنة السادسة ، العدد ١٠ آب ١٩٧٠ ، ص ٢ .

والهجرة المستقبلية المنظمة من قبل الصهيونيين لمصلحة الاستعمار البريطاني ، والتي تهدد حتى وجود الشعب العربي الفلسطيني في بلاده» . وتشير الدراسة الى ان ما يجــــري في فلسطين «... حرب ثورية حقيقية فريدة من نوعها ، في هذه الحــرب يناضل الشعب العربي الفلسطيني من اجل أبسط الحقـــوق المعيشية وحق الوجود ، يناضل ضد جريمة امبريالية صهيونية بشعة ، من الممكن ان تنفذ بعدة أشكال مختلفة ، ليس كالعدوان الايطالي على اثيوبيا او العدوان الياباني على منشوريا ، بل فـــي أشكال اطول زمنا وأكثر بطئا ، والتي تأتي بعواقبها على فلسطين، اكثر تهديدا ، لانها تشدد من قبضة النير الامبريالي ، والاستغلال وبالطرد من البلاد» .

ولعل أهم ما في الدراسة نقطتان : ١ ـ الاشارة الى الذين لا يفرقون بين وضع اليهود في فلسطين ووضع «الاقلية القومية اليهودية في روسيا العنصرية السابقة وفي المانيا الهتلرية او في بولونيا ...» وانه من السهل ان يقع هؤلاء بالخطأ اذا ما قارنوا ما يجري في فلسطين ، بما كان يجري هناك . وتضيف الدراسة: ان «هؤلاء الناس لا يكلفون انفسهم عناء أدراك النضال ضـــد الامبريالية في فلسطين ، وان النضال الثوري للجماهير موجه ، وسوف يبقى موجها ليس فقط ضد مواقع الشرطة والجيش ، بل وضد المستعمرات الصهيونية ، التي أقيمت على تلك الارض ، والتي كانت في السنين الاخيرة منتزعة بالقوة ، وبأقسى أشكال الوحشية ، ضد الفلاحين العرب» .

٢ ـ نقد مواقف جماعة حيدر وبيرغر وغيرهم «من الجماعات الشوفينية التي وقفت خلال الانتفاضة العامة عام ١٩٢٩ مواقف معادية للشعب» (١٨) .

---

١٨ ـ ر. فيتول : الوضع في فلسطين ، مجلة الشرق الثائر ، العـــدد الرابع ، ١٩٣٦ .

لقد كانت الاممية ، ومنذ ١٩٢٠ ، ضد الحركة الصهيونية في فلسطين ، ضد الهجرة واقامة وطن قومي .. كما كانت ، وهـذا الاهم، ضد اقامة حزب شيوعي يهودي ، أو سيطرة اليهود على الحركة الشيوعية . ولم يكن في موقف الاممية اي تردد او تذبذب ولا مهادنة . وهو موقف نأمل ان تساعد الظروف على نشر كل وثائقه لاهميتها لنا ، وللحركة الشيوعية العالمية . وكان الموقف اللينيني في هذه الفترة مسيطرا، مما كان يعني نضال البروليتارية الموحد ضد النزعات القومية الرجعية ، وحل المسألة اليهوديـة ضمن اطار الحركة الاشتراكية الديمقراطية ، وليس ضمن اطار الحركة البرجوازية .

٤ ــ تروتسكي : ضد الانفصالية اليهودية

كان تروتسكي يهوديا ، ولكنه كان ، حتى صعود الموجة النازية ضد يهود المانيا ، ضد الروح الانفصالية اليهودية . وقد أوضح موقفه هذا في مؤتمر حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي المنعقد في تموز ١٩٠٣ . كانت المناسبة اثارة مطالب البوند . وقد اتفق جماعة الايسكرا على ان يرد اليهود منهم على جماعة البوند . وكان مارتوف ، احد مؤسسي البوند ، بادىء الهجوم ، نيابة عن جماعة الايسكرا ، وتبعه تروتسكي ، فتحدث نيابة عن جماعة الايسكرا ذوي الاصل اليهودي ، واقذع في مهاجمة البونديين ، وتفنيد مطالبهم حتى استثار غضبهم ، واضطرهم الى طلب الحماية من رئيس الجلسة . وكان مما قاله تروتسكي : «ان ما هو مطروح اكثر من قضية يهودية ، ان البوند بمطالبته بالاستقلال الذاتي ضمن الحزب ، على ان يكون له حق انتخاب لجنته المركزية ، كان في الواقع يقدم السابقة للآخرين . واذا ما اعطى الحزب مثل هذا الامتياز للبوند ، لا يستطيع ان يرفض الطلبات المماثلة للجماعات الاخرى . وعليه عندئذ ان يهمل فكرة التنظيم المتكامل ، وأن يحول نفسه الى اتحاد من الاحزاب والجماعات ...» .

واعتبر تروتسكي ان طلب البوند ، باعتباره الوكالة الوحيدة الممثلة لليهود ، دليل على «الانفصالية اليهودية» التي يرفض

الحزب الخضوع لها ، والتي ينبثق منها المطلب الآخر للبوند : «الاستقلال الذاتي الثقافي» . وكان تروتسكي يرى ان الاشتراكية معنية بالعصف بالحواجز القائمة بين الاجناس والاديان والقوميات، ولا تستطيع ان تحرك يدها من اجل وضع مثل هذه الحواجز .

وآمن تروتسكي ، مثل مارتوف واكسلرود وغيرهما من الاشتراكيين ذوي الاصل اليهودي ، بتمثل اليهود ، وكان يعتقد اعتقادا جازما بأنه ليس هنالك من مستقبل لليهود باعتبارهم مجتمعا منفصلا . وحل المشكلة اليهودية ، في نظر تروتسكي ، «ليس في تأسيس دولة ، وليس في تأسيس دول يهودية ضمن دول اخرى غير يهودية ، ولكن في اعادة تركيب المجتمع تركيبا أمميا متماسكا» .

وقد هاجم تروتسكي الحركة الصهيونية ، كما هاجم البوند . وكان المقال الذي كتبه في العدد ٥٦ من الايسكرا الصادر بتاريخ ١ يناير سنة ١٩٠٤ ، يحوي هجوما قاسيا على الصهيونية ، ويتهمها بالافلاس . غير ان آراء تروتسكي هذه التي تمسك بها كل حياته ؛ تعرضت لهزة بعد الجرائم التي ارتكبتها النازية ضد اليهود ؛ فقد خفف هجومه على الصهيونية ، وعدّل في مقابلة أجرتها معه صحيفة «الى الامام» اليهودية الامريكية عن اعتقاده بفكرة تمثل اليهود ، التي كان يعمل من اجلها ، ويأمل ان تتحقق. ولكنه اكد في هذه المقابلة ايضا : «بأن الصهيونية بذاتها سوف لا تحل المشكلة ، وقد يكون ، حتى في ظل الاشتراكية، من الضروري لليهود ان يقيموا على ارض منفصلة» (١) .

---

1 — Isaac Deutsher, The Prophet Armed, OXF. University Press, London P. 75.

Isaac Deutscher, The Prophet Outcast, (1929 - 1940) OXF . Uni. Press, 1963 P. 154, 368 - 9.

٥ ـــ ستالين : لا أمة يهودية

كتب ي. ستالين سنة ١٩١٣ دراسته المشهورة : «الماركسية والمسألة الوطنية» التي ناقش فيها القضية القومية مناقشة وافية. وتعتبر هذه الدراسة من مراجع الماركسية الاساسية في المسألة القومية . وما يهمنا في هذه الدراسة الان ، هو موقف ستالين فيها من المسألة اليهودية ، نظريا وعمليا .

لقد استفاض ستالين ، كما فعل لينين ، في مناقشة البوند والاحزاب اليهودية الاخرى في هذه الدراسة ، لانه لم يكن معنيا بطرح مفهوم نظري من القضية القومية ، بمقدار ما كان معنيا بتحديد موقف سياسي من مطالب الجماعات والاحزاب القومية المختلفة ، وعلى رأسها البوند .

ونستطيع أن نعرف موقف ستالين من المسألة اليهودية ، وادعاء وجود أمة ، من مراجعة تعريفه للأمة . فالامة ، في نظر ستالين :

«هي جامعة أناس ثابتة تألفت تاريخيا ، نشأت على اساس

اللغة والارض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية التي تتجلى في جامعة الثقافة» (١) .

وهذا التعريف الواضح ينفي نفيا قاطعا امكانية وجود أمة يهودية ، لعدم توافر كل الشروط الواردة فيه لليهود . فاليهود ليسوا جامعة أناس ثابتة ، ولا تربطهم جامعة لغة وأرض وحياة اقتصادية وخصائص نفسية . انهم أشتات من الناس ، يتكلمون لغات مختلفة ، ويقطنون بلدانا مختلفة ، ويختلفون في خصائصهم النفسية اختلاف الخصائص النفسية عند الامم التي يعايشونها.

وكان طبيعيا ان يصل ستالين ، انطلاقا من هذا التعريف ، الى عدم اعتبار اليهود أمة .

ويرد ستالين على باور الذي يعتبر اليهود أمة قائلا :

«يتكلم باور عن اليهود بوصفهم أمة ، مع انهم «لا يملكون البتة لغة مشتركة» ، ولكن اية «جامعة مصير» ، وأي ترابط وطني يمكن التحدث عن وجودهما ، مثلا ، عند اليهود الجورجيين والداغستانيين والروس والامريكان الذين يعيشون منفصلين بعضهم عن بعض كل الانفصال ، والذين يقطنون اراضٍ مختلفة ، ويتكلمون بلغات مختلفة ؟

ان اليهود المذكورين يحيون بلا شك حياة اقتصادية وسياسية عامة ، مع الجورجيين والداغستانيين والروس والامريكان ، وفي جو ثقافي عام مع هؤلاء . وليس باستطاعة هذا ألا يترك سمته الخاصة على طابعهم الوطني ، واذا بقي لدى هؤلاء شيء عام فهو الدين ، وأصلهم المشترك ، وبعض بقايا الطابع الوطني ، كل هذا لا ريب فيه . ولكن كيف يمكن الكلام جديا عن ان الطقوس الدينية الجامدة ، والبقايا البسيكولوجية المتبخرة تؤثر على «مصير» اليهود المذكورين تأثيرا اقوى من تأثير الوسط الاجتماعي —

---

١ — ستالين ، الماركسية والمسألة الوطنية ، دار التقدم ، موسكو ، ص١١ .

الاقتصادي والثقافي الحي الذي يحيط بهم : فعلى افتراض كهذا فقط يمكن الكلام عن اليهود بوجه عام بوصفهم امة واحدة» (٢) .

ويعود ستالين في القسم (٥) من دراسته هذه المعنون : «البوند قوميته وانفصاليته» الى هذه الحقيقة ، محاولا ان يزيد من ايضاحها ؛ عن طريق نقض افكار باور او تطويرها . وهو هنا يرى ان اعتقاد باور باستحالة بقاء اليهود أمة لانهم «لا يملكون منطقة محددة للاستيطان» «صحيح من حيث الجوهر» ، «ولكنه لا يعبر عن كل الحقيقة ، فالقضية ، قبل كل شيء ، هي ان اليهود لا يملكون فئة واسعة مستقرة ، مرتبطة بالارض ، توطد الامة توطيدا طبيعيا ، ليس فقط كعمودها الفقري ، بل كذلك كسوقها الوطني . من الخمسة او الستة ملايين من اليهود الروس ٣ او ٤ في المائة فقط مرتبطون بشكل ما بالزراعة . وال ٩٦ في المائة من الباقين مشغولون بالتجارة والصناعة وفي مؤسسات المدن ، ويعيشون في المدن بوجه عام ، وعلاوة على ذلك فهم مبعثرون في روسيا ، ولا يشكلون الاكثرية في اي مقاطعة كانت »» (٣) .

واستغرب ستالين طلب الاستقلال الذاتي لليهود ، على اعتبار انهم أمة «لا يزال وجودها بحاجة الى الاثبات» (٤) .

ولم يفت على ستالين ان يكشف العلاقة بين المناداة بالاستقلال الذاتي الثقافي القومي وبين وضع اليهود . فهذا الشعار ملائم جدا لليهود المشتتين ، «لان من غير الممكن ــ كما يقول ستالين ــ حتى ان يدور الحديث عن استقلال ذاتي سياسي اقليمي لليهود،

---

٢ ــ ستالين ، المرجع السابق ، ص ١٥ .

٣ ــ ستالين ، المرجع السابق ، ص ٥٧ .

٤ ــ ستالين ، المرجع السابق ، ص ٥٨ .

بسبب ان هؤلاء لا يملكون اراضٍ كاملة محددة» (٥) .

وكان ستالين ، منذ البدء ، منسجما مع لينين في مواقفه النظرية والسياسية من البوند والاحزاب اليهودية الاخرى ، ومن مطالب هذه الاحزاب المتعلقة بالمسألة القومية ، وعلى رأسها موضوع الاستقلال الذاتي الثقافي القومي، ولم يكن هنالك اختلاف في المنطلقات او المبررات .

أصبح ستالين مفوضا لشؤون القوميات بعد ثورة أكتوبر . وقد مرت المسألة القومية بتطورات مختلفة خلال المرحلة التي كان فيها يحتل هذا المنصب . وقد اشرت الى التطورات التي طرأت على اليهود عند الحديث عن موقف لينين من المسألة اليهودية . وكان الموقف بشكل عام يتلخص في ان الحكم الجديد حاول ان يدمجهم في الحياة العامة ، من خلال رفع كل القيود التي كانت مفروضة عليهم ، ومساواتهم بغيرهم من المواطنين ، وتحريرهم من التقاليد الدينية والاجتماعية ، الممعنة في التحجر والانغلاق .

كان العهد الجديد يريد ان يجعل من اليهودي مواطنا ، يتمتع بالمساواة التامة . ولم يتمثل هذا في البيان الذي أشير اليه سابقا فقط ، بل تمثل في وجود عدد من الشخصيات اليهودية على رأس الحكم الجديد ، وعلى رأس هؤلاء تروتسكي وكامينيف وزينوفييف وكاغانوفيتش وآخرين .

واهتم الحزب بعد الثورة سنة ١٩١٧ ، بأمر اليهود ، فاتخذ عدة قرارات خاصة لمساعدتهم . ومن هذه القرارات قرار ينص على حجز أنصبة من الشواغر في المشاريع الصناعية للشباب اليهود . وكانت منظمة الشبيبة الشيوعية تختار الآلاف من الشبان اليهود وترسلهم للانضمام الى الطبقة العاملة .

وبالاضافة الى ان المدارس والجامعات قد فتحت لهم ، فان

---

٥ ـ ستالين ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

مدارس فنية متخصصة ودورات افتتحت جرى التدريس فيها باليديشية .

وبدأت مع سنة ١٩٢٤ مشاريع اسكان اليهود التي سنتحدث عنها في فصل مستقل .

انخفاض عدد اليهود في الحزب والدولة

شهد العهد الستاليني انخفاضا في نسبة الاعضاء اليهود الى نسبة اعضاء الحزب . فلقد كانت نسبة الاعضاء والاعضاء المرشحين اليهود في الحزب ٢ر٥ بالمئة سنة ١٩٢٢ ، فانخفضت سنة ١٩٢٧ الى ٣ر٤ بالمئة . وكانت نسبة اليهود الى مجموع السكان حينذاك ٨ر١ بالمئة . ولما كان معظم أعضاء الحزب من المدن ، وكان اليهود سكان مدن ، فان هذه النسبة لا تبدو غير عادية .

ويعطي الجدول رقم (١) فكرة عن نسبة السكان اليهود في المدن ونسبة اعضاء الحزب سنة (١٩٢٦ — ١٩٢٧) .

جدول رقم (١)

نسبة اليهود بين سكان المدن وفي الحزب

اسم المنطقة	نسبة اليهود ضمن سكان المدن (احصاء ١٩٢٦)	نسبة اليهود في الحزب (احصاء الاعضاء ١٩٢٧)	
		اعضاء	**مرشحون**
الاتحاد السوفياتي	٢ر٨	٩ر٤	٢ر٣
روسيا	١ر٣	٧ر٢	٤ر١
اوكرانيا	٧ر٢٢	١ر١٣	٠ر١٠
روسيا البيضاء	٢ر٤٠	٦ر٢٦	٦ر١٨

ويكشف هذا الجدول ان نسبة الاعضاء والمرشحين من اليهود في الحزب اعلى قليلا من نسبة السكان اليهود الى باقي السكان .

ويكشف الجدول رقم (٢) عدد اليهود الذين يحتلون مناصب عليا في الحزب والدولة سنة (١٩٢٥ ــ ١٩٢٦) .

جدول رقم (٢)

عدد اليهود الذين يحتلون مناصب عليا ونسبتهم

	مجموع ممثلي المناصب	اليهود: العدد	اليهود: النسبة
اللجنة المركزية — الاعضاء والمرشحون	١٠٤	١١	٦ر١٠
لجنة الرقابة المركزية — الاعضاء والمرشحون	١٦٢	١٣	٨
رئاسة اللجنة التنفيذية العليا (جمهورية روسيا السوفياتية الاتحادية الاشتراكية)	٣٧	٢	٤ر٥
مجلس مفوضي الشعب (الاتحاد السوفياتي)	١٢	ـ	ـ
مجلس مفوضي الشعب (جمهورية روسيا السوفياتية الاتحادية الاشتراكية)	١٤	ـ	ـ
رؤساء لجان الحزب المركزية واللجان التنفيذية المركزية ورؤساء اللجان التنفيذية المحلية	٨٨	١	١ر١
رؤساء المحاكم المحلية	٦٦	٤	٦ر١
رؤساء التكتلات الصناعية	٥٤	٤	٤ر٧
قادة منظمات التعاون المركزية	١٩٤	٢١	٨ر١٠

ولكن هذه النسب اخذت تتضاءل فيما بعد، كما يبين الجدول رقم (٣) .

الجدول رقم (٣)

اليهود في المجالس السوفياتية العليا (في جمهوريات الاتحاد كل على حدة) (٦)

اسم الجمهورية	أعضاء مجالس السوفيات			نسبة اليهود
	المجموع	اليهود		بين السكان
		العدد	النسبة	
	٧٢٧	٣٠	١ر٤	٩ر٠
اوكرانيا	٣٠٤	٢	٧ر٠	٩ر٤
روسيا البيضاء	٢٧٣	٢١	٧ر٧	٧ر٦
اذربيجان	٣١٠	٥	٦ر١	٣ر١
جورجيا	٢٣٧	٣	٣ر١	٢ر١
ارمينيا	٢٥٦	—	—	٠٥ر٠
تركستان	٢٢٦	٣	٣ر١	٢ر٠
اوزبكستان	٣٩٥	١٠	٥ر٢	٨ر٠
طاجكستان	٢٨٢	١١	٩ر٣	٣ر٠
قازاخستان	٣٠٠	٣	٠ر١	٣ر٠
القرغيز	٢٨٤	٤	٤ر١	١ر٠
المجموع	٥٩٤ر٣	٩٢	٥ر٢	٨ر١

6 — Schwarz, Solomon M., The Jews in the Soviet Union, Syracuse University press, 1951, pp. (260 - 261) and 302.

وتذكر مصادر اخرى ان تدنيا شديدا في نسبة عضوية اليهود في مجلسي السوفيات الاعلى قد وقع . فقد «كان اليهود ١ر٤بالمئة من المندوبين سنة ١٩٣٤ و٨ر. بالمئة سنة ١٩٤٦ ، وأقل من ٤ر. بالمئة سنة ١٩٥٠» .

لقد كانت هذه النسبة عالية سنة (١٩٢٥ ــ ١٩٢٦) اذ بلغت ٦ر١٠ بالمئة من اعضاء اللجنة المركزية ، ولكن هذه النسبة تضاءلت حتى اصبحت ٨ر. بالمئة سنة ١٩٤٦ .

وكان عدد الموظفين اليهود قد جرى تخفيضه تخفيضا شديدا في وزارة الخارجية والسلك الدبلوماسي منذ سنة ١٩٣١ ؛ اذ ان معظم السفراء كان حتى هذا التاريخ من اليهود . وقد أمر ستالين وزير الخارجية ليتفينوف باجراء تخفيض شديد في عدد اليهود لاسباب تقتضيها المصلحة . ثم أبعد ليتفينوف عن وزارة الخارجية سنة١٩٣٩ ، قبل عقد اتفاقية مولوتوف ــ روبنترب(٧) .

ولقد أعيد ليتفينوف نائبا لوزير الخارجية سنة ١٩٤٢ ، ليقصى نهائيا سنة١٩٤٦ . وكان ان أبعد خلال السنتين السابقتين لابعاده عدد كبير من مسؤولي وزارة الخارجية اليهود ، حتى انقصت نسبتهم من ٨ بالمئة الى ٣ بالمئة .

***

وقفت الحركة الصهيونية خلال الحرب مع الحلفاء ، وقد جندت الكتائب التي حاربت معهم . ولفت انتباه الصهيونيين بروز الولايات المتحدة قوة كبرى على مسرح السياسة العالمية ، فبادروا لعمل كل ما يجعلهم يكسبونها لجانبهم . ولما كانت الحرب قد

---

7 — Deutcher, Issac: The non-Jewish Jew p. 76.

كشفت عن قوة الاتحاد السوفياتي ، وجعلت منه القوة الكبرى المنافسة ، فقد حاول الصهيونيون كسبه . وتطوعت الولايات المتحدة لتقنع ستالين بعدم معارضة الاهداف الصهيونية . ويبدو ان ستالين استجاب . ويخبرنا بن غوريون ان الدكتور ستيفن رايز ، اخبره عند زيارته للولايات المتحدة في ٢٣–٦–١٩٤٥ ، «ان الرئيس روزفلت اكد له ، بعد عودته من مؤتمر يالطا ، ان ستالين لم يكن ضد البرنامج الصهيوني ، وفي الحقيقة : انه كان مؤيدا له . .» (٨) . ولهذا فان تأييد المندوب السوفياتي لمشروع التقسيم في ٢٩–١١–١٩٤٧ ، لم يكن مفاجأة .

ويستطيع المؤرخ ان يلاحظ – عند دراسة السياسة السوفياتية ، ازاء المسألة الصهيونية خلال السنوات (١٩١٨ – ١٩٤٧) ما يلي :

اولا : اتجاها عاما ضد الصهيونية ، على اعتبار انها حركة رجعية وأداة للاستعمار البريطاني . ولكن هذا الاتجاه لم يكن في نفس المستوى من القوة دائما ، وكان يتعرض احيانا لتجاوزات جزئية. فلقد اشتدت الحملة السياسية والعقائدية على الصهيونية في السنوات ١٩١٨ ، ١٩١٩ ، اشتدادا لا يتناسب مع اهميتها ، اذا قيست بالمشاكل الاخرى المطروحة على الاتحاد السوفياتي آنذاك . ثم عادت فخمدت لتبدأ من جديد سنة ١٩٢٩ ، وبعد الانتفاضة العربية التي قامت في صيف ذلك العام ، واستهدفت اليهود بالذات . الا ان الهجمات عادت ففترت منذ سنة ١٩٣٨ ، وتوقفت خلال الحرب . ولكن توقفها خلال الحرب لم يعن ان

---

8 — Ben Gurion, David (Conceived and edited) The Jews in Their Land, Aldus Books, London, Translated From Hebrew by Mardecha Nurock, Misha Lonwirch, 1966, Part 5, p. 318.

الموقف السوفياتي من الصهيونية قد تبدل . ذلك ان الوثيقة الوحيدة المتوفرة في هذا الموضوع ، والمنشورة سنة ١٩٤٦ تدل على ان الموقف السوفياتي لم يتغير ، وان الحركة الصهيونية ظلت موضع اتهام وتجريم (٩) .

ثانيا : تناقض المواقف من الحركة العربية في فلسطين ، فقد كان نضال عرب فلسطين يقيّم حينا على انه نضال وطني تقدمي ، بينما يعتبر في احيان اخرى عملا رجعيا . ومن سنة ١٩٢٠ عندما اعتبر الزعيم اليهودي ديمانشتين ان الحركة العربية «نضال ثوري وطني» (١٠) ، الى ٢٩-١١-١٩٤٧ عندما أيد الاتحاد السوفياتي مشروع التقسيم تغيرت التقييمات السوفياتية عدة مرات . فعندما انفجرت انتفاضة ١٩٢٩ كان موقف الكومنترن في البدء الدعوة للتآخي ونبذ التقتيل ، «وعممت الصحافة السوفياتية بيانا طويلا للشيوعيين الفلسطينيين ، يدعون فيه الجماهير العربية واليهودية الى المسالمة فيما بينها ، والوقوف معا في وجه الاستعمار والصهيونية والخونة من الوطنيين العرب» (١١) . الا ان الصحافة الشيوعية خارج الاتحاد السوفياتي اعتبرت المقاومة العربية من تدبير الاستعمار البريطاني ، وأظهرت تعاطفها مع اليهود . واضطر هنا الكومنترن ان يتدخل ، فأصدر قرارا شجب فيه التأثير الصهيوني على بعض الشيوعيين . وقد أعيد تقييم انتفاضة سنة ١٩٢٩ ، واعتبرت ذات طبيعة تقدمية . وحاول بعض المستشرقين السوفيات ان يفندوا هذا الرأي ، ولكنهم عجزوا لان الحزب والدولة تبنيا النظرة السالفة الذكر . ونالت ثورة ١٩٣٦ تأييدا حارا في البدء ، واعتبرت كفاحا من اجل التحرر القومي . وميّز

---

٩ - لاكور ، ولتر ، الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، ص ١٧٣ .

١٠ - لاكور ، ولتر ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

١١ - المصدر السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ .

المعلقون السوفيات بين ما يحدث لليهود في فلسطين ، وبين ما كان يصيبهم خلال العهد القيصري في روسية . وكان اتجاه السياسة السوفياتية يؤيد «حركة التمرد العربي الباسلة»، ويدعو لوقف الهجرة اليهودية من المانية ، والمحافظة على عروبة فلسطين. ولكن تعاون القيادة السياسية في فلسطين مع دول المحور ، أدى الى بداية تحول في اتجاه السياسة السوفياتية ، على الرغم من التبريرات التي كانت تطلق احيانا . ومع ان مشروع التقسيم هوجم ، الا ان الاتجاه العام للسياسة السوفياتية تبدل من تأييد الثورة العربية ، الى الدعوة لقيام تعاون بين القوى التقدمية العربية واليهودية لمقاومة العناصر الفاشية بين العرب واليهود . وتبدل الموقف السوفياتي مرة اخرى ، عندما اعتبر النضال العربي تقدميا سنة ١٩٤٦ .

٦ ــ توطين اليهود في بيرابدزان

تبنت الحكومة السوفياتية ، من ضمن مشاريعهـــا للتوطين والتهجير ، مشروعا خاصا بتوطين اليهود . وقد تألفت لجنة لهذا الغرض سنة ١٩٢٣ ، يبدو انها لم تحقق شيئا .

وتقدمت سنة ١٩٢٤ منظمة يهودية اميركية بفكـــرة لانشاء «مؤسسة اميركية ــ يهودية زراعية مشتركة» باسم (Agrojoint) حددت هدفها على انه «تحويل اكبر عدد ممكن من يهود الاتحاد السوفياتي البالغ عددهم ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ نسمـــة الى الاعمـــال الانتاجية» . وكان ان وافقت السلطات السوفياتية على المشروع، على اساس ان يمون مناصفة (١) .

وقررت هيئة الرئاسة (البريزيديوم) في آب سنة ١٩٢٤ ،

١ ــ نجدة فتحي صفوة : بيروبيجان ــ التجربة السوفياتية لانشاء وطن قومي يهودي ، مركز الدراسات الفلسطينية ــ جامعة بغداد ، ١٩٧٣ .

بتشجيع من رئيس الجمهورية كالينين انشاء لجنة خاصة ، سميت الكوميزيت (لجنة توطين الشغيلة اليهود على الاراضي الزراعية)، وظيفتها ارشاد اليهود ومساعدتهم على العودة الى العمل في الارض .

تكونت هذه الهيئة الرسمية من سبعة عشر عضوا ، وضمت قيادات شيوعية بارزة ، يهودية وغير يهودية . ومن هؤلاء بيتر سميدوفيج ـ نائب رئيس مجلس السوفيات الاعلى ورئيس اللجنة، وليونيد كراسين ـ وزير التجارة ، وميريجين ـ سكرتير اللجنة ، وأحد قادة الفرع اليهودي في الحزب الشيوعي السوفياتي ، وماكسيم ليتفينوف ـ نائب وزير الخارجية آنذاك ، وسيمين ديمانشتاين ـ نائب رئيس قسم الدعاية في الحزب الشيوعي .

وأنشأت السلطات السوفياتية ، الى جانب اللجنة ، لجانا على مستوى الجمهوريات ، ومناطق الحكم الذاتي والمناطق ، لتحقيق اهداف اللجنة .

وكانت اللجنة مسؤولة عن توطين اليهود في الاماكن المخصصة لهم ، وخاصة في ميدان بناء الزراعة . وقد قامت بحملة واسعة ومركزة لاعادة اليهود الى الارض . وحين اتخذت السلطات السوفياتية قرارا بتحويل بيرابدزان الى مقاطعة يهودية ، لعبت اللجنة دورا اساسيا في ذلك .

نشأت الى جانب الكوميزيت منظمة اخرى باسم (الأرزيت OZET) : في ٢٤-١٢-١٩٢٤ . وكانت تعرف ايضا باسمها المختصر في اللغة اليديش (Gezerd) . كانت هذه المنظمة شعبية تطوعية ، وهدفها القيام بالتعبئة الشعبية لمساعدة الكوميزيت على تحقيق اهدافها في توطين اليهود ، وجمع الاموال لهذا الغرض ، ومحاربة مخلفات العهد القيصري في ميدان معاداة السامية .

كانت الأوزيت تضم اليهود وغير اليهود . وقد بلغت عضويتها حوالي نصف مليون عضو . وكان لها ستمائة فرع سنة ١٩٣٦ ،

في كل مجالات الحياة السوفياتية ، حتى الجيش الاحمر . وكان يشرف على الجمعية «مجلس مركزي» من ستة وثمانين عضوا ، ومجلس ادارة من تسعة واربعين ، وهيئة رئاسة . وكان يرئسها يوري لارين الاقتصادي اليهودي المقرب من ستالين . كما كانت تضم معظم قادة الكوميزيت ، واعضاء من قيادة الفرع اليهودي في الحزب الشيوعي السوفياتي (يفسكتسيا) ، ومن هؤلاء كالينين نفسه .

اصدرت الأوزيت مجلة باسم Tribuna ما بين ١٩٢٧ و١٩٢٩ ، كان يرئس تحريرها ديمانشتاين نفسه . وكانت المجلة تخدم اغراض الجمعية ، وتركز على محاربة معاداة السامية . وبالاضافة للمجلة كانت الجمعية تصدر منشورات شعبية عن اوضاع اليهود ، وعن مشروع بيرابدزان .

كما كانت الجمعية تجمع الاموال لمصلحة توطين اليهود على الاراضي الزراعية . واستخدمت في ذلك اساليب مختلفة ، منها «اليانصيب» ، وطلب مساعدة يهود العالم . واستطاعت ان تحصل على تبرعات هامة ، كما وصلت الى اتفاق بهذا الشأن مع «لجنة التوزيع الاميركية ــ اليهودية المشتركة» .

وكان للأوزيت صلات بالمنظمات اليهودية اليسارية في الخارج ...

ومما يجدر ذكره ان ثلاث منظمات يهودية اميركية هي : المؤسسة الاميركية ــ اليهودية الزراعية المشتركة (Agrojoint) ، وجمعية التوطين اليهودي في الاتحاد السوفياتي (ICOR) ، و«الجمعية الاميركية لتوطين يهود روسيا في المزارع» ، قد قدمت مساعدات كبيرة لتوطين اليهود في القرم وأوديسا وأوكرانيا الجنوبية وبيرابدزان .

وضعت السلطات السوفياتية مائة الف هكتار من الارض تحت تصرف الكوميزيت في اوكرانيا الجنوبية والقرم ، على ان تخصص

لها اراضٍ اخرى فيما بعد .

ولقد كانت خطة الاوزيت ترمي الى اسكان نصف مليـــون يهودي ، حتى نهاية ١٩٢٦ . وقد قدم اربعون الف عائلة طلبـات توطن ، من بين المائة الف عائلة المطلوبة .

بدأت آلاف العائلات اليهودية ، بالتوجه نحو المناطق الجديدة. واستطاعت الكوميزيت والأوزيت ، قبل نهاية العقد الثالث ، ان تنظم خمس مقاطعات قومية يهودية ، ثلاث منها في اوكرانيا هي كالينيدورف وستاليندورف ونوفوز لا توبول . وكانت الاولـى اهمها ، لانها كانت تضم اعلى نسبة من اليهـــــود بين سكانها ، ولوجود خمس واربعين تعاونية زراعية يهودية فيها ، حتى سنة ١٩٣٧ . واثنتان في القرم هما فزيادورف و لاريندورف (٢) .

وقد ابرزت الدعاية السوفياتية منطقة «فزيادورف» التـــي كانت مساحتها حوالي ١٩٠،٠٠٠ هكتار ، وكان فيها ثلاث وثلاثون مزرعة تعاونية ، وكان يسكنها ١٦٩٢ر١ عائلة . كما كان فيها ثمان وثلاثون مدرسة وسبع قاعات مطالعة (٣) .

لقد حققت حركة توطين اليهود في الاراضي الزراعية بعض النجاح ، وكان هنالك ، حتى اواسط الثلاثينات ، خمسمائـــــة مزرعة ، و٠٠٠ر٢٢٥ يعملون في الزراعة ، ٩٠ بالمئة منهم يسكنون اوكرانيا وبيلوروسيا والقرم .

ولكن لماذا حدث التحول نحو بيرابدزان ؟

هناك عدد من الاسباب ، يمكن ايجازها بالتالي :

١ ــ لم تلق مشروعات توطين اليهود في القرم واوكرانيــا

---

2 — Rabinovich, Solomon: Jews in the Soviet Union p. 47.

٣ ــ نجدة فتحي صفوة : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

ترحيبا من السكان السوفيات ، لانهم كانوا يطمحون للسكن في هذه المناطق ، وقد أثار اسكان اليهود فيها مشاعر معادية ، على الرغم من كل مساعي السلطات السوفياتية لمحاربة معاداة السامية .

٢ ـ أثار تجمع اليهود في القرم وأوكرانيا قلق السلطات السوفياتية ، لان المستوطنات تحولت الى مراكز دعاوة دينية وسط مناطق آهلة .

٣ ـ وكان ستالين لا يشعر بالاطمئنان لولاء اليهود السوفيات، ويعتبر ان تجمعهم في مناطق استراتيجية مثل المناطق المشار اليها ، يحمل أخطارا كبيرة ، بالنسبة للاتحاد السوفياتي ...

٤ ـ وكان من الضروري حل مشكلة اليهود الذين لم يستطع النظام ان يستوعبهم ، وايجاد مكان مستقر لهم ، وتحسين احوالهم . وكان قطاع واسع من اليهود الذين كان النظام الاجتماعي الجديد قد انهى وظائفهم (التجارة ، الوساطة ، الخدمات الخاصة الخ) ، ولم يكن من السهل استيعابهم ضمن اطار المؤسسات الجديدة . وكان اسكانهم في مناطق جديدة ، يوفر لهم الحياة الاجتماعية المناسبة ، ويخلق لهم شروط عمل مناسبة ، ويحولهم الى طبقة منتجة .

٥ ـ العمل على كسب عطف اليهود في كل مكان من العالم، والحصول على مساعدتهم ، ووقف النشاطات المعادية للاتحاد السوفياتي .

٦ ـ ملء الفراغ السكاني في منطقة هامة وغير مأهولة ، للوقوف في وجه التسلل السكاني الصيني ، والاخطار السياسية والعسكرية للتوسع الياباني (٤) .

وكانت عملية الاستكشاف قد بدأت صيف سنة ١٩٢٧ .

---

٤ ـ نجدة فتحي صفوة : المرجع السابق ، الصفحات ٦٢ـ٦٤ و٧٠ـ٧٤ .

واستقر الراي على المنطقة ، بعد ان قدمت اللجنة المكلفة بالاستكشاف تقريرها ، مشيرة الى ان في المنطقة حوالي مليون هكتار صالحة للزراعة ، فيما عدا التلال ، اذا ما جرفت المياه عنها . وان المنطقة يمكنها ان توفر المعيشة لخمسين الف عائلة ، اربعون منها تعمل في الزراعة ... وأضاف التقرير ان المنطقة تتسع لمزيد من السكان ، يجعلها قابلة لاستيعاب مليون ونصف .

وبناء على ذلك طلبت الكوميزيت من السلطات السوفياتية ان تصدر قرارا بتخصيص المنطقة لتوطين اليهود . صدر القرار في الثامن والعشرين من اذار . وكان ينص على تخصيص «جميع الاراضي الخالية في منطقة بيروبيجان للمستوطنات اليهودية المتجاورة ، او المتصلة ببعضها» . واعتبرت المنطقة «دائرة قومية يهودية» على الرغم من عدم وجود يهود فيها . ونص القرار صراحة على «ان التوطن اليهودي اذا سار في المنطقة بنجاح ، فقد تنشأ فيها دولة يهودية ذات حكم ذاتي» (٥) .

وكان الشيوعيون اليهود الذين ضمتهم الكوميزيت والاوزيت قد بدأوا بالدعوة منذ سنة ١٩٢٧ الى تجميع اليهود المقيمين داخل الاتحاد السوفياتي وخارجه . واعلن سيمون ديمانشتاين في آذار سنة ١٩٢٨ ، عند بدء المشروع ، ما معناه ان الهدف من حشد اليهود ليس تحقيق «اغراض قومية» ، و«لكن من اجل الاهداف السلمية المتعلقة بالبناء العام للاشتراكية في بلادنا . وستتحول الجماهير اليهودية ، في ظل ظروف ثقافية واقتصادية أسلم الى بناة أكفاء مثاليين للحياة الجديدة ، وعلينا ان نتقدم نحو هذا الهدف بنشاط ، متجاوزين كل الاتجاهات القومية» (٦) .

٥ ـ نجدة فتحي صفوة ، ص ٦٨ ـ ٦٩ .

6 — Solo W. Baron: Ibid p. 231.

ومع هذا فقد استخدم قادة الكوميزيت التوجيه القومي في استثارة اليهود ، سيان كانوا في الاتحاد السوفياتي او خارجه . وكانت محاولة انشاء دولة في الشرق الاقصى تبدو وكأنها ترمي الى تخفيف سيطرة الصهيونية علـى اليهود . ولقــــد أدينت الصهيونية ، واعتبرت اداة طيعة في يد الاستعمار البريطاني .

تبلغ مساحة المنطقة المشار اليها ٣٨٥٠٠ كيلومترا او أقــل قليلا (٧) . وتقع على ضفاف نهر الآمور ورافديه بيرا وبدزان . ومن هنا اشتقت اسمها . والمنطقة غنية بالمياه والغابات والمعادن . تهطل فيها الامطار صيفا ، وشتاؤها قاس ، وبردها جاف ، وأيام الصحو فيها كثيرة .

وكان يسكنها سنة ١٩٢٨ حوالي ٣٤ الفا موزعين كالتالي :

٧٨ر٤ بالمئة روس من القوزاق والاوكرانيين والبيلوروسيين .

١٠ بالمئة كوريون .

١ر٦ بالمئة صينيون .

١٠ بالمئة قبائل من السكان الاصليين .

ويشير مرجع آخر الى أن توزيع السكان كالتالي :

٨٠ بالمئة روس .

٦ر٨ بالمئة اوكرانيون .

١ر٦ بالمئة بيلوروسيون .

١٠ بالمئة كوريون .

١ر٦ بالمئة صينيون .

١ بالمئة ناناي ويفنكي وشعوب محلية اخرى .

---

٧ ـ رابينوفتش ، سلمون : اليهود في الاتحاد السوفياتي ، وكالة انباء نوفوستي (بالانجليزية) ص ٢٥ ، بينما يشير نجدة فتحي صفوة الى ان المساحة ٢٧٠٠٠ كلم فقط . اعتمدت الرقم الاول لانه صادر عن مؤسسة رسمية سوفياتية. انظر نجدة فتحي صفوة : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

ويسكن هؤلاء على ضفاف الآمور ، وحول سكـــة حديد عبر سيبيريا التي تخترق المنطقة من الغرب الى الشرق مسافة ٣٣٠ كيلومترا [٨] .

وكانت في المنطقة محطة سكة حديـــد صغيرة سنة ١٩٢٨ اسمها «تيخونكايا» ، «المكان الهادىء بالروسية» ، تحولت سنة ١٩٣١ الى قرية صغيرة اسمها بيرابدزان ، ثم اصبحت مدينة . وأقرب المدن السوفياتية اليها «خاباردفسك» التي تبعـــد ١٧٣ كيلومترا . وهي تبعد عن موسكو ٨ر٣٦١ كلم .

بدأ استعمار الروس للمنطقة قبل ٣٥٠ سنة ، وضمت الى روسيا باتفاق مع الصين سنة ١٨٥٨ ، ومنذ ذلك الحين حاولت روسيا القيصرية ان توطد وجودها فيها ، فأسكنت فيها بعـض القوزاق اجباريا . ثم زاد عدد سكان المنطقة مع بناء خط سكـة الحديد سنة ١٩٠٨ . ونشأ عدد من القرى [٩] .

وكانت بعثة سنة ١٩٢٧ قد اوصت ان ترسل الف عائلـــة يهودية سنة ١٩٢٩ ، على اساس ان الاستعدادات تحتاج الى عام ١٩٢٨ كله . وأن ترسل الف عائلة سنة ١٩٣٠ ، وبين الفين وثلاثة في كل سنة بعد ذلك التاريخ . الا ان المهاجرين بدأوا بالوصول سنة ١٩٢٨ . ولم تكن هناك استعدادات لاستيعابهم . «وكـان بينهم حرفيون وعمال وسواق وأصحاب دكاكين سابقا . وغيرهم ممن لم يكونوا متعودين على اية اعمال يدوية» و«لم يكن بينهـم — ربما سوى نفر قليل ممن كانت لهـــم اية خبرة سابقة فــــي الزراعة» [١٠] .

---

٨ ــ نجدة فتحي صفوة : المرجع السابق ، ص ٧٧ ــ ٨٨ .

٩ ــ نجدة فتحي صفوة : المرجع السابق ، ص ٧٧ ــ ٨٨ .

١٠ ــ نجدة فتحي صفوة : المرجع السابق .

وصل سنة ١٩٢٨ ، اولى سنوات الهجرة ٩٠٠ مستوطن ، عاد منهم ٦٠٠ ، وسنة ١٩٢٩ وصل ١٨٧٥ عاد منهم ١١٢٥ ، وسنة ١٩٣٠ وصل ٢٦٥٠ عاد منهم ١٠٠٠ ، وسنة ١٩٣١ وصل ٣٢٥٠ عاد منهم ٧٢٥ ، وسنة ١٩٣٢ وصل ١١٠٠٠ عاد منهم ٨٠٠٠ .

وكان من المفروض ان يستقر في المنطقة في السنوات (٣٤ ــ ٣٧) خمسون الف يهودي ، ولكن ذلك لم يتم ، لان عدد اليهود كان في ٣ــ٦ــ١٩٣٧ ثمانية عشر الفا فقط من ستة وسبعين الفا، اي بنسبة ٢٣٫٨ بالمئة فقط . على الرغم من ان الدولة كانت قد اعلنت بأن المنطقة ستصبح منطقة حكم ذاتي يهودي . وقد حدد لذلك سنة ١٩٤٢ ، وكان المطلوب ان يصبح عدد اليهود فيها مائة الف .

ولقد تضاءل المشروع في السنوات (١٩٣٤ ــ ١٩٣٧) ، وهي السنوات التي واجه فيها اليهود في المانيا كابوس النازية ، والتي تعرض خلالها مشروعهم الصهيوني في فلسطين الى مقاومة ضارية جعلته مهددا بالفشل .

لماذا فشل مشروع بيرا بدزان ؟

هناك عدد من العوامل المتداخلة :

١ ــ موقف الحزب والدولة في الاتحاد السوفياتي : لقد كان موقف الحزب يبدو مؤيدا ومشجعا . وبدا هذا واضحا في القرارات التي اتخذت ، وفي الاجراءات التي اعتمدت لتسهيل تمويل المشروع وتنفيذه . وكانت خطابات كالينين رئيس الدولة خير دليل على ذلك (١١) .

ولكن ستالين ، على ما يبدو ، لم يكن متحمسا للمشروع .

---

١١ ــ نجدة فتحي صفوة : اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى ، ١٩٦٧ ، ص ٣٩ .

ولذلك ذهبت كل القرارات أدراج الرياح . يقول ب.ز. جولدبرج: «ان ستالين ساير الاعضاء الآخرين في اللجنة المركزية لاعتبارات عملية ، مع ان قلبه لم يكن مع المشروع ، ولم يكن عنده ايمان به » (١٢) .

ولقد صمت ستالين عن المشروع ، ولكنه القى خطابا في نهاية سنة ١٩٣٦ ناقش فيه مسألة الحكم الذاتي من خلال ابداء ملاحظات على مشروع الدستور الجديد ، اشار فيه الى ان «المقاطعة ذات الحكم الذاتي» لا بد من ان تتوافر فيها الشروط التالية :

اولا — انها يجب ان تكون واقعة على الحدود ، وليست محاطة باقليم الاتحاد السوفياتي من جميع جهاتها .

ثانيا — ان القومية التي تمنح اسمها لجمهورية سوفياتية يجب ان تؤلف اكثرية متماسكة ضمن تلك الجمهورية .

ثالثا — يجب ان يكون عدد سكانها كافيا ، فلا يقل — بل يزيد — عن مليون نسمة مثلا» .

وكان في كلام ستالين رد على ما طرحه كالينين من امكانية تحول بيرابدزان الى جمهورية سوفياتية ، اذا بلغ سكانها مائةالف. لقد قضى ستالين على الامل .

٢ — وكان هناك خلاف ، حول بيرابدزان ، في الفرع اليهودي من الحزب الشيوعي السوفياتي . وكان هناك من يؤيد السكن في القرم ، ومن يؤيد السكن في بيرابدزان ، ومن يسعى للتوطين في بيلوروسيا . وكان يوري لارين ، رئيس الكوميزيت ، وصديق ستالين ضد مشروع بيرابدزان بصراحة . ومن المؤكد ان موقف لارين الذي كان يدافع عن التوطين في القرم ، كان يعكس راي قطاع من الشيوعيين اليهود لهم وزنهم في

---

١٢ — ب.ز. جولدبرج : «المسألة اليهودية في الاتحاد السوفياتي ، تحليل وحل» (بالانجليزية) ، ص ١٩٥ .

اتخاذ القرارات وتنفيذها .

٣ ــ موقف اليهود السوفيات واليهود عامة من المشروع : يبدو ان اليهود داخل الاتحاد السوفياتي خاصة وخارجه ، على الرغم من الحماسة الجزئية والمحدودة جدا في بعض الاوساط ، لم يستثر المشروع حماستهم استثارة كافية . ولم يكن تجاوبهم معه من مستوى ملائم . ولذلك فقد كان تدفق المهاجرين محدودا جدا . وقد عاد قسم كبير من الوافدين . ويعود إحجام اليهود ، وخاصة داخل الاتحاد السوفياتي ، عن استغلال الفرصة الى سبب رئيسي واحد ، هو ان المشروع كان يستهدف انشاء منطقة حكم ذاتي يهودية اشتراكية ، في ظل الدولة السوفياتية . وكان قسم كبير من اليهود ، وعلى راسهم كهنتهم ووجاهاتهم وعوامهم ، يناصب الحكومة السوفياتية العداء ، لانها ارادت ان تجعل منهم أمميين اشتراكيين ، وان تجردهم من «يهوديتهم المتحجرة» المتمثلة في طبيعة تكوينهم الاجتماعي والثقافي . كان اليهودي يريد ان يظل يهوديا على طريقته ، وكانت الدولة تريد ان تجعل منه مواطنا عاديا ، كانت تريده ان يمتثل ، حتى عندما كانت توافق على خلق منطقة يهودية ذات حكم ذاتي . ولم يكن اليهودي يريد ان يصبح مواطنا سوفياتيا ، ولا ان يكون له «حكم ذاتي سوفياتي» . ولهذا رفض المشروع الذي اقترحه ، وعمل من اجل تحقيقه بعض رفاقه اليهود الشيوعيين الذين كانوا ، على قلتهم ، اكثر استعدادا من اليهودي العادي للخروج من قوقعة اليهودي التقليدية .

٤ ــ موقف الحركة الصهيونية : كانت الحركة الصهيونية تقاتل من اجل «استعمار» فلسطين . وكان نجاح مشروع بيرابدزان تهديدا لها . ولذلك فقد كان من غير المتوقع ان ينظر الصهيونيون الى المشروع بعين الرضا ، مع ان وايزمن «حيى المشروع كتحول بناء في حياة اليهود السوفيات ، واعتبره «محطة» في الطريق الى الوطن اليهودي في فلسطين» .

وقد شن الصهيونيون داخل الاتحاد السوفياتي حملة على

المشروع ، وتساءلت احدى صحفهم في اوديسا في ١-٤-١٩٢٨ : «لماذا بيروبيجان وليس فلسطين ؟» (١٣) .

وساق الصهيونيون في الاتحاد السوفياتي حججا متعددة لتبرير موقفهم . ذلك انهم اتهموا الشيوعيين بافقار اليهود ، كما اتهموهم بمحاولة التخلص منهم بنقلهم الى بيرابدزان النائية . وكان من رأي هؤلاء الصهيونيين ان بيرابدزان ليست «نقطة جذب» بالنسبة لليهود ، بسبب بعد موقعها ، ولاسباب اخرى ، وانها غير قادرة على حل المشاكل الاقتصادية التي تواجه يهود الشتات. وقد انطلقوا من هنا ليؤكدوا ان فلسطين ، وفلسطين وحدها ، هي الحل ، لانها المركز او المحور ، الذي يستقطب يهود العالم روحيا وسياسيا .

ولقد حدثت سجالات داخل الاتحاد السوفياتي حول هذه القضايا ، ورد أنصار المشروع على الحجج الصهيونية ، مبينين اسباب تمسكهم به (١٤) .

٥ ــ ظروف وعوامل اخرى : لعبت ظروف وعوامل اخرى دورا في احباط المشروع وهذه الظروف والعوامل هي :

أ ــ بعد المنطقة عن روسية الاوروبية .
ب ــ عدم وجود الطرق والمواصلات الداخلية .
جـ ــ مناخ المنطقة القاري .
د ــ عدم توافر التخطيط والتمويل اللازمين .
هـ ــ كون اليهود في الاتحاد السوفياتي سكان مدن ، وانقطاع أغلبيتهم عن الزراعة منذ أمد طويل (١٥) .

---

١٣ ــ نجدة ، فتحي صفوة : بيروبيجان ، ص ٩٧ .
١٤ ــ نجدة ، فتحي صفوة : المرجع السابق ، ص ٩٨ ــ ١٠٦ .
15 - Levy, Hyman: Jews and National Question, Hill Way Pub. Co. 1958 London. p. 76.

و ــ كانت سنوات (٢٩ ــ ٣٢) من سنوات البناء في الاتحاد السوفياتي . وكان اليهود من ذوي الخبرات الفنية والادارية، مما يسّر لهم مجال العمل ، وجعل الدولة في حاجة اليهم .

وتثير بعض المراجع الصهيونية اسبابا اخرى ، مثل يقظة الروح القومية في الاتحاد السوفياتي ، بعد وصول النازيين الى السلطة ، وتخوف السوفيات من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي يثيرها القادمون اليهود من خارج الاتحاد السوفياتي . وتؤكد المصادر الصهيونية ان الاتحاد السوفياتي لم يفتح ابوابه ليهود المانية الذين اضطهدتهم النازية ، على الرغم من رغبة بعضهم في الهجرة اليه . كما ان اليهود الذين جاءوا من بولندا ، لم يسمح لهم بالوصول الى منطقة بيرابدزان .

وكان الاتحاد السوفياتي ، يمر منذ اوائل الثلاثينات بتحولات داخلية ، قادت الى حملات تطهير واسعة ، ثم اخذت اشباح الحرب تخيم على العالم ، فازدادت السياسة السوفياتية تشددا. ولقد قادت هذه الظروف الى التالي :

أ ــ شمل التطهير منطقة بيرابدزان ، وشمل فيما شمل : خانكين سكرتير اللجنة الاقليمية للحزب ، وليبربرغ رئيس اللجنة التنفيذية لسوفيات بيرابدزان . وقد شهّر بهما سنة ١٩٣٧ كما طرد ، بعدهما ، اثنان من كبار مسؤولي الحزب ، وصفي اربعة من سكرتاريي الحزب .

ب ــ شمل التطهير منظمتي الاوزيت والكوميزيت ، وسجن او أعدم كبار قادتهما ، ومنهم ميريجين رئيس الاوزيت ، وخميريسكي السكرتير السابق للفرع اليهودي «يفسكتسيا» ، وديمانشتاين المفوض السابق للشؤون اليهودية . وقد حلت الكوميزيت والاوزيت بعد ذلك . وأحيلت شؤون الهجرة الى بيرابدزان ، الى قسم الهجرة في البوليس السري التابع لوزارة الداخلية (N.K.V.D) كما اغلقت الجريدة اليديشية Birobidzjaner Shtern والمنشورة الادبية (For Port) واغلق معهد تدريب

المعلمين .

ولقد توقفت الهجرة الى المنطقة ، قبل الحرب بقليل ، واستمرت خلالها ، وانخفض عدد السكان في هذه الفترة .

وجرت ، بعد الحرب العالمية الثانية ، محاولات لاعادة الحياة الى مشروع بيرابدزان . وقد صدر قرار عن مجلس السوفيات الاعلى في ٢٦–١–١٩٤٦ ، دعا لتجديد الجهود من اجل تطوير المنطقة اليهودية ذات الحكم الذاتي . وكان وضع اليهود مناسبا ، ذلك ان ظروفهم الاقتصادية ساءت بسبب جلائهم عن مناطق سكناهم خلال الحرب ، وكان الوضع في بيرابدزان قد تحسن كثيرا عن اوائل الثلاثينات .

وبادرت الدولة الى اعادة صدور الجريدة اليديشية بيروبد جانر شترن Birobidzaner Shtern مرتين في الاسبوع، ثم اربع مرات . كما جرى اصدار مجلة ادبية باسم «بيرابدزان»، وجرى التخطيط لافتتاح مدارس باليديشية .

كانت حماسة اليهود السوفيات أشد هذه المرة ، وتطوع للذهاب الى منطقة الحكم الذاتي فنانون وموسيقيون وأطباء . وبدأ الحديث عن انشاء «جامعة» يديشية تكون الاولى في العالم .

وطاف وفد من ممثلي يهود بيرابدزان المدن السوفياتية ، ذات الجاليات اليهودية ، ليستثير حماسة اليهود بالحديث عن منجزات منطقتهم ، وليطلب مساهمتهم في بناء المنطقة اليهودية ذات الحكم الذاتي . وكان الوفد يستقبل استقبالا رسميا أينما حل . وقدمت الدولة تسهيلات للراغبين في السفر مبلغ ثلاثماية روبل نقدا وتذكرة سفر بالقطار . وكان الوافدون يجدون اماكن معدة للسكن ، ويهيأ لهم العمل ، وتدفع لهم سلفة عشرة آلاف روبل ، تسترجع خلال عشر سنوات . وكان من نتيجة هذه السياسة ان وصل في سنتين ، اكثر مما وصل خلال الثمانية عشر عاما السابقة .

كان هناك الهجرة الرسمية ، وتضم يهودا من اوكرانيا والقرم، وكانت هناك الهجرة الفردية من انحاء مختلفة من الاتحـــاد السوفياتي . وقد وصلت اول دفعة من الهجرة الرسمية فـــي اوائل سنة ١٩٤٦ ، وكان عدد أفرادها اكثر من ثلاثماية (٣٠٠) جاءوا من مدينة «فينيتسا» في اوكرانيا وكان أفراد ومجموعات صغيرة قد وصلوا قبل ذلك ، ثم تتالت الدفعات ، حتى اصبح عدد سكان بيرابدزان حوالي صيف ١٩٤٨ في حدود ٣٥٠٠٠ الفا .

ولكن حركة الهجرة ما لبثت ان توقفت ، وبدأ الحديث عن علاقات تجسس مع الخارج يقيمها اليهود السوفيات ، وعـــن محاولة لجعل بيرابدزان قاعدة معادية للاتحاد السوفياتي . وعزلت بيرابدزان منذ سنة ١٩٤٩ عن العالم .

٧ ـ موقف الحركة الشيوعية في فلسطين

سأتناول في هذا الفصل الحركة الشيوعية في فلسطين ، لانها عاشت الصراع ، مع الصهيونية ، بل نشأت فيه . ولانها كانت تعكس سياسة الكومنترن ، والخلاف معه احيانا ، نتيجة تأثيرات الافكار الصهيونية فيها . ولم تكن الحركة الشيوعية في فلسطين في خطها العام مغايرة للحركة الشيوعية العربية .

مرت الحركة الشيوعية في فلسطين بالمراحل التالية :

أ ـ ١٩١٩ ـ ١٩٢٤ ، ويمكن ان تعتبر مرحلة الصراع من اجل تأسيس حزب شيوعي .

ب ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٢٩ ، تكوين الحزب الشيوعي والحصول على عضوية الكومنترن ، وبدء عملية التعريب .

ج ـ ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩ ، التعريب ومحاولة الالتحام مع الحركة الوطنية العربية ـ وبدايات الانشقاق .

د ـ ١٩٤٠ ـ ١٩٤٨ ، تكريس الانشقاق ونشوء حزبين عربي ويهودي .

وسأتناول كل مرحلة بشيء من التفصيل :

أ ـ ١٩١٩ ـ ١٩٢٤ . نشأت الحركة الشيوعية في فلسطين ، بين العمال اليهود المهاجرين من انحاء مختلفة من العالم ، وخاصة روسيا وأوروبا الشرقية . وكان بين الوافدين سنة ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ عدد من الاشتراكيين ، وقليل من الشيوعيين . ومما يجدر بالذكر ان بعض اعضاء منظمات الطلائع Halutzim اصبحوا شيوعيين في السنة التي جاءوا فيها الى فلسطين . الا ان كثيرا من الذين كانوا يتحولون الى شيوعيين ، كانوا يغادرون فلسطين، لاقتناعهم ان لا امل بقيام «اسرائيل» . وهكذا اصبح الحزب مخيم ترانزيت» (١) وكان هؤلاء جزء من الاتحاد العالمي الصهيوني (البوعالي تسيون) . ولما كانت التيارات المتصارعة ضمن اليسار الصهيوني متعددة والانشقاقات كثيرة ، فان تاريخ السنوات الاولى للحركة الشيوعية معقد جدا . ان السنوات ١٩٢٩ ـ ١٩٢٤ هي سنوات التكون ، او سنوات الولادة الصعبة . كان هناك قلة من الشيوعيين ، وقلة اكبر من الاشتراكيين . وكان يدور الصراع بين افكار مختلطة ، بعضها أممي ، وبعضها صهيوني ، بعضها صهيوني «بوندي» ، وبعضها ماركسي معاد للصهيونية . الا ان هذا الصراع كله كان يدور على أرضية البوعالي تسيون الصهيونية، ولقد برز سنة ١٩١٩ تجمع أسمى نفسه حزب العمال الثوري (٢)، او حزب العمال الاشتراكيين Mifleget Paalim Socializm، نتيجة ائتلاف عدد من المجموعات اليسارية . وعقد هذا التجمع مؤتمره

---

1 — Laqueur, Walter: Communism and Nationalism in the Middle East. Routledge and Kegan Paul, London pp 74 - 75 .

٢ ـ موسى خليل : الحزب الشيوعي الفلسطيني : ١٩١٥ ـ ١٩٤٨ . شؤون فلسطينية عدد ٣٩ ص ١١١ ـ ١٣٧ ، ص ١١٢ .

الاول في يافا (١٥ ـ ١٧) تشرين الاول ١٩١٩ . وكانت أقلية من البوعالي تسيون قد رفضت في ذلك العام الانضمام الى اتحاد العمل . وكانت اسباب انقسامها تتلخص بالتالي :

١ ـ الالتزام بمبادىء البوعالي تسيون ، ٢ ـ اتخاذ موقف ايجابي من ثورة أكتوبر ، ٣ ـ محاولة التوفيق بين مبادىء «الصهيونية البروليتارية» والمبادىء المعادية للصهيونية التي يتبعها الحزب الشيوعي السوفياتي .

أعلن م. خالدي في افتتاح المؤتمر ، ان المؤتمر مكون من الاقلية من بوعالي تسيون التي لم توافق على انضمام الاغلبية الى اتحاد العمل (احدوت هعفوداه) ، ومن عمال اشتراكيين آخرين ، لم يقبلوا بالانضمام الى حزب بوعالي تسيون ، «لانهم اعتبروه اشتراكيا أقل من اللزوم ، وحتى غير ديمقراطي بما فيه الكفاية» . ولقد اتفق هؤلاء جميعا على «اقامة حزب اشتراكي راديكالي في فلسطين» .

وقرر المؤتمر : ١ ـ ابلاغ البوعالي تسيون بتجديد نشاط الحزب . ٢ ـ معارضة الاممية الثانية ، ورفض تمثيله فيها . ٣ ـ عدم الاعتراف بالاتحاد العالمي ما دام يرسل ممثليه الى الاممية الثانية . ٤ ـ السير «سوية مع كل جماهير العمال في البلاد دون فرق في القومية» و«العمل على ايجاد طرق التقارب والتفاهم بين العمال اليهود وبين الكادحين العرب» (٣) .

وعلى الرغم من ان جماعة خالدي ومايرزون وقفوا ضد البوعالي تسيون ، والاممية الثانية ، وانحازوا الى جانب ثورة أكتوبر ، فانهم ظلوا يقفون على أرضية «الصهيونية ـ البروليتارية» . وكان مكمن تناقضهم الجوهري ، انهم ارادوا ان

---

٣ ـ ماهر الشريف : مرجع سابق ، ص ١٠٦ ـ ١٠٩ .

يكونوا ماركسيين على أرضية صهيونية وبروليتارية معـــا (٤) . ويشير احد التقارير البريطانبة الى ان الذين انشأوا هذا الحزب وصلوا الى فلسطين حوالي آذار سنة ١٩٢٠ ، وانهم «ينتمون الى جمعيات شيوعية في روسية» . وقد «قرروا انشاء جناح يساري لحركة عمال صهيون ذي اتجاه شيوعي» ... «وان هذا الجناح اليساري اتخذ موقفا بلشفيا علنيا على الرغم من انه لم ينتسب رسميا الى الاممية الثالثة . والعقبة الاساسية التي تقف في وجه هذا الانتساب هي فكرة القومية التي ما يزال هذا الجنـــــاح متمسكا بها» (٥) .

ومع ذلك ظل الحزب يعتبر نفسه جزءاً من الاتحاد العالمي . وقرر في تموز سنة ١٩٢٠ ، ان يوفد امينه العام باكو مايرزون لتمثيله في المؤتمر الخامس للاتحاد العالمي .

دار نقاش حول قبول مشاركة مايرزون او رفضها في المؤتمر. وقد وافق ممثل الاتجاه اليساري على قبوله ، وعارض بن زفي ممثل اتحاد العمل مشاركته ، باعتبار الحزب الذي يمثله «لا يدافع مطلقا عن الصهيونية» . وكانت النتيجة ان تمت الموافقة علـــى مشاركته ، باعتباره مراقبا (صوت استشاري) .

القى مايرزون خطابا شدد فيه على النقاط التالية : ١ ـ ان مشروع الانقاذ السريع والعاجل في فلسطين مضلل ، وان هناك في فلسطين سكانها العرب الذين سيقاومون الوافديــــن ، وان الارض الصالحة للزراعة ، غير المسكونة ، ليس الحصول عليها سهلا . ٢ ـ حذر من النتائج الخطيرة المترتبة على التعـــاون الصهيوني ـ البريطاني. ٣ ـ وطالب بانشاء مؤسسات اقتصادية

---

٤ ـ موسى خليل وماهر الشريف : المرجعان السابقان ، ص ١١٣ و١١٠ .

٥ ـ د. سليمان بشير : المشرق العربي في النظرية والممارسة الشيوعية (١٩١٨ ـ ١٩٢٨) ، ص ٩٦ .

وسياسية ونقابية مشتركة ورص صفوف العمال العرب واليهود في اتحاد اشتراكي ، «وتجميع القـــوى للقضاء على الحكـــم الاستعماري ، الثقيل» (٦) .

اثار خطاب مايرزون احتجاج اوساط المؤتمر ، فاضطـــر لمغادرته . وكانت لجنة خاصة قد قررت اقصاءه لانه : «شهَّـر بالجماهير اليهودية في فلسطين ، عندما حمَّلها مسؤولية تفجير الصراع ضد العرب» (٧) .

كتب مايرزون في ٢٥ـ٨ـ١٩٢٠ انه فشل في مهمته، الهادفة الى تجميع المجموعات الشيوعية في الاتحاد العالمي ، ونبَّه الى ان قيادة الاتحاد الجديدة سوف ترسل وفدا الى فلسطين لحـــل حزب العمال الاشتراكي ، «واقامة حزب بوعالي تسيون مقبول ، او كتلة يسارية في احدوت هعفوداه» (٨) .

ولم تستطع قيادة الحزب ان تتحمل مسؤولية خطـــاب مايرزون ، فكتبت الى كونترس صحيفة «احدوت هعفوداه» تقول: انه اذا كانت الانباء صحيحـــة ، فان مايرزون لم يعبر عن آراء الحزب .

وقد قادت هذه الحملة التي خاضتها الاوساط الصهيونية ، والصهيونية اليسارية ضد حزب العمال الاشتراكي الى تعزيـــز مواقع البوعالي تسيون فيه . ومن جهة اخرى فقد ارسلت قيادة الاتحاد العالمي مجموعة من الكوادر لمواجهة اتجاه مايرزون ، فتعاون هؤلاء الموفدون مع تنظيم مواز ، كان يقوده ابراهام ريفوتسكـــي (A. Revutsky) اسمه «مجموعة المبادرة» .

---

٦ ـ ماهر الشريف وموسى خليل : المرجعان السابقان ، ص ٢١٣ و١١٣ .

٧ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

٨ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ص ٢١٣ .

انعقد في هذه الظروف المؤتمر الثاني للحزب (حيفا ٢ ــ ٤ /١٠/١٩٢٠) ، وشارك فيه اثنان وعشرون مندوبا يمثلون ثلاثماية عضو ، كما اشترك فيه ممثل عن قيادة الاتحاد العالمي (اليساري) للبوعالي تسيون . كانت النزعة الصهيونية البروليتارية هي المسيطرة ، ولذلك اعرب المندوبون عن اقتناعهم بأن الهجرة الى فلسطين : «لا تتعارض مع مصالح العمال والفلاحين العرب ، بل على العكس ، فهي تتوافق مع مصالحهم» . دعا المؤتمر الى انشاء مؤسسات سياسية واقتصادية مشتركة للعمال العرب واليهود، وأدان سياسة القيادة السابقة التي لم تنهج هذا النهج . وكان اهم ما قرره المؤتمر ضرورة انشاء حزب اشتراكي ثوري موحد ، قائم على اساس «فرعين قوميين» ، عربي ويهودي . لان «العرب وحدهم يقدرون على خلق حركة ثورية بين الجماهير العمالية وشبه العمالية العربية في فلسطين» . وفي الوقت الذي اعتبر المؤتمر فيه ان من مهمة الحزب المساهمة في بناء الحزب العربي ، اعتبر نفسه قائما بدور حزب ثوري قطري . وقرر المؤتمر ان هدف الحزب بناء الاشتراكية ، وأن النضال الطبقي هو طريق الوصول اليها ، ودعا لتصعيد النضال «ضد الادارة البريطانية ، ومحاربة الاوهام التي تنشرها احزاب العمال الاشتراكية الشوفينية حول هذه الادارة» (٩) .

ارسلت قيادة الاتحاد العالمي (اليساري) وفدا من ثلاثة للتحقق من أهلية الحزب للانضمام للاتحاد . وقد رأى الوفد ان الحزب بات مؤهلا ، بعد تصفية الجناح المعارض للمشروع الصهيوني ، وبعد وصول مجموعات من المهاجرين الجدد الموالين لافكار البوعالي تسيون . وطالب الوفد باعتبار الحزب فرعا للاتحاد العالمي (اليساري) . فوافقت قيادة الاتحاد على ذلك في ٢ــ١١ــ١٩٢٠ ،

---

٩ ــ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢١٥ ــ ٢١٦ .

وطالبت الحزب باضافة كلمة العبري الى اسمه . ونتيجة لذلك انضمت له مجموعة المبادرة في ١٧ـ١١ـ١٩٢٠ وصار اسمه « حزب العمال الاشتراكي العبري في فلسطين » (M.P.S.I) [١٠] .

وكان الحزب قد احتفل في ٧ـ١١ـ١٩٢٠ بالذكرى الثالثة لثورة اكتوبر ، وحضر الاحتفال جوزيف روزنتال وابنته شارلوت. وعلى اثر الاحتفالات قامت السلطات البريطانية بطرد روزنتال وابنته ، وباعتقال عدد من الحزبيين ، واغلاق ناديهم ومصادرة منشوراتهم [١١] .

انتصر الاتجاه البوعالي تسيوني ، وصفّي مايرزون الصهيوني البروليتاري ، ولكن الصراع استمر في الحزب ، وانعكس في انتخابات الهستدروت (حيفا ٤ـ١٢ـ١٩٢٠) . وقد طرح سيكادور ممثل الحزب وجهة النظر الحزبية القائمة على اساس ان يكون الهستدروت تجمعا نقابيا لكل العمال في فلسطين ، وأن يكون «البرلمان الاممي والناطق السياسي باسم الطبقة العاملة اليهودية ــ العربية في فلسطين» . ويذكر ان الحزب طرح بيانا استثنائيا في المؤتمر ، لم يسمح لتاليه ان يتمه ، وانزل عن منصة المؤتمر ، وحذف ما جاء فيه من تشهير بالعمال اليهود من محاضر الجلسة. ولذلك وقف آدوني احد مندوبي الحزب ، مدافعا عن موقفه ، نافيا ان الحزب يعادي الصهيونية ، واعتبر هذا الاتهام « كذبا فاضحا» ، واضاف : «لقد كنا كتبنا على راياتنا قبل عشرين عاما، بأن الحل الجذري لمسألة البروليتارية اليهودية يكمن هنا في فلسطين . ان هذا هو راينا حتى اليوم ... ان العمال اليهود

---

١٠ ــ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

١١ ــ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

يهتمون وحدهم لمصلحة الصهيونية ، وليست البرجوازية اليهودية التي لا تهتم سوى بمصالحها» (١٢) . ولكن هذا النفي لم يغير موقف الفئات الاخرى من الحزب .

حصل الحزب في انتخابات الهستدروت حيفا ٢٥ ـ ٢٨ /١٢/ ١٩٢٠ على ٦،٨ بالمئة من الاصوات (٣٠٣ من ٤٤٣٣) . وأوصل ستة من مندوبيه الى المؤتمر من بين سبعة وثمانين عضوا، وعضوين في الهيئة الادارية من بين ثلاثة وعشرين عضوا (١٣) . وهذه اسماء المندوبين : م. خالدي، ه. كاتس ، ي. سيكادور ، أ. ريفوتسكي ، غرستون دوا ادوني ، ي. شبيرا (١٤) .

الا ان الحزب لم يواصل العمل في الهستدروت . وقرر الانسحاب منه موضحا الاسباب ، كما يأتي : «لاننا لا نريد تحمل جزء من المسؤولية في نشاطات الهستدروت ، التي بدلا من ان تهتم بالنشاطات النقابية والجماعية ، فانها تمارس سياسة برجوازية صهيونية ، وتتحول بذلك الى منظمة صفراء ، متخاذلة تخون جذريا مصالح العمال . ولهذا فقد قررنا بعد التشاور داخل حزبنا ، الانسحاب من الهستدروت ، والقيام بنشاط نقابي مستقل على جميع الاصعدة ..» (١٥) .

وما لبث المؤتمر الثالث ان انعقد (٢٢ ـ ٢٥ نيسان ١٩٢١) في يافا . حضره ستة وعشرون مندوبا. بدّل الحزب اسمه ، فصار «الحزب الشيوعي اليهودي : البوعالي تسيون» ، معتبرا نفسه

---

١٢ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

١٣ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

١٤ ـ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ويذكر خالدي بالهاء (هالدي) ... والاصح خالدي .

١٥ ـ موسى خليل وماهر الشريف : المرجعان السابقان ، ص ١١٤ و٢١٨ ـ ٢١٩ .

«الفرع القومي اليهودي» للحزب الشيوعي في فلسطين ، الذي يجب ان يشكل من فرعين قوميين يهودي وعربي حسب قرار المؤتمر السابق . وعاد المؤتمر فأكد مساندته للاتحاد العالمي (اليساري) ، على اعتبار انه : «المنظمة القيادية الوحيدة لجميع الشيوعيين اليهود» ، وأكد تمسكه ((بمبدأ تشكيل الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان المتعددة القوميات على قاعدة «الفروع القومية»)) . وتضمنت قرارات المؤتمر موقفا من الهستدروت ، اعتبر بموجبه ضد مصالح العمال ، وعليه دعا القرار العمال في فلسطين للنضال الحازم من اجل : «تحطيم الاحزاب الخائنة وتحطيم الهستدروت ، واقامة منظمات عمالية مكانها» . وكان المؤتمر العربي (الثالث) من القضايا التي ناقشها المؤتمر ، فاعتبر المؤتمر المذكور «المعبر السياسي عن الطبقات المستغلة داخل المجتمع العربي» . ولذلك «دعا المؤتمر الجماهير الشعبية العربية للعمل على خلق حركة عمالية وفلاحية قادرة على خوض النضال» ضد «الحركة القومية الشوفينية» (١٦) . وكان من قرارات المؤتمر ما اشرنا اليه سابقا حول الانتساب للاممية الثالثة .

أعد الحزب نفسه لنشاطات خاصة بمناسبة اول ايار، فأصدر بيانات بالعربية والعبرية واليديشية . وقرر اقامة مهرجانين في حيفا ومظاهرة في يافا . وكان البيان المكتوب بالعبرية ، والموقع باسم : «الحزب الشيوعي اليهودي : البوعالي تسيون» يقول : «لقد عقدت الرجعية اليهودية تحالفا مع زعيمة الرجعية العالمية (...) مع العدو الاكبر لروسيا السوفياتية وللبروليتاريا العالمية (...) لقد استند الحكام الانكليز على دعم الرجعية اليهودية ، ولكنهم استطاعوا ايضا استخدام الافندية (العرب)

---

١٦ ــ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

لتحقيق مآربهم (...) وقد استطاع المستغلـــون (بكسر الغين) اليهود ، وقطاع الطرق الامبرياليون الانكليز الحصول في «عملهم الحسن» على دعم عملائهم الخونة والمرتدين ، داخل الحركـــة العمالية اليهودية ، مثل احزاب «اتحاد العامل» و«العامل الفتى» ومثل الهستدروت (...) » . وكان ان شدد الحزب على اهدافه التي قررها مؤتمره ، والتي تتلخص بدعوة جماهير العمال اليهود الى النضال من اجل تحقيق مبادىء البوعالي تسيون الشيوعية ، ومشاركة الحـــزب في معركته التي يخوضهـــا الى جانب : «البروليتارية العالمية ، ومع الجماهير المضطهَدة والمستغَلـــة العربية» .

اما البيان العربي فكانت لهجته مختلفة وتوقيعه مختلفا . كان موقعا باسم «اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي في فلسطين» . وكان يقول : «يعيش معكم العمال اليهود الذين لم يأتوا لاضطهادكم بل كي يعيشوا معكم ، وهم مستعدون للجهاد بجانبكم ضد هؤلاء الاعداء الماليين من اليهود والعرب والانكليز (...) ان هذا العامل اليهودي ، جندي الثورة ، جاء يمد يده الى ايديكم كزميل لكـم لمقاومة الماليين الانكليز واليهود والعرب . ومصيركم واحد فـــي الحرية كان أم في الاضطهاد . ولا تنتهي عذابات العمال والفلاحين، الا اذا تحرروا جميعا من هذه العبودية الضاغطة عليهم (...) . في هذا اليوم التاريخي ، يوم اول مايو ، نناديكم ان تنضموا الى الشيوعيين الروسيين للجهاد ضد قتلة باريس ولوندرا ، الذين يقررون مصيرنا كأننا غير موجودين ، او كأن لا سلطة لنا لتقرير مصيرنا . نناديكم للجهاد ضد الاغنياء الذين يبيعون البلاد وأهاليهم للاجانب . اتحدوا مع الشعب الروسي فهو يساعدكم لنـــوال حريتكم واستقلالكم الوطني (...) . فلتسقط الحراب الانكليزية والفرنسية . وليسقط اصحاب الثروات العـــرب والاجانب . وليحيى المؤتمر الثالث الدولي الشيوعـي . ولتحيى الثـــورة الاجتماعية في العالم . ولتحيى سلطة العمل . ولتحيى فلسطين

السو فياتية» (١٧) .

فجّرت مظاهرة يافا الاضطرابات بين العرب واليهود (١٨) . وقد حمّلت السلطات البريطانية والدوائر الصهيونية حزب العمال الاشتراكي مسؤولية الاحداث ، فألقت القبض على الكثير من اعضائه (١٩) . وابعدت اربعة عشر من قادته الى الاتحاد السوفياتي (٢٠) . لقد تشتت الحزب عمليا ، وكان من قادته الذين ابعدوا ولف اوفرباخ (ابوزيام) Wolf Averbach وغرسودويا Ghersodua المعروف ب Avigdor والمنظّر اسحق ميزسون Yitzhak Meizson (٢١) . وقد تضمن تقرير للمندوب السامي البريطاني بتاريخ ٢٤-٦-١٩٢١ «اعتقال ٣٤ شخصا ممن ينتسبون الى الجمعية الشيوعية في فلسطين» . اما اللجنة المركزية للحزب، فقد أكدت اعتقال ونفي ١٨ شيوعيا (٢٢) .

وكانت جماعة اخرى ، تسعى لانشاء حزب شيوعي في فلسطين . وقد استفادت من تشتت حزب العمال الاشتراكي العبري ، وبدأت العمل . ولكنها قررت من خلال «عمال صهيون»،

---

١٧ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

١٨ ـ ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين ، دار الطليعة الطبعة الثالثة .

١٩ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

٢٠ ـ هاني حوراني : دراسة سياسية ، قراءة في سياسة الحزب الشيوعي الفلسطيني (مجلة حيفا) (١٩٢٤ ـ ١٩٢٦) شؤون فلسطينية عدد ٥٨ ، حزيران ١٩٧٦ ، ص ١٤٤ .

٢١ ـ ناجي علوش : الحركة الوطنية الفلسطينية ، دار الطليعة ، طبعة ثانية ، ص ١٨٤ .

٢٢ ـ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

لتأمين واجهة شرعية ، وبحجة تخريب الحزب من الداخل (٢٣) . وحين اكتسبت هذه المجموعة بعض القوة داخل «عمال صهيون» قررت انشاء حزب شيوعي سري . الا ان الحزب الجديد اربكته منذ البدء صراعات داخلية ، دارت حول الموقف من «الصهيونية البروليتارية» . وكانت قيادة الحزب تلتزم خط التهدئة بين الطرفين المتناحرين ، تؤيدها في ذلك الاغلبية من اعضاء الحزب (٢٤) .

انعقد في ايلول ١٩٢٢ المؤتمر الرابع . كان هناك اتجاهان : اغلبية تعد حوالي ثلاثماية عضو ، واقلية تعد مائة وخمسين عضوا (٢٥) كان يقود الاغلبية «ايليشا» والاقلية «برزيلاي» ... وكان الخلاف يدور حول النقاط التالية :

١ ـ العلاقة مع البوعالي تسيون : فالاقلية تطرح الانسحاب الفوري ، والانضمام غير المشروط لصفوف الاممية الشيوعية الثالثة . وهذا ما لم توافق عليه اغلبية اعضاء المؤتمر .

٢ ـ الموقف من الحركة القومية العربية : كانت الاقلية تعتقد ان تعاونها مع الحركة القومية العربية «قضية مبدئية في استراتيجية النضال المعادي للاستعمار» ، مع انها كانت تعرف ان القيادة المهيمنة قيادة رجعية . بينما كانت الاغلبية تعارض تقديم اية مساندة للحركة القومية العربية ، بسبب التركيب الاقطاعي ـ البرجوازي لقيادتها .

وكانت الاقلية تعتقد ان خروجها من الحزب المذكور ، سيوفر لها الشروط للتخلص «من كافة العناصر البرجوازية الصغيرة ،

---

٢٣ ـ هاني حوراني : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

٢٤ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ـ ١٩٥ .

٢٥ ـ هاني حوراني : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

وسيمكنهم من التطور كنواة للمنظمة الثورية المستقبلية (الممثلة لمصالح) البروليتاريا الفلسطينية» . كما كانوا يعتقدون ان انسلاخهم سيسهل لهم الانتماء للاممية الشيوعية .

اما الاغلبية فقد قررت ، بعد انسحاب الاقلية ، الانضمام الى الاممية الثالثة خلال ثلاثة اشهر ، بينما قررت ايضا ضرورة اقامة المركز العمالي اليهودي في فلسطين ، وزيادة هجرة اليهود الجماعية اليها (٢٦) .

كان حزب العمال الاشتراكي العبري ، قد تحول الى الحزب الشيوعي اليهودي ، اثر انشقاق مجموعة أ. ديفوتسكي ، التي رفضت موقف اللجنة التنفيذية ، وأنشأت «الحزب الديمقراطي الاشتراكي اليهودي» الذي لم يعمر طويلا (٢٧) .

أسست الاقلية في الحزب الشيوعي اليهودي حزبها باسم «الحزب الشيوعي في فلسطين» (K.P.P) وكان من شعاراته : «اهربوا من جحيم الصهيونية» (٢٨) . أنهى هذا الحزب علاقاته باحدوت هعفوداه ، («وقاطع المؤتمر الثاني للهستدروت الذي عقد في ٧ـ٢٠/١/١٩٢٣» بهدف «الوصول الى الجماهير العربية») ودعا الى هدم الهستدروت كشرط لبناء تنظيم عمالي ذي وعي طبقي . اما المجموعة الاخرى ، فقد اطلقت على نفسها ، بعد انشقاق الاقلية اسم الحزب الشيوعي الفلسطيني (٢٩) .

دار خلال الاشهر التالية صراع شديد بين الحزبين الجديدين . وبذل كل منهما جهودا كبيرة لاستقطاب اعضاء جدد ، الا ان الثمرة

---

٢٦ ــ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

٢٧ ــ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

٢٨ ــ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

٢٩ ــ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

كانت محدودة نتيجة انشغالهما بصراعهما الداخلي (٣٠) .

حاول الاتحاد العالمي ان يستغل الصراع ، فأرسل عددا من كوادره لمحاصرة نشاط الاقلية وتعزيز موقف الاغلبية . وصلت المجموعة الجديدة أواخر سنة ١٩٢٢ . وكان ابرز من فيها ولف اورباخ المتعدد الاسماء : دانييل ، حيدر ، ابوزيام الذي سيبرز فيما بعد ، باعتباره الامين العام للحزب الشيوعي في فلسطين ، بعد التوحيد .

ولكن الاغلبية كانت تزداد ابتعادا عن الاتحاد العالمي ، وتقترب من مواقف الاقلية . ولذلك عقد مؤتمر الوحدة في التاسع من تموز سنة ١٩٢٣ ، بعد مفاوضات بين أورباخ وبرزيلاي ، تأكد فيها ممثلو الاقلية ، ان الاغلبية قطعت العلاقة مع الاتحاد العالمي اليساري ، وابدت استعدادا للتعاون مع الحركة القومية العربية في النضال ضد الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية (٣١) .

كان من ابرز نتائج المؤتمر : ١ ــ اقرار الوحدة الحزبية . ٢ ــ توحيد النشاط النقابي وتشكيل «الكتلة العمالية» . ٣ ــ تشكيل لجنة مركزية واحدة ، خمسة عن الاغلبية وثلاثة عن الاقلية . ٤ ــ تسمية الحزب باسم الحزب الشيوعي في فلسطين (ب.ك.ب.) . ٥ ــ اعتبار «الحركة القومية العربية احد العوامل الاساسية التي تقاوم الاستعمار البريطاني» ، واعتبار ان من واجب الحزب «القيام بكل شيء من اجل مساندة هذه الحركة بمدى مقاومتها للاستعمار» . ٦ ــ ادانة الحركة الصهيونية باعتبارها حركة «تتجسد فيها تطلعات البرجوازية اليهودية» ، وباعتبارها تقف «في جبهة واحدة مع الاستعمار البريطاني ، حيث ربطت

---

٣٠ ــ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

٣١ ــ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

مصيرها مع المحتلين الامبرياليين» ، ودعوة العمال اليهود للنضال ضدها ، وخاصة ضد «اتجاهاتها البروليتارية» . ٧ ـ ايفاد اورباخ الى موسكو لترتيب امر الانضمام الى الامية الثالثة (٣٢).

ولقد وافقت اللجنة التنفيذية للامية على الطلب ، كما بينت سابقا ، وبات هنالك حزب شيوعي في فلسطين عضو في الاممية.

ان تاريخ هذه المرحلة معقد ، وقد آثرت ان أسهب فيه ، لأبين كيف نشأت الحركة الشيوعية في فلسطين . لقد نشأت :

١ ـ في اوساط العمال اليهود ، والجدد خاصة .

٢ ـ نشأت وسط اليسار الصهيوني ، وفي الصراع داخله .

٣ ـ عكست التناقضات والصراعات داخل الحركة الاشتراكية والشيوعية عشية الحرب العالمية الاولى . وكانت الانشقاقات والصراعات طابع هذه المرحلة (٣٣) .

٤ ـ كان موقف العمال اليهود القادمين من الخارج ضد الصهيونية عموما ، ومع مشروع صهيوني بروليتاري ، ولكن موقف الاممية الشيوعية هو الذي كان ينبه الى ضرورة وجود حزب عربي ، يناضل العمال اليهود من خلاله ... وكان التعريب شرطا اساسيا لقبول الحزب عضوا في الاممية . كما كان الانسحاب من الاتحاد العالمي (اليساري)، ومحاربة الصهيونية شرطين آخرين .

في غمرة هذا الصراع ولد الحزب ، فهل استطاع ان يتجاوز الارضية التي نشأ فيها ، والمؤثرات التي تحيط به ؟ هذا ما

---

٣٢ ـ ماهر الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

٣٣ ـ بيانات وموضوعات ومقررات الاممية الشيوعية : المؤتمران الاول والثاني ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ ، النصوص الكاملة ترجمة طلال الحسيني ، دار الطليعة ، الطبعة الاولى ، آب ١٩٧٢ ، ص ١٦ و٢٤ .

سوف تجيب عليه تجربة السنوات اللاحقة .

ب) ١٩٢٤ ـ ١٩٢٩ : ان الانتساب للاممية ، والطلاق مع البوعالي تسيون لم يحل مشاكل الحزب . وظل يواجه اشكالاته الخاصة الداخلية والخارجية . فعلى الصعيد الداخلي عاد الحزب يعاني ، وبعد اعتراف الاممية به بوقت قصير ، لا يتعدى الاشهر، من حالة انقسام وتفكك . ذلك ان الاقلية اخذت تشكو من تفرقة تمارس ضدها . ولم تكن راضية عن الحصة التي أعطيت لها في اللجنة القيادية ، وهي ثلاثة من ثمانية . ومما زاد الامر تعقيدا ان الاقلية كانت منقسمة على نفسها .

وكانت القيادة تواجه عددا من الاتهامات الخطرة : الانهزامية، عدم الفعالية ، الميول التصفوية . وقد عزز واقع الحزب الفعلي هذه الاتهامات . كان عدد اعضاء الحزب قد تدنى فأصبح ثلث ما كان عليه قبل سنتين (٣٤) .

وعلى الصعيد الخارجي كانت الحملة الصهيونية ضد الحزب تزداد شراسة ، ولذلك طرد من الهستدروت في نيسان سنة ١٩٢٤ . وكان قسم الشغيلة التابع للحزب قد ابرز قادة عماليين، خلال النضالات ضد البطالة ، ومن اجل الوحدة مع العرب . ولم يستطع الهستدروت ان يتساهل مع جماعة معادية للصهيونية(٣٥) . وكانت حجة الهستدروت ان الحزب لم يطرد بسبب وجهات نظر يعتنقها ، بل بسبب نشاطه التخريبي (مظاهرات ضد الهستدروت، هجمات على مجالس العمال المحلية ، وهجمات لاذعة في الصحف الفلسطينية والشيوعية الاوروبية على منظمة العمال اليهود الذين

---

٣٤ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

٣٥ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١١٥ . ويمكن مراجعة د. سليمان بشير : المرجع السابق ص ١٤٧ .

كان يسميهم «الفاشيين الصفر» (٣٦) .

وكانت الهجمة الصهيونية تزداد شراسة بسبب توجه الحزب العربي . فهو من جهة مطالب ان يترك الغيتو اليهودي ويعـرب نفسه . وهو من جهة اخرى يأخذ مواقف علنية مؤيدة للنضـال العربي . وكانت هناك حادثتان سنة ١٩٢٤ أيدتا هذا الاتجاه . الاولى : عندما وقف الحزب مع الفلاحين العرب المطلوب اخراجهم من اراضيهم ، بعد ان اشتراها الصندوق القومي اليهودي . وقد وقف الحزب ضد اخراجهم ، وضد بناء المستعمرات على حطام القرية الفلاحية العربية . والثانية : عندما أيد في انتخابات بلدية القدس سنة ١٩٢٤ مرشح الحركة القومية العربية .

انعقد مؤتمر الحزب الخامس في هذه الاجواء (٩ تموز ١٩٢٤) . عزل المؤتمر القيادة ، وانتخب قيادة جديدة عرفت باسم جماعة : (Emek - Nachum - Litvak) . وكان هاجس المؤتمر الخامس هو التعريب فرفع شعار «خروجا من الغيتو اليهودي» . وباتت القناعة السائدة هي ان نجاح الحزب مرتبط بتحوله الى حـزب عربي جماهيري .

ولكن هل حصل التعريب ؟ هناك محكان سوف نستخدمهما لاكتشاف هذه الحقيقة .

أولهما : تزايد عدد العرب في الحزب .

وثانيهما : سياسة الحزب في هذه المرحلة .

على صعيد القضية الاولى تشير التقارير الى ان اول عربـي انضم للحزب سنة ١٩٢٣ . وان الحزب لم يكتسب اكثر من عربي واحد سنة ١٩٢٤ . وقد حضر مؤتمر الحزب الثالث في حزيران ١٩٢٤ عربي واحد فقط من تسعة عشر مندوبا (٣٧) . وارتفع العدد

---

٣٦ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

٣٧ ـ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

الى ثمانية سنة ١٩٢٥ . وتشير بعض التقارير الى ان واحـــدا وعشرين عربيا من عمال المخابز انضموا الى جماعة بايكر في يافا . وحين انعقد مؤتمر الوحدة (ايحود) في كانون الاول سنة ١٩٢٦ ، اتضح ان للعرب وجودهم ، اذ كان ثمانية عشر عربيــا من بين المبعوثين الخمسة والثمانين . ولقد نجح عربيان من بين الاعضاء الستة في مجلس الحزب الاعلى (برزيديوم) . وتشير التقارير الى ان عدد العرب ازداد سنة ١٩٢٧ (٣٨) .

وكان ان شارك العرب في احتفالات اول ايار سنة ١٩٢٦ الى جانب العمال اليهود ، وان حوالي مائتين وخمسين عاملا عربيـا اضربوا في تلك المناسبة في حيفا ...

وقد ارسلت اول مجموعة عربية الى موسكو ، بعد المؤتمر السادس ، سنة ١٩٢٦ لتدرس في مدارس الكومنترن ... (٣٩) وتورد التقارير اسماء نمر الحاج ، وعثمان ابو طبيخ ، وأحمد حمدي صدقي ، وعبد الغني الكرمي (٤٠) .

كما ان الحزب اصدر مجلته العربية الاولى في حيفا ما بين ١٩٢٤ ـ ١٩٢٦ (٤١) . ويمكن من دراسة هذه المجلة ان نكتشف أبعادا سياسية عامة . وكانت هذه السياسة تتلخص بما يلي (٤٢) :

---

٣٨ ـ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ١٧٠ .

٣٩ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .

٤٠ ـ د. سليمان بشير : المرجع السابق ، ص ١٧١ ، وأحمد محمد صدقي على الارجح هو نجاتي صدقي الذي كان من اوائل المغادرين ، وتزوج سوفياتية كانت تعيش معه في بيروت حتى السنوات الاخيرة .

٤١ ـ هاني حوراني : المرجع السابق . و د. سليمان بشير : ص ١٦٩ . يبدو ان حيفا كانت اول دار نشر شيوعية .

٤٢ ـ هاني حوراني : المرجع السابق . والاعتماد هنا على هذه الدراسة فقط ، لانني لم أر المجلة بعد .

١ ــ النزعة النقابية . وهي تدعو لوحدة العمال ، العرب واليهود ، دون اعتبار للقومية او المعتقد ، ودون اهتمام بالسياسة . ولقد رفضت المجلة خروج العمال العرب ، من نقابة سكة الحديد التي تسيطر عليها قيادة صهيونية .

٢ ــ النزعة الطبقية الخالصة . تمثلت في الدعوة لبناء حزب عمالي فلاحي، وكأنما كانت قيادة الحزب ترى ان هناك طبقات مبلورة، وان المطلوب انجاز التحالف العمالي الفلاحي لاسقاط الطبقات الاخرى ، دون دراسة الواقع وعلاقاته وامكانياته .

٣ ــ النظرة للمسألة الوطنية : ان المجلة لا تعكس مواقف محددة للنضال ضد البرامج الصهيونية والامبريالية البريطانية، وتعكس هجوما على القيادات «الوطنية» العربية ، بينما لا تعكس موقفا مماثلا من الحركة الصهيونية .

ومع ذلك فهناك ما يشير الى اتصالات جرت مع بعض الوطنيين العرب ، والى التشديد على بعض الشعارات مثل «شن حملات ضد الانتداب البريطاني ووعد بلفور ، ومن اجل استقلال فلسطين» . وكان المؤتمر السادس الذي اعترف بوجود «جناح يساري داخل الحركة العربية» في تقرير له قد ذكر «بأنه ليس بين الحركات السياسية والاجتماعية الجارية في الشرق الادنى وبين الشيوعية شيء مشترك» (٤٣) .

كان هذا الخط «الطبقي اليساري» منسجما مع الخط الذي تبنته اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة بعد موت لينين ، ومنذ سنة ١٩٢٤ تحديدا ، والذي أكدته في مؤتمرها السادس * حين

---

٤٣ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١١٥ .

* من المفيد هنا قراءة كتاب تروتسكي : الاممية الثالثة بعد لينين والاشتراكية في بلد واحد . دار الحقيقة ، بيروت . يسمي تروتسكي الخط الذي ساد ٢٤ ــ ١٩٢٥ خطا يساريا ومغامرا . ويقول بأن الخط الذي حل محله ، بعد ذلك ، كان انحرافا يمينيا : الصفحات ٣١ و٤٧ تحديدا .

قررت ادانة الاحزاب البرجوازية الخائنة مثل الكومنتانج في الصين والوفد في مصر ، ودعت لتأجيج النضال الطبقي بديلا عن سياسة التعاون مع الحركة الوطنية . ولقد درست قيادة الحزب الشيوعي هذه القرارات ، وأجرت التبديل اللازم في سياستها ، فأسقطت شعار «برلمان ديمقراطي في فلسطين» ورفعت شعار «دولة العمال والفلاحين» . وكان هذا يعني عدم الاستعداد لقبول اي تعاون مع الحركة الوطنية التي تقودها البرجوازية .

قام الحزب خلال السنوات (١٩٢٦ ــ ١٩٢٨) بنشاطات متعددة ، ولكن الانقسام كان مسيطرا عليه . فهو من جهة يساند الفلاحين العرب في الدفاع عن ارضهم ، كما حدث سنة ١٩٢٨ بالنسبة لقضية وادي الحوارث ، المماثلة لقضية العفولة المشار اليها سابقا . وهو من جهة اخرى يعمل لكسب العمال اليهود في كتيبة العمال (Ahud Arodah) . ونشراته بالعربية تدعو كل وطني عربي لان يهب مقاتلا لانقاذ بيته وبلاده من الغزاة ، بينما تدعو نشراته بالعبرية واليديشية للتضامن بين العرب واليهود .

ولقد ظهر الانقسام جليا ، قبل انعقاد المؤتمر العربي السابع سنة ١٩٢٨ . ولذلك وجهت جماعة سمت نفسها «مجلس العمال اليهود» رسالة مفتوحة الى المؤتمر جاء فيها : «ان وطن اليهودي حيث صدف أن يكون قد ولد ، بينما تخص فلسطين العرب ... وانه لواجبنا المقدس ان نقاتل جنبا الى جنب مع العرب ، ونستنهض شعوب العالم ضد الخطر الصهيوني» . ولما كانت اكثرية الحزب اكثر اعتدالا ، فقد استصدرت قرارا ضد الاقلية وطردتها من الحزب . أيدت دوائر الاممية الثالثة الاكثرية بادىء ذي بدء ، ولكنها عادت بعد عام ، فانتصرت لرأي الاقلية ، معتبرة رأي الاكثرية مساويا «لانحراف صهيوني خطير» .

وكان الحزب يشدد خلال سنتي ١٩٢٨ ــ ١٩٢٩ على فضح

«المؤامرات الانجليزية» لتأريث نار العداوة بين العرب واليهود ، واشعال الفتنة بين الاخوة. وقبل ان تنفجر أحداث آب سنة١٩٢٩ بأسبوع ، اصدر الحزب نشرة يدعو فيها : «الجماهير الكادحة العربية واليهودية لتتجاوز الحقد العنصري والاثارة ، واتعمل على تجنب حرب اهلية» . وعندما انفجرت أحداث آب ، حافظ الحزب على هذا الخط السلمي ، الذي يدعو الى الوئام ، ونبذ الاحقاد ، مدة شهر، ولكنه عاد واشترك فيالدفاع عن المستعمرات والاحياء اليهودية ، وحمّل حكومة الانتداب مسؤولية المذابح .

هنا يقف الحزب الشيوعي مرة اخرى على المحك ، فيعود الى الغيتو اليهودي ، ويفزع امام الهجوم العربي الفلاحي على الاحياء اليهودية ، وينسى قسم كبير من اعضائه دعواته العرب للدفاع عن ارضهم . كما ينسى تماما موضوع الحركة الاستيطانية التي تهدد العربي في بيته . وقد يكون من اسباب هذا الانكفاء اتجاه الحزب لاتباع سياستين في منشوراته ، واحدة للعرب ، تدعو كل وطني عربي لان يهب مقاتلا لانقاذ بيته وبلاده من الغزاة ، والاخرى لليهود تدعو للتضامن بين العرب واليهود ضد الاستعمار البريطاني والافندية العرب .

ج) ١٩٢٩ ـ ١٩٣٩ : ان هذه المرحلة مرحلة هامة في تاريخ الحزب . ذلك ان انتفاضة آب العربية سنة ١٩٢٩ كشفت الجذور الصهيونية فيه . مما استدعى ان تتدخل اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة ، وترسل توجيهات محددة في نهاية ايلول ، حول طابع انتفاضة ١٩٢٩ (٤٤) . ولقد ادانت موقف الحزب الذي يكشف مدى : «تأثير الافكار الصهيونية والاستعمارية في عقول بعض الشيوعيين» (٤٥) . وقام شامي ، موفد الكومنترن في سنوات

---

٤٤ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

٤٥ ـ ولتر لاكور : الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، ص ١٢٦ .

سابقة الى فلسطين وسورية ، وأحد المختصين بشؤون المنطقة ، بتحليل أحداث ١٩٢٩ ، مقررا ان الحركة العربية حركة تقدمية ، وانها تعبِّر عن الصراع الطبقي في الريف . ولم يكن توجيهها ضد اليهود ليغير من طبيعتها التقدمية ، وهي لا بد متوجهة فيما بعد ضد الاحتلال والاقطاع . وكانت اللجنة التنفيذية للاممية قد اوضحت انه كان على الحزب ان يرفع شعارات مثل : «احتلال الارض ، تشكيل اللجان الثورية من الفلاحين والبدو ، الثورة الزراعية ... الخ» . وانتقدت اللجنة التنفيذية عجز الحزب عن «الانفراس بين جماهير الفلاحين الفلسطينيين العرب» . وأكدت ان كل ما حصل ناتج عن «سوء نية قيادة الحزب» وطالبت مجددا «بتعريب الحزب من أسفل الى اعلى» (٤٦) .

عقدت قيادة الحزب اجتماعا موسعا ، بعد وصول تعليمات اللجنة التنفيذية ، لمعالجة الوضع . وحاولت ان تخرج من المأزق، فأشارت الى ان الحزب كان يقر دائما «بالبعد القومي للتحرك العربي» ، بينما كان يعارض «الطابع الرجعي» فيه ، عند انحرافه وتحوله الى مذابح ضد اليهود . واستنكر الاجتماع الموسع «الدور الذي لعبه الصهاينة والبريطانيون كمحرضين في ذلك الاتجاه» ، ولم «يَعفِ من الاتهام زعماء الاقطاع الديني العرب» . واقر الاجتماع الموسع «بالجذور الاجتماعية العميقة للحركة العربية وبطابعها الريفي» . وأدان الاجتماع الذين تمسكوا بالتحليل السابق ، وخاصة فرع حيفا ، وقرر بناء على ذلك :

١ ــ انتهاج سياسة جديدة مناقضة للسياسة السابقة .

٢ ــ اجراء تطهير في الحزب على اساس اعادة النظر في العضوية،

---

٤٦ ــ عمار الطالبي : الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ ــ ١٩٣٩) ، شؤون فلسطينية ، العدد ١٥ ، ص ١٦٧ ــ ١٧٦ .

وكانت اعادة النظر في العضوية تقوم على اساس الاجابة على عدد من الاسئلة ، ومنها «هل تقبل وجهة النظر القائلة ان انتفاضة آب كانت نتيجة «لثورية» الجماهير العربية ؟» . وكان العضو الذي يجيب على هذا السؤال اجابة سلبية يطرد . وهكذا طردت الفئات المعارضة للخط «العربي» ، واتهمت باليمينية والتخريبية .

ولقد اعتبر كسب الطبقة العاملة العربية المهمة الاولى للحزب، واعتبر فشل الحزب في ان يكون حزبا عربيا شعبيا نقطة ضعفه الاساسية (٤٧) .

وعقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعا موسعا جديدا في كانون الاول من العام عينه ، واتخذ قراراته على اساس توجيهات اللجنة التنفيذية . وقد عزا عدم القدرة على اتخاذ موقف صحيح من احداث آب سنة ١٩٢٩ الى «الانحراف اليميني القومي» (٤٨) . ولذلك شدد على اهمية التعريب . وعبّر الاجتماع الموسع عن تفاؤله «فالثورة انتصرت ولم تضرب ، ونحن على ابواب انتفاضات اوسع وكانت المهمة الاولى للحزب الشيوعي تشجيع الثورة العربية وتوسيعها وقيادتها» (٤٩) .

وتشير دراسة نشرت في موسكو سنة ١٩٢٩ بعنوان : «الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين» الى وعي كامل بما يجري . توضح الدراسة لماذا يثور الفلاح العربي ، فالاسباب «واضحة ومفهومة». ان الفلاحين لا يكتبون «شيئا حول كيفية سلبهم ونهبهم ، فهم يحتجون بالسلاح» . وتتساءل

---

47 — Walter Laquer: Communism and Nationalism in the Middle East , Routledge and Kegan Paul - London p. 83 .

٤٨ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

49 — Walter Laquer: Ibid pp. 82 - 85.

الدراسة ، ولكن لماذا فلسطين ، وتجيب ، لان فكرة «فلسطين يجب ان تلعب الدور الرجعي الذي ترك في الدول التقدمية المسيطرة الى فكرة الوطن الأم ، اي انها يجب ان تغطي التناقضات الطبقية ، وتخلق وحدة قومية حول هدف قومي مشترك»» .

وتصل الدراسة الى ثلاث نتائج هامة :

الاولى : «ان الثورة الزراعية للفلاحين الفلسطينيين ، التي تقوم ضد «ملاكهم» الكبار ، وضد المستعمرين الامبرياليين ، سوف تقدم الفرصة لتطور عملاق لقوى انتاج البلاد وزراعتها» .

الثانية : «ان الكفاح ضد المستعمرين لا يعني ابدا تقوية حدة العداء القومي كما يظهر . ذلك ان «الوحدة الاممية للشغيلة» العربية واليهودية تتحقق ، فقط في الكفاح المشترك ضد المستعمرين اليهود . والشعارات السلمية التي تستر معنى هذا الكفاح ، لا تؤدي الا الى تعميق العداء القومي» .

الثالثة : ان الصراع الطبقي يزداد عمقا في القرية الفلسطينية، وانه «يتخذ له اهدافا جديدة باستمرار» وان فلسطين «تقترب من ثورة زراعية ضد الامبريالية» (٥٠) .

انها نظرة نشرت في موسكو ، وهي تمثل وجهة نظر الامية الثالثة ، اكثر مما تمثل وجهة نظر الحزب في فلسطين .

في هذا الجو طرحت قضية التعريب من جديد . وتجلى هذا بالتالي :

---

٥٠ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ١٨٨ ـ ١٩٦ ، وشليشتر، أ : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين ، ترجمة رياض يونس عن مجلة Agrar Problem الصادر في موسكو ، الجزء الثاني ، مجلد ٣ ، ٤ ، سنة ١٩٢٩ . انظر مجلة دراسات عربية ، السنة السادسة ، العدد ١٠ ، آب ١٩٧٠ ، ص ٢ .

اولا : عيّن القسم الشرقي في اللجنة التنفيذية للاممية لجنة مركزية جديدة للحزب ، تضم ثلاثة من العرب ، واثنين من اليهود. وعيّن رضوان الحلو اول امين عام ، حيث ظل الى سنة ١٩٣٤ ✱ ، وتلاه موسى الدجاني بعد عودته من الاتحاد السوفياتي سنـــــة ١٩٣٤ . وحين انعقد مؤتمر الحزب في كانون الاول سنة ١٩٣٠ اعاد انتخاب اللجنة المركزية المذكورة .

وقد روعي هذا الترتيب، فيما بعد . اذ ، عندما ألقي القبض على الاعضاء العرب في اللجنة المركزية بعد المؤتمر السابع سنة ١٩٣١ ، كوّنت لجنة مركزية جديدة ، بأغلبية عربيـــة مماثلة . ولقد تم تنفيذ هذا الترتيب على مختلف مستويات الحزب . وقاد ذلك الى مواجهة صعوبات جمة ، فأعيد تطهير الحزب من الاعضاء اليهود المناوئين .

وكان اورباخ الامين العام للحزب منذ سنة ١٩٢٤ ، قد رفض الخط الجديد ، فاستدعي الى موسكو ، وخلفه برزيلاي (بيرغر) الذي كان قائد الاقلية سنة ١٩٢٣ .

ولقد اضطرت اللجنة المركزية ، في ايار سنة ١٩٣٠ ، الـى اتخاذ قرار حول التعريب ، اسمته التعريب والبلشفة . وكان ذلك يعني التريث في عملية التعريب . ولقد نسب ذلك الى تخلـــف العرب ، بينما كان هذا القرار يتجاوب مع موقف الاكثرية اليهودية التي كانت ترى في التعريب إبعادا لها . وقد هاجر قسم بسبب هذه السياسة ، وترك الحزب قسم آخر . ويبدو ان القســـم الشرقي في اللجنة التنفيذية ، لاحظ ذلك الاضطراب ، فاضطر لتعيين لجنة مركزية ، كما مر معنا سابقا .

لقد كان التعريب موضع صراع ، حتى مع تدخل اللجنـــة

✱ هنا لا بد من ايضاح . ان موسى ليس الاسم الحركي لرضوان الحلو ، كما يعتقد موسى خليل . انه شخص آخر تماما ، اسمه معروف ، وهو معروف.

التنفيذية ، وعلى الرغم من توجيهاتها .

ثانيا : التوجه نحو الجماهير العربية . وتمثل هذا في أمور عدة ، منها مثلا التركيز على النوادي الوطنية والمصانع وورشات سكك الحديد في يافا ، والاحزاب والمنظمات الوطنية . وقد قرر الحزب ان يتعاون مع حزب الاستقلال ، وكان شعاره في ذلك : «السير منفصلين والعمل معا» . وقد حاول الحزب ان ينقل نشاطه من المدن الى الريف ، وانجز ذلك في منطقة القدس .

وسعى الحزب لكسب ثقة المواطنين العرب ، بكل الوسائل . ولذلك دعت صحف الحزب ، مثلا ، لاطلاق سراح معتقلي سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٣ ، وحثت على جمع التبرعات للضحايا والمصابين . وحاول بعض الشيوعيين اليهود ان ينتظموا في صفوف الحركة العربية ، الا انهم فشلوا ...

ثالثا : اتخاذ موقف نظري برنامجي ، مع الثورة العربية وضد الصهيونية . ففي اوائل هذه الفترة صدرت الوثيقتان الهامتان : قرار مؤتمر الاحزاب الشيوعية في سورية وفلسطين سنة ١٩٣١ ، ومقررات المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني . وتعتبر هاتان الوثيقتان قضية الوحدة العربية قضية مركزية من قضايا النضال في المنطقة ضد الامبريالية والصهيونية . وهما ومضتان ناصعتان في تاريخ الحركة الشيوعية العربية .

وبما ان هذا الكتاب مكرس لبحث الماركسية والمسألة اليهودية ، فسوف أقصر الحديث على برنامج الحزب الشيوعي الفلسطيني ، في مجال القضية الفلسطينية . وسأقدم هنا بعض ملامح الوثيقة : «مهمات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الارياف» (٥١) .

---

٥١ ـ الياس مرقص (ترجمة وتحرير) : الاممية الشيوعية والثورة العربية : الكفاح ضد الامبريالية ، الوحدة ، فلسطين وثائق ١٩٣١ ، دار الحقيقة ـ بيروت .

ومن اهم ما جاء في هذه الوثيقة :

١ ـ «ان الشرط الاول والاساسي لعمل ناجح في الارياف ، لا يكون الا بتعريب الحزب «اي تحويله الى الحزب الحقيقـــي للجماهير الكادحة العربية» . وذلك لان : «الثورة الزراعية هـــي الشيء الاهم ، في بلد زراعي كفلسطين ، ونظرا لان المهمـــة الاساسية للحركة الشيوعية ـ تحرير البلاد القومي والاجتماعـي من الامبرياليـــة البريطانية ، ومـــن نير الصهيونية وطبقـــة الافندية ...» .

٢ ـ «... انشاء جبهة متحدة بين العمال العرب واليهود من اجل النضال ضد الاغتصاب الصهيوني ، والاستثمار الذي يمارسه المعمرون والزراع والمشاريع الزراعية ...» . وشدد البرنامـــج المشار اليه على ضرورة التركيز ، اضافة الى المطالب العماليـــة «في الظروف النوعية التي تسود في فلسطين» على «حملة قويـــة ومتواصلة ضد طرد العمال العرب من قبل الصهيونيين» .

٣ ـ يعتبر البرنامج ان الشعار المركزي للحزب الشيوعي ، هو الاطاحة بالامبريالية البريطانية : «مستعبدة الفلاحين ، والتـــي تساند الاستعمار الصهيوني والاستثمار الاقطاعي الرأسمالـــي للفلاحين من قبل الملاكين وأصحاب المزارع العرب واليهود» . ومن الشعارات التي رفعها الحزب : «الارض لمن يزرعها ، ولا خمس او ثلث يدفع عليهـــا ، ولا دونم واحـــد للغاصبين الامبرياليين والصهيونيين» . وذهب البرنامج ابعد من ذلك فرفـــع شعار : «الاستيلاء الثوري على الارض العائدة للحكومة ، والمعمريـــن اليهود الاغنياء ، والطوائف الصهيونية ، وكبار الملاكين والمزارعين العرب» لكي توزعها لجان الفلاحين . واعتبر البرنامج هذا الشعار اساسيا من بين ثلاثة شعارات اساسية .

٤ ـ وطالب البرنامج «بعدم الاعتراف بالاتفاقات المتصلة ببيع الارض على ظهر الفلاحين» ، كما طالب «بالنضال ضد الغاصبين

الصهيونيين الذين يسرقون ارض الفلاح» ، و«رفض النقل الى مناطق اخرى ، الى شرق الاردن او سورية او داخل فلسطين» . ويدعو البرنامج «العمال اليهود الى قطع الصلة مع جماعات اللصوص والمعمرين الصهيونيين ، ومد يد المعونة الى الفلاحين المطرودين» .

٥ ــ ويرى البرنامج ايضا «ان نزع الملكية الصهيونية هو الاخطر والاقسى» بالنسبة للفلاح . ذلك ان الفلاح لا يطرد من الارض عادة بصورة مباشرة ، اذا ما نزعت الارض الحكومة او ملاك الارض . اما الشركات الصهيونية فانها «... لا تستطيع الا ان تطرده» . ولأن الحملة الصهيونية تتسم بكونها : «تحرم الفلاح من اية فرصة للحصول على عمل ...» .

٦ ــ ويرى البرنامج أن البرنامج الصهيوني في ميدان الارض، بدءا بالتحريفيين وانتهاء بالبوعالي تسيون ، هو برنامج اصلاح زراعي «لا بقصد تحرير الارض للفلاحين ، بل بقصد تحرير الفلاحين من الارض ، ونقلها الى المعمرين اليهود الصهيونيين» .

٧ ــ ويرى البرنامج في ميدان النضال ضد الصهيونية ما يلي:

أ ــ «لقد تحولت الصهيونية الى اداة للامبريالية البريطانية، تستخدمها للقضاء على حركة التحرر القومية للجماهير العربية»، «مقابل الدعم الذي تناله من الامبرياليين الانكليز» . كما ان الصهيونية : «تصنع اداة من السكان اليهود في فلسطين ، بما في ذلك المراتب شبه البروليتارية والبروليتارية» .

ب ــ ان الصهيونية فصيلة الصدام للامبريالية «تقوم بكفاح ابادة استعماري ضد الجماهير الكادحة المحلية» . وتمر هذه العملية بثلاث مراحل . الاولى : «استيطان مهاجرين في حماية الحراب البريطانية . وهذه الهجرة لا يتم منها عفويا الا القليل ، لانها «هجرة كوادر درّبت تدريبا خاصا بوسائل تقدمها البرجوازية اليهودية (ما يسمى هالوتسيم) . وأعدت خصيصا

للاستيلاء على البلاد وانشاء دولة يهودية» . اما نسبة العمال بين المهاجرين فلا تزيد عن ٥ بالمئة . والباقي برجوازية وبرجوازية صغيرة «بينها عناصر معادية للثورة ، نفيت من الاتحاد السوفياتي الخ» . الثانية : «نزع ملكية الفلاحين العرب ، واستعمار هذه المناطق من قبل اليهود ، وطرد العمال العرب واحلال اليهود محلهم ، وطرد صغار رجال الاعمال والحرفيين العرب ، وتقوية راس المال اليهودي» . الثالثة : «خلق امتيازات سياسية لليهود، بالمقارنة مع السكان العرب» .

٨ – ويرى البرنامج ، لهذا كله «ان النضال ضد الصهيونية هو تعبير طبيعي وحتمي عن استنكار الجماهير العربية ، لدرجة انه ليس ثمة حزب واحد من هذه الاحزاب العربية ، بما فيها الاحزاب المثلة الافندي والكمبرادور ، يستطيع ان يرفض استخدام الشعارات المناهضة للصهيونية» . واذا كان اليهود في فلسطين واقعين «تحت النفوذ المباشر والقيادة المباشرة للصهيونيين» ، فان الحركة المناهضة للصهيونية تبدو بالقدر ذاته «حركة مناهضة لليهود» . وهي بهذا «تعطي فرصة للامبرياليين الانكليز والبرجوازية اليهودية ، جنبا الى جنب ملاكي الارض العرب ، لكي يحولوا غضب الجماهير العربية في قناة النضال ضد الاقلية اليهودية ككل» .

ويرى البرنامج انه من الخطأ «ان ينظر الى الامبريالية والصهيونية والسكان اليهود . . . ككل عضوي واحد» . ولكن هذا لا يجعل الحزب يغير رأيه . فالمستعمرات مخافر زراعية ، والمعمر اليهودي ليس « فلاحا مضطهدا» «بالمقارنة مع العرب ، انه يشغل موقع صاحب مزرعة . . .» .

٩ – ويرى البرنامج امكانية انتقال المستوطنين الى المعسكر الثوري . ويحصل ذلك حين تعجز البرجوازية الصهيونية عن تنفيذ التزاماتها ، وحين ينحدر المستوى المعاشي للمستوطنين انحدارا كبيرا ، وفي حالات كهذه ، فان المستوطنين سيكونون

مضطرين «إما للفرار من الجبهة الامبريالية ، اي الهجرة من فلسطين ، او الانتقال الى المعسكر الثوري» .

حكم هذا الخط الحزب ، بعد توجيهات اللجنة التنفيذية سنة ١٩٢٩ . وكان يقوم على اساس : محاربة الاستعمار البريطاني، محاربة الحركة الصهيونية ، مهاجمة القيادة «الوطنية العربية» . كان الحزب يرى ان الثورة قادمة ، ولذلك فقد كان يرى ضرورة العمل لكسب خيرة الطبقة العاملة للمشاركة في الثورة . ولكن الحزب كان يرى ان الريف يعيش غليانا ، ويرى مقاومة الفلاحين «لانتزاع الارض» ، ولذلك أيّد موقف العرب في قضية وادي الحوارث ، سنة ١٩٢٨ ، كما فعل في قضية مرج ابن عامر سنة ١٩٢٤ . وكما رفض الحزب سياسة «انتزاع الارض» من الفلاحين العرب ، فقد رفض سياسة «انتزاع العمل» القائمة على طرد العمال العرب من المزارع والمشاغل الخاصة بالصهيونيين ، وهي سياسة انتهجها الهستدروت .

وكان الحزب دائم التحذير من التعاون الصهيوني البريطاني ، لانه يجعل اليهود هدفا للمذابح ...

اما قضيته المركزية فقد كانت النضال لاقامة «حكومة العمال والفلاحين» ، وبالتالي النضال ضد القيادة الرجعية للحركة الوطنية العربية . وتشدد ادبيات الحزب («على التشابه بين النضال ضد الراسمالية في اوروبة ونضال العمال والفلاحين في فلسطين ، اذ ان كلا منهما موجه ضد القوميين الاصلاحيين والفاشيين الذين يريدون طعن الجماهير من الخلف») (٥٢) . وكانت ادبيات الحزب تهاجم هؤلاء القادة ، وقد وصفهم بيان صدر بمناسبة الذكرى الثالثة لانتفاضة ١٩٢٩ بأنهم عصابة لصوص .

---

٥٢ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

يقول البيان : «ان الاتفاق بين عصابة اللصوص الذين يسمـــون انفسهم قادة وطنيين والحكومة الاستعمارية والصهيونية الغازيـة تعاون وثيق» (٥٢) .

ان الخط الذي انتهجه الحزب ، منذ اواخر سنة ١٩٢٩ ، جعله قادرا على ان يتوقع سنة ١٩٣٣ ان هناك هبة جماهيريـة وشيكة الحدوث . ولقد أكد الحزب على ان الاستقلال لا يكون الا عن طريق «حركة وطنية ثورية معادية للامبريالية والاقطاع» . وبالتالي فان الارهاب الفردي لا يجدي شيئا . ونبّه الحزب الى «الثورة الفلاحية الوطنية المسلحة» القريبة الوقوع ، مما يستدعي الوحدة والتنظيم لاقامة «حكومة عمال وفلاحين» . وحدد الحزب مطاليبه في منشور له كالتالي : «طرد المستعمرين البريطانيين ، الغاء وعد بلفور ، اعادة الارض التي ابتاعها الصهاينة من الفلاحين، النضال ضد الزعماء الاصلاحيين الخونة ، رفض دفع الضرائب للحكومة ، ٨ ساعات عمل يوميا للعمال ، وأخيرا الخبز والشغل للعاطلين عن العمل» (٥٤) .

حدثت الانتفاضة في تشرين الاول ، وصحت توقعات الحزب. كانت حركة جماهيرية ، وكانت هذه المرة صداما مع الامبرياليـــة البريطانية . وكان من رأي الحزب ان تلك الحركة لم ينظمهـــا «زعماء خونة» بل «يسار الحركة الوطنية» . وكان حزب الاستقلال قد وضع منذ سنة ١٩٣١ خطـا يطالب بمحاربة الامبرياليــــة البريطانية ، لانها «اس الداء ورأس البلاء» ... (٥٥) .

هل شارك الحزب في هذه الانتفاضة مشاركة فعالة ؟ هنـــاك

---

٥٣ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

٥٤ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

٥٥ ـ ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين ، ص ٦٤ .

تضارب في المعلومات . ان هناك تقييما نشرته دوائر الاممية الثالثة سنة ١٩٣٣ يشير الى ان موقف الشيوعيين سنة ١٩٣٣ كان مختلفا عن موقفهم سنة ١٩٢٩ ، وأنهم شاركوا في الثورة سنة ١٩٣٣ ، وان البروليتارية «وقفت وراء المتاريس في الصفوف الاولى» (٥٦) .

ولقد اصدر الحزب بيانا خلال الاحداث ، دعا فيه للنضال من اجل التالي : الغاء الانتداب ووعد بلفور ، الايقاف الفوري للهجرة، مصادرة كافة الاراضي وتوزيعها على الفلاحين ، ووقف دفع كافة الديون والفوائد والايجارات والضرائب . وطالب الحزب بتكوين «لجان عمالية وفلاحية لمقاطعة بضائع البريطانيين والصهاينة» . وسيّر مظاهرة عربية يهودية مشتركة في حيفا . وهاجم البيان قيادة الحركة الوطنية ، فأطلق عليهم اسم: «الاصلاحيون القوميون الخونة» . واعتبر الحزب في بيانه ان الازمة الثورية قد بدأت (٥٧) ...

ولا نستطيع ان نقدر بدقة مدى قوة الحزب وفعاليته آنذاك . لان المعلومات الكاملة غير متوافرة . وما لدي من المعلومات لا يكفي لحكم قاطع . ان احد المراجع يقول : ان عدد الشيوعيين في فلسطين عشية انعقاد المؤتمر السادس للاممية الثالثة لم يكن يزيد عن مائة (٥٨) .

---

٥٦ ـ ف. لوتسكي : الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول في فلسطين، ترجمة رياض يونس ، كتاب «دراسات عربية» رقم ٢ : المقاومة الفلسطينية : الواقع والتوقعات ، ص ٩ .

٥٧ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

58 — Fernando Claudin: the Communist movement, From Comintern to Cominform, Penguin Books p. 271 .

ولكن الظروف لم تقيض للحزب ان يستمر في سياسته . ذلك ان شبح الهتلرية كان يهز اوروبة . ولذلك غدت سياسة الجبهة الشعبية ضرورية . وحين انعقد مؤتمر الاممية الثالثة السابع سنة ١٩٣٥ أقر سياسة الجبهة الشعبية . كان الحزبان الشيوعيان السوري والفلسطيني حاضرين . ولقد أقرا السياسة الجديدة ، حسب ما جاءت في تقرير ديمتروف . وانتقد الحزبان سياستهما السابقة ، ونسبا فشلهما الى «وجود نفوذ صهيوني داخل قيادتيهما» . ادى هذا التحول الى تحول في النظرة الى البرجوازية الاصلاحية وبرامجها من جهة ، والى اعتبار البرجوازية الصهيونية البند الاساسي للاستعمار البريطاني .

اخذ الحزب يعتبر ان الحركة المعادية للامبريالية حركة تقدمية موضوعية ، حتى لو قادها الاقطاع الديني .

ولقد تحسس الحزب سنة ١٩٣٥ ان هناك ثورة على الابواب، فأصدر بيانا في تشرين الاول عنوانه : «من اجل تحالف العرب وأصدقائهم ضد الامبريالية» لشرح سياسة الاممية الثالثة . دعا الحزب الى الجبهة المتحدة . ودعا كل الفلسطينيين الذين يعانون نتائج السياسة البريطانية : «دعا كل عربي اكان تاجرا ، حرفيا، صاحب دكان ، مصرفيا ، صاحب مصنع ، مهنيا او من الصناعيين» الى الجبهة «ضد الامبريالية الانكلو ـ صهيونية» لان «الجبهة المتحدة ضرورية ، وهي الطريق الوحيد للتخلص من العجز والعداوة المتبادلة» . كما ندد الحزب «بالصهيونيين الفاشست لانهم شنوا الحرب على العرب» ، ولانهم قاموا بعمليات قتل الفلاحين . و«تعهد الحزب ان يناضل ضد الاستعمار البريطاني الصهيوني المشترك ، فالحزب لا يفرق بين الواحد والآخر» . والحزب يناضل من اجل «تحطيم الصهيونية وايقاف الهجرة فورا» . وطالب الحزب العمال والفلاحين اليهود ان «يناضلوا ضد الهجرة ، وضد قيام مجموعات يهودية مسلحة (الهاغاناه)» . وكان يطالب في دعايته بحل الهاغاناه ومنظمات

الدفاع اليهودية ومنعها (٥٩) .

قابل وفد من الحزب الحاج امين الحسيني ، قبل اندلاع الثورة ، من اجل الوصول الى اتفاق ، وتنفيذا لقرار كانت قيادة الحزب قد اتخذته بعد مناقشات ، جاء فيه : «ان الشيوعيين العرب يجب ان يشاركوا مشاركة فعالة في تدمير الصهيونية والامبريالية ، بينما على الاعضاء اليهود ان يقوموا ، بدورهم ، بإضعاف المجتمع اليهودي من الداخل» .

وأعلن الحزب ، بعد اعلان الاضراب الكبير بأسبوعين ، موقفه ، مؤيدا المطالب العربية . وقد حث اليهود على «الانخراط في الحركة الوطنية العربية» . وكان من اهم ما طالب به : «الغاء وعد بلفور ، انهاء الهجرة اليهودية الى فلسطين ، اقامة مجتمع ديمقراطي وايقاف بيع الاراضي لليهود» ، وطالب الحزب باستمرار النضال «حتى تحقيق كافة مطالب الحركة الوطنية» (٦٠) .

ظل نهج قيادة الحزب ، خلال الثورة ، عربيا واضحا . ويمكن ان نمثل على ذلك ببعض الحوادث . ومن هذه الحوادث :

أ ــ ان قيادة الحزب اعتبرت انهاء الاضراب الكبير ، الذي نظمته الجماهير العربية ، ودام ستة اشهر تقريبا ، خيانة مخزية، ولذلك طالبت من الجماهير مواصلة الكفاح . وكانت القيادة الوطنية قد وافقت على انهاء الاضراب ، بعد الحاح من ملوك العراق واليمن والمملكة العربية السعودية وشرق الاردن ، دون ان يتحقق اي من اهداف الحركة الوطنية .

---

٥٩ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، وناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

٦٠ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، وناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

ب ــ حين انعقد مؤتمر بلودان في الثامن من ايلول سنة ١٩٣٧ بدعوة من اللجنة العربية في فلسطين ، ايّد الحزب قرارات المؤتمر . وهي قرارات نصت على رفض تقسيم فلسطين ، وانشاء دولة يهودية فيها ، وطالبت بالغاء وعد بلفور والانتداب ووقف الهجرة وبيع الاراضي ، وأعلنت ان العرب سيقاومون هذا كله ، بكل قواهم .

ج ــ حين غادر الحاج امين الحسيني ، مفتي فلسطين ، ارض فلسطين هاربا من وجه السلطات البريطانية ، احتجت قيادة الحزب على «ابعاده» . واتهمت القادة الصهيونيين برفض «مقترحات المفتي المعقولة جدا» .

د ــ ونشرت جريدة الحزب ، في ايلول سنة ١٩٣٨ ، نداء من علي عبد الرزاق ، احد قادة الثورة الكبار .

وظل موقف الحزب واضحا وصلبا من الصهيونية . وتجلى ذلك فيما يلي :

أ ــ ظل الحزب يهاجم الاحزاب الصهيونية ، وحتى اليسارية منها ، وحين تغير موقف الاممية الثالثة ، بعد المؤتمر السابع ، ورفع شعار الجبهة الوطنية ضد النازية والفاشية ، لم يطبق الحزب الشيوعي هذا الشعار في فلسطين . وكان تفسيره لهذا الرفض هو «ان العامل اليهودي في فلسطين ، ليس من طراز العمال الذين يعتقدون خطأ بالاشتراكية الديمقراطية» ... «ان الشوفينية تعمي العامل الصهيوني ، والحوافز القومية الاشد سوادا جعلته يؤمن بالمعجزات . وهو يعتقد حقا ان بلاده ستكون قادرة على استيعاب عشرات الآلاف من اليهود كل سنة ، خلال السنوات الخمس عشرة الى العشرين القادمة . وهو يؤمن باستيعاب الملايين وانشاء الدولة اليهودية . ان العامل اليهودي يرتكب خطأ اكثر خطورة من العامل الديمقراطي الاجتماعي في اوروبة» . واتخاذ موقف كهذا ، في وقت كانت الاحزاب الشيوعية

القومية فيه ، تقبل آراء الاممية الثالثة دون نقاش ، وفي وقت كان صعود النازية والفاشية فيه مبررا هاما لقبول صيغة الجبهة، يدل على شجاعة ونفاذ بصيرة ، وحسن تقدير واخلاص لـــروح الماركسية ولعمقها وأصالتها وثوريتها .

ب ـ وظل الحزب ايضا ثابتا في موقفه من رفض الهجرة ، حتى بعد صعود النازيين الى السلطة في المانيـــا . وكان يعتبر المهاجرين الجدد : «جنودا صهيونيين فاشيين» جاءوا «ليحاربوا الحركة الوطنية العربية والاتحاد السوفياتي» . وكانوا يرون أن «كل الحركة الصهيونية فاشية» . ولقد قام الحزب بتوزيـــع منشور في ميناء حيفا ، سنة ١٩٣٦ ، على دفعة من المهاجرين الالمان . كان المنشور باللغة الالمانية . وجاء فيه : «يوجد عدد كاف من العاطلين في هذه البلاد» . شعارنا يجب ان يكون : «انهـــاء الهجرة والحركة الصهيونية» .

وكان الحزب بعد انتفاضات العرب ، سنـــة ١٩٣٥ و١٩٣٦ يحتج ضد الهجرة قائلا : «ما هي نتائج الهجرة ؟» ويجيب : «انها الدم والنار ، الخراب والجحيم» (٦١) .

ج ـ وفيما يتعلـــق بموقف العرب من المستعمرات واليهود عموما ، فقد أنحى الحزب باللائمة على الصهيونيين والامبرياليين. وحين كانت «الجبهة الشعبية» جريدة الحزب تشير الى هجمات العرب المسلحة على مركز البريطانيين ، لم تكن تذكر مهاجمـــة اليهود (٦٢) .

وقد شارك الحزب في الثورة المسلحة من خلال التحاق نمر

---

٦١ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ .

٦٢ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

عودة عضو اللجنة المركزية بالمقاتلين (٦٣) .

ولكن تجدر الاشارة هنا الى ان هذه المواقف ، لم تكن مواقف الحزب كله . كانت مواقف القيادة والاعضاء العرب ، وبعض الكوادر والاعضاء اليهود . ذلك ان قسما من الاعضاء اليهود اخذ الشك يساوره ، في سياسة الحزب ، منذ اوائل الثلاثينات . وحين بدات الثورة ، سنة ١٩٣٦ ، وطلبت القيادة من اعضاء الحزب ان يساهموا فيها ، اختارت الاغلبية ، وهي يهودية بالطبع ، ان تنسحب او تجمد نشاطاتها . وقد طردت قيادة الحزب بعض هؤلاء ، وارسل قسم منهم الى اسبانيا ليقاتلوا مع الفرق الاممية. ثم ما لبث سنة ١٩٣٧ ان انشىء القسم اليهودي لمعالجة قضايا اليهود . ولقد قادت الظروف القائمة آنذاك : الثورة المسلحة من جهة ، والقمع البريطاني ضد الشيوعيين من جهة اخرى ، الى انعزال القسم العربي عن القسم اليهودي . وكان عضوا اللجنة المركزية اليهوديان سلونيم وتساباري في السجن .

قاد ذلك الى وجود سياستين في الحزب ، واحدة ينتهجها القسم العربي ، واخرى ينتهجها القسم اليهودي . كان القسم العربي يعتبر مفهوم الجبهة القومية على اساس خطة الامية الثالثة يعني مساندة الهيئة العربية العليا ، بينما كان القسم اليهودي يفهم منه دعم المعتدلين في الحركة الصهيونية ، ضد المتطرفين : وايزمان ضد جابوتنسكي . ولذلك كانت امكانية اللقاء صعبة فيما بعد ...

---

٦٣ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٤ . وكنت ذكرت في كتابي الحركة الوطنية الفلسطينية ، ص ٢٠٣ ، التحاق فؤاد نصار ايضا اعتمادا على لاكور . ثم ثبت لي ان فؤاد نصار لم يكن حزبيا حين ذاك . تراجع نشرة الحزب الشيوعي الاردني عن فؤاد نصار «الوطن» ، السنة الثامنة ، عدد ٢٥ اواخر تشرين الاول ١٩٧٦ .

وانقسمت اللجنة المركزية حول تأييد الدور الثاني من الثورة، ودار في تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ نقاش حول الموقف من تجديد الثورة سنة ١٩٣٧ . ولقد انتصرت وجهة النظر القائلة ان الاضراب الكبير كانت له صفة تقدمية «ولكن دعم الحزب لتجديد الارهاب عام ١٩٣٧ يجب ان يعتبر على انه خطأ ويدان» . وحين ايدت قيادة الحزب الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ ، رفض الجناح المؤيد لليیشوف في القسم اليهودي هذه السياسة ، وانشق ، مشكلا مجموعة مستقلة عرفت باسم مجموعة امت (Emet) ، ظلت خارج الحزب عامين (٦٤) .

كان الحزب مهزوزا سنة ١٩٣٩ . فلقد تقلص عدده ، وتراجع عدد اعضائه ، وخاصة في اوساط اليهود . وانقسم الى قسمين والى خطين . ولقد هزمت الثورة ، فدعا الحزب الى تأييد الكتاب الابيض الذي يدعو الى ادخال مائة الف مهاجر جديد . ومع التراجع «العضوي» حدث تراجع سياسي خطير ، تمثل ، اول ما تمثل ، في اعادة النظر في موقف الحزب من الثورة . كان الموقف الجديد ، الذي عمم على اعضاء الحزب ، في صيغة رسالة ، في تشرين الثاني سنة ١٩٣٩ يقول : «لقد انتشرت الثورة ، ولكن الحزب لم يقم بدور فيها ، لان الجماهير كانت ضعيفة وغير منظمة . وكنا خائفين من التسلل الفاشي . ولكنها كانت خطيئة الحزب الا يوضح معارضته لتجديد الاضطرابات . وعندما انتشرت الثورة ، على الرغم من ذلك ، صمم الحزب ان يساهم فيها بعد تردد . ولقد قررنا تأييد الاشتراك بسبب الطبيعة الشعبية للثورة ، ومن اجل مجابهة التأثيرات الفاشية» .

وقام الحزب بتحليل اسباب فشل الثورة فكانت: «عدم وجود

---

٦٤ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

قيادة للحركة العربية القومية ، انانية القادة وانتهازيتهم ... لامركزية قيادة العصابات التي اتاحت للاشرار ان يندسوا في صفوف المقاتلين ، وآخرا ، وان كان ليس اخيرا ضعف الحزب الشيوعي» (٦٥) .

الحزب يعود الى الانتكاس : القسم اليهودي في معظمه يتراجع عند التجربة عن برنامج الحزب ، رغم كل شحنات الاممية الثالثة، والقسم العربي يمتطي الموجة الجماهيرية ، ثم ما يلبث ان ينهزم بهزيمتها ، ويتراجع سياسيا ...

د ــ ١٩٤٠ ــ ١٩٤٨ . انتهت الثورة ، ولكن مشكلة الحزب لم تنته . ذلك ان قيادة الحزب واصلت انتهاج سياساتها ، المبنية على توجيهات الاممية الثالثة ، منذ سنة ١٩٢٩ ، بينما واصل «القسم اليهودي» انتهاج سياسته . ولما اصدرت قيادة الحزب قرارا بحل هذا القسم سنة ١٩٣٩ ، رفض ان يمتثل . وكانت الخلافات تتبلور وتتطور ، على الرغم من ان التراجع الذي انتهت اليه القيادة أوجد أرضية للتقارب . وكان من الخلافات التي برزت :

١ ــ استمر الصراع بين القيادة من جهة والقسم اليهودي من جهة اخرى : واستمرت مجموعة «امت» منفصلة ، تعمل وحدها ، حتى حزيران ١٩٤٢ . وكانت استقلالية القسم اليهودي تسمح لها باستقطاب الاعضاء اليهود ، وببلورة خط سياسي يقوم على اساس «تطور كيان يهودي قومي منفصل في البلاد» والتركيز على وجود «تمايز داخل المعسكر الصهيوني» (٦٦) . وكان هذا يشكل خروجا على خط الحزب ، ويضع الاساس النظري والعملي

---

٦٥ ــ ناجي علوش : المرجع السابق ، صص ٢٠٤ ــ ٢٠٦ .

٦٦ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

لكل التطورات اللاحقة ، داخل الحركة الشيوعية في فلسطين ، كما سنرى .

٢ ــ وكان الموقف من الحرب والصراع بين الدول الامبريالية ، بريطانيا وحلفائها والمانيا وحلفائها ، سببا آخر للخلاف ، وان كان الطرفان يفترقان ، ثم يلتقيان . فلقد كانت دعاية القيادة معادية للالمان بشكل صريح ، حتى توقيع الاتفاق الالماني ــ السوفياتي . الا ان صحيفة الحزب هاجمت الحرب بعد الاتفاق ، وقالت : «ان الشيوعيين مدركون تماما ان هذه الحرب ليست حربهم ، وانهم سيحاربون الامبريالية البريطانية وعملاءها جنبا الى جنب مع الجماهير العربية» . ولم تلبث الصحيفة ان كتبت بعد ثلاثة اشهر، انه اذا كان صحيحا «ان الجيوش الالمانية والايطالية على الابواب، فصحيح ايضا ان جيش تشرشل داخل البلاد ، وواجبنا الاول هو محاربة العدو في الداخل» (٦٧) . وكان جماعة القيادة يقولون : «ان هتلر الذي يحارب ضده تشمبرلن اليوم ، ليس هو نفس هتلر الذي اراد محاربة الاتحاد السوفياتي . انه لم يعد شرطي تشمبرلن وداليديه ، وعليه ان يفعل ما تطلب منه موسكو» . وكانت الجماعة الاخرى لا تتفق مع القيادة ، وتعتقد بأن كلا من المتحاربين شر . الا ان الجماعتين ما لبثتا ان اتفقتا على ان يكون الشعار الرئيسي : «تسقط الحرب» (٦٨) .

وحين هاجم هتلر الاتحاد السوفياتي في حزيران ١٩٤١ انقلب موقف الحزب من معارضة «الحرب الامبريالية» الى تبني «الحرب ضد الفاشية» (٦٩) . وان كان للوهلة الاولى قد اصدر نشرة تطالب بمعارضة حملة التعبئة الصهيونية ــ الامبريالية ،

---

٦٧ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

٦٨ ــ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

٦٩ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

وتطلب من العمال ان يضربوا حيث يكونون اعرابا عن تضامنهم مع الاتحاد السوفياتي . ولم يكن موقف القسم اليهودي مختلفا عن موقف القيادة . فلقد كتب القسم اليهودي في جريدتـــه : «ان الهجوم كان نتيجة اتفاق بين الفاشية والديمقراطيـــة الغربية ، والانخراط في جيش تشرشل مواز للمساعدة التي تقدم لاعداء الاتحاد السوفياتي» . وما ان جاء تشرين الاول من سنة ١٩٤١ ، حتى اعلن الحزب ان جبهة موحدة من طبرق الى لينينغراد قـــد تكونت . وبعد ان كان الانخراط في جيش تشرشل «موازيـــا للمساعدة التي تقدم لاعداء الاتحاد السوفياتي» بات الانخـــراط امرا منشودا ، وبات الجيش البريطاني «رفيق السلاح» للجيش الاحمر البطل . وكان الحزب مطالبا هنا ان ينتقد خطه السابق ، ويعترف بخطئه . وقد فعل . وكان ان اطلقت السلطات البريطانية سراح قادة الحزب المعتقلين (٧٠) .

٣ ـ ظلت الصهيونية ، حتى حزيران سنة ١٩٤١ تهاجم على اساس انها حليف للامبريالية البريطانية . اما بين تموز وأيلول فقد هوجمت على اعتبار انها «عميلة الفاشيـــة في فلسطين» . وبينما اتفقت الجماعتان في الحزب ، بعد خريف سنة ١٩٤١ ، على ان تدافعا عن استقلال العرب القومي ، جرى تخفيف الحملات على الصهيونية بعض الوقت ، في حقل الاعلام العلني ، وان لـــم تخفف في المنشورات الخاصة بالكوادر (٧١) .

٤ ـ رحبت قيادة الحزب بحل الكومنترن في آب ١٩٤٣ ، واخذت تدعو لانشاء حزب عربي . وارتبط ذلك بمعارضة امين عام الحزب موسى الدجاني الاندماج مع مجموعـــة « امت » ،

---

٧٠ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

٧١ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

والتشديد على مهاجمة الصهيونية . قاد ذلك الى زيادة المعارضة بقيادة ميكونيس . كان الخلاف يتفاقم ، والانشقاق يبرز الى السطح . لقد بدات الخلافات تطرح نفسها علنيا . وبرز ذلك من خلال ما يلي :

١ ـ نظم الهستدروت احتفالات بمناسبة الاول من ايار سنة ١٩٤٣ ، فعارضت اللجنة المركزية المشاركة ، بينما كان القسم اليهودي يرى المشاركة .

٢ ـ نظم الهستدروت اضرابا للعمال في المعسكرات البريطانية، في الاسبوع الثاني من ايار ، فشهّر امين عام اللجنة المركزية موسى بالاضراب ، وايدته اللجنة المركزية ، ولكن القسم اليهودي رفض هذا الموقف ، واتهم الامين العام ، بأنه ايّد اضرابات مماثلة من قبل قام بها العمال العرب . ومع ان الامين العام اقترح حلا وسطا ، يقضي بألا يشارك العمال العرب ، وتترك حرية المشاركة للعمال اليهود . الا ان الاتفاق لم يتم .

٣ ـ قامت اللجنة المركزية باتخاذ قرار يقضي بطرد عضوي اللجنة المركزية ميكونيس وفاينهوس من عضوية الحزب ، وباغلاق فرعي حيفا وتل ابيب ، فرد القسم اليهودي بعدم الاعتراف بالامين العام واللجنة المركزية .

٤ ـ حاول الامين العام ان يصل الى حل وسط . وفي هذا الجو انعقدت الجمعية القومية للحزب لمناقشة قضايا الخلافات في التاسع والعشرين من ايار . الا ان صدور بيان يحدد صفة الحزب بأنه حزب عربي ، ويتهم القادة اليهود بالانحراف القومي، جعل التفاهم غير ممكن . جاء في البيان المذكور : «ان الحزب الشيوعي الفلسطيني حزب وطني عربي ، مع انه يضم افرادا من اليهود ، يقبلون برنامجه الوطني» . وازاء هذا الموقف قرر القادة اليهود استئصال السرطان «الموسوي» ، نسبة الى موسى الدجاني ، الامين العام .

قاد ذلك كله الى انشقاق الحزب الى ثلاث مجموعات :

الاولى : المجموعة العربية التي سمت نفسها عصبة التحرر الوطني فيما بعد (شباط ٤٤) .

الثانية : مجموعتا فلنر وميكونيس التي أحيت الحزب الشيوعي الفلسطيني .

الثالثة: مجموعة سلونيم وتساباري عضوي اللجنة المركزية ، واللذين أسسا مع آخرين الاتحاد التربوي الشيوعي .

ومن الان فصاعدا ، سأناقش مسيرة كل منها على حدة ، حتى انتهاء هذه المرحلة (٧٢) .

اولا : عصبة التحرر الوطني : تكونت في شباط ١٩٤٤ ، من القواعد والمؤسسات التي نظمها اعضاء الحزب الشيوعي في فلسطين ، من العرب . ويمكن اعادة أصولها بالتحديد الى : ا ـ عصبة المثقفين العرب التي انبثقت سنة ١٩٤١ من عصبة الطلبة العرب المؤسسة سنة ١٩٣٨ . ب ـ اتحاد نقابات وجمعيات العمل العربية الذي تأسس سنة ١٩٤٢ . ج ـ عدد من النوادي والجمعيات مثل «العصبة العربية ضد الفاشية» و«جمعية أشعة الامل» و«نادي الشعب» . د ـ الاعضاء العرب في الحزب الشيوعي الفلسطيني (٧٣) .

وكان نشاط العصبة يقوم على الدعائم التالية :

أ ـ بناء حزب شيوعي : نص على ذلك النظام الاساسي للعصبة الذي اشترط ان يقوم البناء التنظيمي على أسس شيوعية. ونص النظام الاساسي كذلك على ان يقوم بناء الحزب على المركزية الديمقراطية . ونصت شروط العضوية على ان العصبة حزب ،

---

٧٢ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ، وناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

٧٣ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

وهي الاشارة الوحيدة (٧٤) .

ب ـ اهتمت العصبة بتطوير النشاط النقابي ، وخاصة بين العمال . ولقد انشأت لها مؤسسة نقابية عمالية ، تمثلت في «اتحاد النقابات وجمعيات العمل العربية» ، ثم «بمؤتمر العمال العرب» الذي أنشيء سنة ١٩٤٥ ، منافسا لجمعية العمال العربية .

جـ ـ تبني المطالب القومية العربية . اشترطت العصبة الموافقة على صفتها القومية شرطا لعضويتها ، وتبنت مطالب الحركة القومية في فلسطين ممثلة بالتالي : اخراج الجيوش البريطانية ، وانهاء الانتداب ، واعلان الاستقلال الوطني ، وتأسيس حكومة ديمقراطية .

د ـ تجديد برنامج نضال اقتصادي واجتماعي تمثل بالمطالبة بتحسين «الحالة الاقتصادية والاجتماعية للعمال عن طريق النقابات» وسن «مجموعة من القوانين تكون اساسا للضمان الاجتماعي ، ولالغاء التمييز العنصري في الوظيفة والاجور ، توزيع اراضي الدولة على الفلاحين ، ووضع قوانين تقي الفلاح من الطرد من ارضه» . وكان برنامج العصبة يطالب ايضا بجعل العمل في البلديات ديمقراطيا . وبجعل التعليم الزاميا ومجانيا للجميع .

هـ ـ التفريق بين الصهيونية واليهود . وكانت العصبة تعبىء ضد الصهيونية ، ولكنها كانت تطالب سنة ١٩٤٤ «بانشاء جمهورية ديمقراطية مستقلة تؤمّن حقوقا كاملة للاقلية اليهودية» : الا انها عادت بعد سنتين ، فطالبت بانشاء «دولة ديمقراطية عربية يهودية» على ان يكون ثلث الوظائف الرئيسية لليهود والثلثان للعرب (٧٥) .

---

٧٤ ـ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

٧٥ ـ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

و ــ التعاون مع قيادة الحركة الوطنية العربيـــة . وكانت العصبة تدعو الى جبهة عربية . ولكن لما اتضحت الاسس التي ستقوم عليها الهيئة العربية العليا سنة ١٩٤٥ ، حدث خلافات بين القيادة والعصبة ، أبعدت على اثرها العصبة من التشكيلـــة الجديدة . ومع ذلك فلقد كانت العصبة حريصة على بقاء علاقاتها حسنة مع القيادة التقليدية . وحين عاد الحاج امين مفتـــي فلسطين ، وقائد الحركة الوطنية الفلسطينية من الاسر ، سنة ١٩٤٦ ، كتبت جريدة العصبة : «ان العرب الذين ظلوا موالين لزعيمهم ، يحتفلون بهذا العيد في كل البلاد» . وحين طلب الحاج امين من العصبة ، الا تتقدم للشهادة امام اللجنة المرسلة من الامم المتحدة سنة ١٩٤٧ ، قبلت العصبة بذلك . ولقد زار وفد من العصبة الحاج امين ، قبل انفجار الحوادث سنة ١٩٤٧ ، معبرا له عن تأييد العصبة وولائها .

وكانت العصبة تعتبر قضية الاستقلال هي الاساسية . وقد اوضح ذلك أميل توما ممثل العصبة في اجتماع الاحزاب الشيوعية في دول الكومنولث (٢٦ شباط ــ ٢ آذار ١٩٤٧) ... وكـــان ميكونيس قد حضر الاجتماع ايضا عن الحزب الشيوعي اليهودي . قال اميل توما : (٧٦)

١ ــ «إن مسألة فلسطين عيانيا هي مسألـــة استقلال . والامبريالية البريطانية والاميركية تقف في طريق هذا الاستقلال . وترسم المخططات لاضعاف وتحطيم الحركة الوطنية (القوميـــة) العربية في فلسطين» .

---

٧٦ ــ انظر : «نتكلم من اجل الحرية» ، كتاب صدر باللغة الانجليزية ، يجمع وثائق المؤتمر المشار اليه . قدم للكتاب هاري بوليت ، زعيم الحـــزب الشيوعي البريطاني ، آنذاك ، وقام بالترجمة الياس مرقـــص . ولم تنشر الترجمة بعد ...

٢ ــ ان المسألة تبرز في بعض الاحيان «كأنها نزاع بين العرب واليهود ، لا كنزاع بين الشعب العربي والجماهير اليهودية من جهة والامبريالية من جهة ثانية» . واذا كان صحيحا «ان الكفاح ضد الامبريالية لا يمكن ان يفصل عن الكفاح ضد الحركة الصهيونية ، ولكن يجب ان يكون هناك خط فاصل مميز بين الصهيونية ، كما تمثلها اميركا وبريطانيا ، وبين الجماهير اليهودية المضللة في فلسطين ، التي لها مصلحة مشتركة مع الشعب الفلسطيني» .

٣ ــ ليس صحيحا ان القضية المركزية قضية الهجرة . ذلك ان «الهجرة تقف حائلا في طريق التعاون الجماهيري بين العرب واليهود في نضال مناهض للامبريالية ، ولكنها ليست القضية المركزية في فلسطين . القضية هي ان الشعب العربي في فلسطين يكافح من اجل استقلاله ، وان الصهيونيين تتبعهم جماهير اليهود المضللين ، لا يكافحون من اجل الاستقلال ، وضد الاستعمار البريطاني» .

٤ ــ «... ان الكفاح ضد الانتداب ، وضد الامبريالية البريطانية ، لا يمكن ان يفصل عن الكفاح ضد الصهيونية والهجرة وبيع الاراضي . والتحالف بين القوتين ، والحاجة الى عزل الجماهير اليهودية عن الصهيونية والامبريالية ، يمكن ان يتحققا بهذه الطريقة» .

٥ ــ ان حركة التحرر الوطني في فلسطين «يشهر بها الرجعيون بتهمة اللاسامية ومناهضة اليهود» . وهذه التهمة «جديرة بالرجعية التي ساعدت النازية في المانيا» . واذا كانت قد وقعت «صدامات بين العرب واليهود» فان «هذه الصدامات لم تكن صفة مميزة لحركة التحرر العربي» . ولقد عانت القيادة الوطنية من نقيصة ، حيث انها «لم تتخذ موقفا ايجابيا من الجماهير اليهودية ، باعتبارها مميزة عن الصهيونية» . ويعود

السبب في ذلك الى دسائس الامبريالية ـ الصهيونية ، والى الوضع الممتاز للطائفة اليهودية . ولكن الجناح اليساري في الحركة الوطنية ، اي عصبة التحرر الوطني ، تجاوز هذا النقص.

٦ ـ ان التعاون الطبقي العمالي العربي ـ اليهودي ، وكفاح «القوى التقدمية اليهودية المتقدمة ضد الارهاب الصهيوني عاملان جديدان ، يساعدان في الكفاح المناهض للامبريالية» .

ظل هذا الخط واضحا وثابتا حتى صدور قرار التقسيم في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ . وعندئذ عانت العصبة من اشكالات . وكان غروميكو قد صرح في ايار سنة ١٩٤٧ ، خلال وجوده في الامم المتحدة ، مؤيدا التقسيم . فلم تعط العصبة اهتماما لذلك، وظلت تعمل من اجل الاستقلال . وحاولت العصبة بعد ذلك ان تفسر التصريح على انه تكتيك سياسي مؤقت . الا ان قرار الامم المتحدة اوجد حالة جديدة ، وفرض الانقسام ، اذ أيدت الاغلبية بقيادة فؤاد نصار التقسيم ، وعارضته الاقلية . وعقدت العصبة مؤتمرا في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ ناقشت فيه الموضوع ، وأقرت سياسة معارضة للتقسيم . وكان هذا اتجاه الاغلبية . الا ان مؤتمرا جديدا ما لبث ان عقد بعد شهرين في يافا ، فأقر الموافقة على التقسيم ، وعزل مجموعة اميل توما ـ بولس فرح ، واتهمها بالانحراف واليمينية ، وانتخب المؤتمر الجديد لجنة مركزية جديدة ، انتخبت بدورها فؤاد نصار امينا عاما لها . لقد انتصر اتجاه التقسيم ... (٧٧)

وبرز هنا اتجاهان : اولهما تقوده المجموعة المطرودة ، وهو يحارب التقسيم ، ويتبنى الخط العام للحركة الوطنية ، وثانيهما :

---

٧٧ ـ الوطن : يصدرها التنظيم الشيوعي الفلسطيني في الضفة الغربية، عدد خاص ، السنة الثامنة ، العدد ٥ ، اواخر تشرين الاول ١٩٧٦ ، حياة فؤاد نصار (ابو خالد) في سطور .

يقوده فؤاد نصار يهاجم «الارهاب والمؤامرات الامبريالية لاغراق الشعب في حمام من الدم» ، ويطالب بانسحاب الجيوش العربية من فلسطين ، كما يطالب هذه الجيوش بمحاربة حكوماتها التي لا تعمل لتحرير فلسطين ، بل «لحرف الكفاح من اجل التحرير في العالم العربي» (٧٨) .

ثانيا : الحزب الشيوعي الفلسطيني : قام ميكونيس وفلنر ، بعد الانشقاق ، بمساع من اجل اعادة النشاط للقسم اليهودي من الحزب الشيوعي الفلسطيني . كان الصراع قد فتت هذا القسم ايضا . وقد نجح المذكوران في اوائل سنة ١٩٤٤ في اعادة النشاط لهذا القسم باسم الحزب الشيوعي الفلسطيني . عقد الحزب مؤتمره الثامن في ايار من العام عينه . اقر المؤتمر برنامجا يدعو الى «اقامة فلسطين ديمقراطية مستقلة» ، تكفل مساواة تامة في الحقوق «للاقلية القومية اليهودية وللاقليات الاخرى» . وكان البرنامج ينص على «تصعيد الكفاح المشترك للجماهير العربية واليهودية» والنضال من اجل «مصالح العمال والفلاحين داخل الحركة الوطنية العربية» . ويرى البرنامج ان «الحل العملي الوحيد يكمن في تشجيع الوحدة العربية اليهودية» . واكد البرنامج «ان السياسة الصهيونية تضر بالقسم اليهودي من السكان» .

ومع ان الحزب ظل يرفض فكرة قيام دولة ، فشجب تصريح بلتمور الذي دعا الى قيام دولة ، لانه «مبني على السيطرة» وعلى «سياسة التوسع والانعزالية الشوفينية المتطرفة» ، الا انه بدأ يحاول الاندماج في المجتمع الصهيوني . ولقد شارك الحزب في انتخابات الجمعية التشريعية لليشوف ، تحت اسم «اللائحة

---

٧٨ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

الشعبية الديمقراطية» وأحرز ثلاثة مقاعد . وما ان حل منتصف ١٩٤٤ حتى كان يفاوض من اجل قبول اعضائه في الهستدروت.

ظل الحزب يدين الصهيونية ، ويرفض قيام دولة يهودية ، ولكنه كان يتقدم على طريق الاعتراف «بالحقوق القومية» . وما لبث ان طالب بالحكم الذاتي للمناطق ذات الاغلبية اليهودية . ثم دعا الى دولة فدرالية (اتحادية) . وانتقل بعد ذلك ومنذ سنة١٩٤٦ الى شجب السياسة البريطانية المعادية لليهود ، واعتبرت صحيفة الحزب «كول هاعام» «ان الاعتداءات التي قامت بها السلطات العسكرية البريطانية ضد اليهود كان المقصود بها تلميحا للعرب، على ان البريطانيين بجانبهم ، تشجيعا لهم للاستمرار في هجماتهم على اليهود» . ثم أيد ميكونيس في كانون الاول ١٩٤٦ المقاومة الصهيونية ضد البريطانيين على اعتبار ان «فيها شيئا من الاحتجاج ضد الحكم الاستعماري» (٧٩) .

وحين حضر ميكونيس اجتماع الاحزاب الشيوعية لدول الكومنولث ، كان يرى ان اي اتفاق عربي ــ يهودي يجب ان يستند الى استقلال فلسطين ، وفق النقاط التالية :

أ ــ انهاء الانتداب البريطاني ، جلاء القوات العسكرية البريطانية، ومساعدة هيئة الامم المتحدة في تحقيق استقلال البلاد .

ب ــ اقامة نظام ديمقراطي وتحقيق المساواة الكاملة بين العرب واليهود .

ج ــ ضمان حرية الراي والتعبير والتنظيم والصحافة، والغاء جميع التدابير الاستثنائية . وأعلن ميكونيس بأنه ليس هناك مصالح متناقضة بين العرب واليهود ، وان ضمان ذلك كله هو توطيد وحدة القوى التقدمية العربية ــ اليهودية (٨٠) .

---

٧٩ ــ موسى خليل : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

٨٠ ــ ناجي علوش : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ .

ظل الحزب ضد التقسيم . وعندما جاءت اللجنة الانكلو ـ اميركية سنة ١٩٤٦ اعتبرها الحزب مؤامرة لضمان استمرار الوضع القائم . ولكن الموقف تغير كليا في تموز سنة ١٩٤٧ عندما اعلن ميكونيس تأييد التقسيم . وحين صدر قرار التقسيم ايّده الحزب بحماسة . وصار ميكونيس عند اعلان الدولة عضوا في مجلس الدولة المؤقت . واعتبر ان مهمة الحزب الراهنة كانت «اقامة جبهة ديمقراطية مع الجناح التقدمي في الحركة الصهيونية (هاشومير هتسعير واحدوت هعفودا)» . وجاء بيانه في مناسبة اعلان الاستقلال ليكون خاتمة المطاف : فقد رحب بانتهاء الانتداب البريطاني الذي جاء نتيجة «نضال اليشوف ومساعدة الاتحاد السوفياتي» . وطالب «كل اليشوف ان يتوحدوا للنضال من اجل الحرية» ... وان «اي هجوم سوف يقابل بمعارضة من قبل كل الشعب ...» . ورفعت شعارات : «تعيش الدولة اليهودية.. المجد للمدافعين عن الاستقلال ، والمقاتلين في سبيله ...» . واعتبر البيان ان التقسيم هو الحل المعقول، وطالب الحزب انصاره المتحمسين ان يشاركوا في «الحرب الدفاعية» التي اطلقتها بريطانيا «ضد الدولة اليهودية الفتية بواسطة الجامعة العربية».. وكان مما جاء في البيان «ان الحزب سيناضل من اجل حرية الشعب العربي داخل الدولة ، ومن اجل التعاون مع البلدان العربية المجاورة» .

ثالثا : الرابطة التربوية الشيوعية : اسسها سنة ١٩٤٥ عضوا اللجنة المركزية سلونيم وتساباري ، اللذان سجنا مدة، وكانا مع الامين العام عند الخلاف مع مجموعة ميكونيس . وقد عرفت فيما بعد باسم الحزب الشيوعي العبري . تبنت برنامجا صهيونيا، يطالب بوطن قومي يهودي ، وبفتح باب الهجرة الى فلسطين .

وكان الحزب يجري اتصالات مع العصبة للتعاون منذ سنة ١٩٤٤ . وكانت مؤتمراته تعتبر بذل الجهود لتحقيق التعاون مهمة

اساسية . الا ان العصبة لم تكن تستجيب لاختلاف مواقــف الطرفين . ولكن قيام «دولة اسرائيل» واعتراف الاتحاد السوفياتي بها اعترافا كاملا ، وانتصار اتجاه التقسيم داخل العصبة ، قاد الى ان تطلب العصبة في الاول من تشرين الاول ١٩٤٨ ، او مـا تبقى منها تحديدا داخل الارض المحتلة ، «وحدة عصبة التحرر الوطني في دولة اسرائيل مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، ضمن اجهزة ح‌ش‌إ الحالية» (٨١) . وقد وافقت اللجنة المركزية على طلب الانضمام . ولكنها اكدت ما يلي :

أ ـ ان قيام عصبة التحرر الوطني كان نتيجة الازمة «التي حدثت في الحزب ، بسبب الاخطاء التي ارتكبتها القيادة القديمة ، وبسبب انعدام المركزية الديمقراطية داخل الحزب» .

ب ـ واعتبر قرار اللجنة المركزية ان الحزب الشيوعي الفلسطيني «كان في الواقع لا يتألف الا من الرفاق اليهود ، طـــوال السنوات الخمس الماضية ، الا انه ظل يعتبر نفسه حزبـــا أمميا في طبيعته ومفاهيمه وسياسته . ولقد جرى تثقيــف الاعضاء بهذه الروح ...» .

ج ـ «ان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي تلاحظ برضا التغيير الحاصل في الموقف السياسي الذي اتخذته عصبـــة التحرر الوطني تجاه القضية القومية في فلسطين. ان الموقف الماضي الذي رفعته ع.ت.و. من هذه القضية قد عرقـــل وحدة الحزب الشيوعي . ان اللجنة المركزية ... تعتبر هذا التغير الحاصل بمثابة مساهمة في تحقيق الوحدة» .

وختمت اللجنة المركزية قرارها قائلة : «ان اعادة الوحدة الاممية في ح.ش.إ. ستقوي نضال دولة اسرائيل من اجـــل الاستقلال ، ستقوي النضال من اجل حكم ديمقراطي في دولتنا،

---

٨١ ـ قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي .

وستقوي النضال من اجل الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة والجماهير الكادحة» .

وكان قادة عصبة التحرر الوطني قد انتقدوا انفسهم ، وادانوا خطهم السابق . أما بولس فرح فتقاعد ، وأما اميل توما فتراجع ...

ولقد أيد الحزب احتلال النقب ولم يتورع سنة ١٩٤٩ عن المطالبة باحتلال القدس بحجة ان الامبريالية الاميركية تسعى لتدويلها (٨٢) .

---

٨٢ ـ اعتمدت في هذا الفصل ، بالاضافة الى المراجع المذكورة في الهوامش على :

أ ـ ولتر لاكور : الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، طبعة المكتب التجاري .

ب ـ ولتر لاكور : الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط ، الطبعة الانجليزية ، أشير اليها سابقا .

ج ـ الياس مرقص : تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، دار الطليعة ، بيروت .

د ـ الحكم دروزة : الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ، ص ٣٠ . مكتبة منيمنة ١٩٦٣ .

ولا بد ان اعترف انني استفدت من دراسات : ماهر الشريف وموسى خليل وهاني حوراني المذكورة في الهوامش ، واعتمدت عليها في كثير من التفاصيل ، بعد مقارنتها بمراجع اخرى . ولقد آثرت ذكرها لانها متوافرة للقارىء العربي .

ملحق

ترجمة لبعض الاعلام الواردة
في القسم الخاص بالحركة الشيوعية في فلسطين

١ ــ **مردخاي خالدي** : ولد عام ١٨٨٧ بمنطقة القوقاز في روسيا. هاجر الى فلسطين خلال عام ١٩٠٨ ، ليعمل اجيرا زراعيا في احدى المستوطنات سنوات عدة . ثم انتقل للعمل في احد البنوك في حيفا . نفته سلطات الانتداب البريطاني الى الاتحاد السوفياتي اثر أحداث ايار ١٩٢١ ، حيث انقطعت أخباره نهائيا (افنبرغ : الشيوعية في فلسطين) .

٢ ــ **ياكو مايرزون** : ولد عام ١٨٨٨ بجنوب اوكورانيا . تابع دراسته بمدرسة دينية ، قبل ان ينتقل الى مدرسة علمانية في كييف . اشتغل بالتعليم ونشر عدة كتب باللغة اليديشية حول تاريخ اليهود . سافر الى فلسطين ربيع ١٩١٢ ، بهدف جمع بعض المراجع الضرورية لاصدار كتاب مدرسي ، كان يعده ، تحت عنوان : «البلد والسكان» . كان قريبا من الحركة التي تدعو الى اقامة مركز اجتماعي ــ ثقافي خاص باليهود في فلسطين . وكانت الحركة تلتزم الحياد على الصعيد السياسي بشأن المشروع الصهيوني . وكان انصار هذه الحركة قليلين في فلسطين .

لعب دورا هاما في تأسيس حزب العمال الاشتراكي في فلسطين ، حيث خاض نضالا عنيدا لضمان انضمام هذا الحزب الى صفوف الاممية الشيوعية ، ومقاطعة مؤتمرات المنظمة الصهيونية العالمية . وكان تأثيره كبيرا بين المجموعات العمالية اليهودية اليسارية ، على الرغم من ان بعض القيادات الحزبية بدأت تبتعد عنه لتخوفها من الاتجاه «التصفوي»

الذي كان يمثله ، ومن الافكار المعادية للصهيونية التي كان يشيعها .

غادر فلسطين خلال عام ١٩٢٢ الى فرصوفيا ، ثم انتقل الى الاتحاد السوفياتي ، وتوفي في موسكو عام ١٩٤٧ (المرجع السابق ص ٧٤ ـ ٧٨) .

٣ ـ **أيليشا هو «موشي ليفين»** : وصل فلسطين عام ١٩١٩ قادما من الاتحاد السوفياتي ، حيث كان ينتسب الى صفوف الجناح اليساري داخل البوعالي تسيون «الحزب الشيوعي اليهودي : بوعالي تسيون» . وكان واحدا من ابرز ممثلي الاتجاه البوعالي تسيوني داخل الحزب الشيوعي في فلسطين . أبعد من الحزب بعد اعتراف قيادة الاممية الشيوعية رسميا به ، بسبب معارضته شعار التعريب .

أبعد عام ١٩٢٨ عن فلسطين ، واستقر في الاتحاد السوفياتي . لقي مصرعه في حادث خلال العام ١٩٤٣ . (المرجع السابق ص ١٨١) .

٤ ـ **برزيلاي (جوزيف برغر)** : اسمه الحقيقي جوزيف ميكاييل زيلسنيك . ولد في بولونيا عام (١٩٠٤ .. ؟) . هاجر الى فلسطين في ٤ـ٩ـ١٩٢٠ . انتسب الى حزب العمال الاشتراكي العبري في ايار ١٩٢١ . كان من ابرز ممثلي الاتجاه المعادي للصهيونيين داخل الحزب ، وتزعم الانشقاق الذي نتج عنه في ايلول ١٩٢٢ ولادة الحزب الشيوعي الفلسطيني .

غادر فلسطين الى برلين للعمل مع عصبة مناهضة الامبريالية. ثم توجه الى موسكو للعمل في القسم الشرقي التابع للاممية الشيوعية. اعتقل عام ١٩٣٥ . أفرج عنه عام١٩٥١ ، وهاجر الى بولونيا ، ومنها الى الكيان الصهيوني ، حيث ساهم في تزييف الحقائق التاريخية التي ساهم في صنعها عندما كان على رأس الحزب الشيوعي الفلسطيني (المرجع السابق ،

ص ٢٣٧) .

٥ ـ **وولف اوبرباخ** : عرف باسم دانييل وأبو زيام . ولد في روسيا عام ١٨٨٠ . ساهم في أحداث الثورة الروسية الاولى. انتسب تحت تأثير اخيه الكسندر الى صفوف حزب البوعالي تسيون الروسي بقيادة بوروشوف . وكان واحدا من ابرز قيادييه ، وتزعم جناحه اليساري الذي تبنى بعد الانشقاق اسم «الحزب الشيوعي اليهودي» . أوفده الحزب الى فلسطين عام ١٩٢٢ ، حيث احتل سريعا مكان ايليشيا على رأس اتجاه الاغلبية . انتخب امينا عاما للحزب ، بعد مؤتمر الوحدة الذي عقد في تموز ١٩٢٣ . استدعي قبل انجاز عملية تعريب الحزب في بداية الثلاثينات الى موسكو . لقي مصرعه خلال حملة التصفيات التيجرت فياواسط الثلاثينات (المرجع السابق ص ٢٤٨) .

٨ — تقييم

كانت الماركسية ، في هذه المرحلة (١٨٤٤ — ١٩٤٧) ، تفند نظريا فكرة «أمة يهودية» ، وتحارب عمليا النشاطات الصهيونية . ولم تكن مسألة نفي وجود أمة يهودية مسألة معقدة ، ومع هـذا فان ستالين ولينين وغيرهما سوّدوا الصفحات الطوال في هذا الموضوع . اليهود لا يتوفر فيهم أي شرط من الشروط التـي تجعل من جماعة بشرية امة . هذا ما تؤكده الادبيات الماركسية في هذه المرحلة تأكيدا لا لبس فيه ، ولا ابهام ؛ مع ان ستالين أخطأ حين اعتبر ان اصل اليهود المشترك يجمعهم ، او ان لهم «بعض بقايا الطابع الوطني» . عن اي اصل مشترك يتحدث ستالين ، وأي «بقايا طابع وطني» يذكر ؟ هذا ما سنجيب عليه فيما بعد .

جر رفض الاعتراف بوجود أمة يهودية ، الى رفض قيـام دولة صهيونية في فلسطين ، واعتبار هـذه الدعوة رجعيـة استعمارية فاشية ، كما جر الى رفض التقسيم رفضا قاطعا .

ولقد ظلت الاحزاب الشيوعية ، كما ظل الاتحاد السوفياتي ،

ثابتة على موقفها هذا ، وان كانت ـ كما كان الاتحاد السوفياتي ـ «تلعب» بالشعارات الاستراتيجية ، فترفع منها ما تشاء ، وتسقط ما تشاء ، حسب تقييمها للاحـــداث ، وفهمها لتناقضاتهـــا وتداخلاتها . لقد كانت المعارك السياسية والتحالفات السياسية تملي مواقف معينة ، ولكن هذا كله لم يؤد الى تغيير جذري فـــي الموقف ، لان كل الاحزاب الشيوعية الغربية ، ولأن الاتحـــاد السوفياتي ايضا ، ظلت منذ العشرينات حتى سنة ١٩٤٧ ضـــد وجود دولة صهيونية . ومع هذا فقد كانت هنالك نقطة ضعف خطرة في هذا الموقف . نقطة الضعف هذه هي محاولة التفريق بين الحركة الصهيونية والجماهير اليهودية . المحاولـــة بريئة ، وتنبع من تحليل قاصر لوضع اليهود في فلسطين . وما دامت كل أمة او جماعة بشرية تتكون من طبقات ، وما دامت الصهيونية تمثل البرجوازية اليهودية في كل انحاء العالم ، فلا بد ان تكـــون متعارضة ـ فكرا ومصالح ـ مع الجماهير اليهودية . ولكن ما دام اليهود ليسوا شعبا ، وما دامت تجمعاتهم في فلسطين ثمرة من ثمرات العمل الصهيوني ، وقد كانت من اجل اجلاء شعب آخر عن ارضه ، والحاول مكانه ... فيجب ان تحاكم هذه التجمعات على ضوء الواقع ... واقعها هي بالذات ، لا على ضوء النظريـــات . التجمعات اليهودية في فلسطين كانت تجمعات صهيونية ، ... «مخافر زراعية» **وكان القادمون يأتون ، وفـــي أعماقهم حلم كبير يريدون تحقيقه : «اقامة دولة اسرائيل» على اختلاف طبقاتهم . ولو كانوا ضد برجوازيتهم الصهيونية لما جاءوا ... لما تركـــوا أعمالهم وبيوتهم وجاءوا** . وحتى هؤلاء الذين «هربوا» من كابوس النازية ، كان بامكانهم ان يعودوا بعد نهاية الحرب ، وزوال شبح «اللاسامية» ، لاسيما ان اوروبا بدأت بعد الحرب مشروع تعمير كبير أوجد حاجة ملحة للفنيين والايدي العاملة . الحديث هنا عن فروق اساسية بين موقف طبقة وطبقـــة داخل «التجمعـــات الصهيونية» ... «المخافر الزراعية والصناعية» ليس موضوعيا ،

ولا يدل على فهم طبيعة الغزو الصهيوني . ومع ان الاحداث كانت تكشف كل يوم ان كل التجمعات اليهودية في فلسطين صهيونية ، فقد كان شعار الاخاء العربي ـ اليهودي يرفع دائما . وكان الشيوعيون اول من عانى من صهيونية التجمعات اليهودية ... اذ كان عددهم يتضاءل ونفوذهم يتقلص بمقدار ما يحاربون الصهيونية .. ففي انتخابات جرت سنة ١٩٣٠ خسر الحزب نصف الاصوات التي حصل عيها سنة ١٩٢٥ ، مع ان عدد المهاجرين الصهيونيين زاد . وكان من اسباب ذلك موقف الحزب المعادي من الهجرة والمنظمات الصهيونية (١) . وسوف نتابع كشف هذه الحقيقة في المرحلة القادمة .

ان هذه الرؤية المثالية لواقع التجمعات الصهيونية ، هي التي جعلت قادة الحزب يجرمون هجمات العرب على المستعمرات الصهيونية ، كما حدث سنة ١٩٢٩ ، وقبل صدور قرار الكومنترن ، وهي التي جعلتهم يظنون ان هناك امكانية عمل مشترك بين الجماهير العربية واليهودية ضد الاستعمار البريطاني. وترتب على هذا اعتبار اي هجوم على مستعمرة يهودية صراعا عرقيا ودينيا .

وهكذا ، فبينما كان الشيوعيون يرفضون فكرة قيام دولة يهودية ، ويحاربون الصهيونية ، ويطالبون بشعار وقف الهجرة ، كانوا يرفعون شعار الاخاء العربي ـ اليهودي . ولكن العربي كان يدرك ان ما بينه وبين اليهودي الوافد ، ليس اخاء بل عداء ، وان مهاجمته لمستعمرة لا تقل اهمية وضرورة عن مهاجمة معسكر بريطاني . وكانت هجماته على المستعمرات تجعل عمل الصهيونية صعبا في الداخل والخارج . الا يكفي دليلا على ذلك ان سنوات الثورة (١٩٣٥ ـ ١٩٣٩) سجلت تقلصا في الهجرة الصهيونية ،

---

1 — Laquer, Walter: Ibid. p. 88.

وانكماشا في النشاط الاقتصادي الصهيوني في فلسطين ، وان هذه الثورة أدت الى الغاء الكتاب الابيض لسنة (١٩٢٢) . ثم الا يكفي ان نذكر هنا ان هجمات العرب العفوية سنة ١٩٢٩ ، التي ادانها الحزب الشيوعي الفلسطيني ، قد أدت الى اصدار قرار هام من الكومنترن ، لمصلحة العرب ، وهو القرار الذي تحدثنا عنه سابقا ..

ان رفض شعار الاخاء العربي ـ اليهودي لا يعني تجريم كل يهودي جاء فلسطين . فلقد قام بعض الشيوعيين من هؤلاء بدور مشرف ، ولكن هؤلاء كانوا قلة ، ولم تكن امكانية لتقدمهم ، وانتصار افكارهم في جو صهيوني . وكان مثل هذا الشعار يشجع استقرار العناصر الصهيونية في فلسطين ، وبالتالي يساعدها على بناء مستعمراتها ، وتحصين نفسها ، وتحقيق اهدافها . ولنفترض ان العرب واليهود اتفقوا على محاربة الاستعمار البريطاني ، فما الذي سيحدث بعد القضاء على الاحتلال ؟ هل كان يتوقع الشيوعيون حلول السلام بينهم ، ما دام اليهود قد جاءوا حالمين بانشاء دولة ، وما دام العرب يرفضون الاعتراف بأي حق لليهود في مشاركتهم وطنهم ؟

ان موقف العرب من اليهود ليس ناتجا عن عصبية عرقية او دينية ، وليس ناتجا عن تحريض بريطاني او غير بريطاني ؛ انه موقف دفاع عن النفس ازاء «غزوة بربرية» لا تقل همجية عن غزوات البرابرة والتتر والمغول ، وان كانت اكثر خطورة منها ، لانها تستهدف ابادة شعب بأسره ، ليحل شعب آخر مكانه .

ولقد كان الحس البدائي لدى الجماهير العربية الكادحة أقدر على فهم طبيعة «الغزوة البربرية» من كل النظريين والسياسيين.

اليهود يصبحون امة

(١٩٤٨ — ١٩٦٧)

١ ـ الاتحاد السوفياتي و « اسرائيل »

وقف مندوب الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة ، عند بحث موضوع فلسطين ، في اواخر سنة ١٩٤٧ ، ليؤيد مشروع التقسيم . أحدث تأييده انعطافا في الموقف السوفياتي الرسمي ، وفي موقف الاحزاب الشيوعية في كل انحاء العالم . كان التناقض بين محاربة الصهيونية ، ونفي وجود أمة يهودية ، وبين تأييد قيام دولة صهيونية ، ثم الاعتراف بها منذ اعلانها ... كان هذا تناقضا مذهلا .

وانتقل الاتحاد السوفياتي من النقيض الى النقيض ، فطالب سنة ١٩٤٧ مندوبه في الامم المتحدة بالاعتراف بدولة «اسرائيل»، عندما كان مجرد الاعتراف بها موضوع خلاف . «وشجع ستالين بعض حكومات اوروبا الشرقية على السماح لليهود الذين عاشوا في بلادهم بالهجرة الى فلسطين ، وحتى ان تقدم الاسلحة التي

حارب بها الصهيونيون حرب استقلالهم» (١) .

ما هي اسباب هذا التطور او لنقل «الانقلاب» ؟

حاول البعض ان يرده الى خطأ السياسة العربية التي كانت عازفة عن التفاهم مع الاتحاد السوفياتي حول قضية فلسطين ، وردها آخرون الى اعتقاد الاتحاد السوفياتي بأن «اسرائيل» ستكون واحة الديمقراطية في الشرق الاوسط .

ورد بعضهم ذلك الى نفوذ اليهود في الحزب الشيوعي السوفياتي . ولكن دراسة الارقام المتوافرة عن عدد اليهود في الحزب والجيش والدولة لا يؤكد هذه الحقيقة تماما . وقد بينا هذا في مكان سابق .

ولكن الاجابة على هذا السؤال ظلت تقديرية وموضع تكهن . وزاد الامر غموضا ان الاتحاد السوفياتي لم يعلن عن اية تفاصيل خاصة بموقفه من قضية فلسطين منذ سنة ١٩٤٨ حتى الان . واني اعتقد انملابسات الموقف السوفياتي تنجلي اذا ادركنا ما يلي:

اولا : كان الصهيونيون قد نجحوا في التأثير على ترومان واقناعه بادخال قضية تأييد المشروع الصهيوني في مساومات الحرب العالمية الثانية . وقد نقلنا ما رواه بن غوريون عن التأييد الذي ظفر به ترومان من ستالين في مؤتمر يالطا للمشروع الصهيوني .

ثانيا : كانت الحرب الباردة قد بلغت مستوى من الحدة يخشى معه قيام حرب ثالثة ، ولم يكن الاتحاد السوفياتي مهيأ لذلك، في وقت كانت فيه الولايات المتحدة متفوقة في ميدان الذرة . ويبدو ان ستالين اراد ان يكسب عطف الصهيونية

---

1 — Deutscher, Issac: Stalin, A Political Biography, Revised Edition, Penguin Books, (Pelican Books) 1966.

العالمية ذات النفوذ على راس المال العالمي ، وبالتالي على سياسة الدول الرأسمالية ، فأيد قيام اسرائيل (٢) .

ثالثا : كانت المنطقة العربية منطقة زراعية متخلفة ، وكانت «اسرائيل» في حال قيامها تبشر بنهضة صناعية تؤدي الى انتشار الشيوعية .

رابعا : كان كثير من القادة الشيوعيين في اوروبا الشرقية من اليهود ، وكان ستالين يعتمد على هؤلاء في تنفيذ سياسته ، ويبدو ان هؤلاء أثروا كثيرا في موقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين .

خامسا : اراد ستالين ان يصلح علاقات الاتحاد السوفياتي مع الولايات المتحدة متبنية المشروع الصهيوني وعاضدته (٣) .

سادسا : تملك الصهيونية العالمية اجهزة دعاية قوية في الغرب ، كما تملك نفوذا واسعا في الاوساط الاعلامية والسياسية والحزبية ، تقدمية ورجعية ، وربما كان الاتحاد السوفياتي يريد ، بالموافقة على قيام «اسرائيل» ، اسكات هذه الاصوات المشوشة الضاغطة ؛ التي كانت تتهم النظام السوفياتي باللاسامية والطغيان ؛ من بين اتهامات أخرى ، كان النظام السوفياتي يعتبر انه موجود للقضاء عليها ، أي ان الدعاية الصهيونية كانت تطعن النظام السوفياتي في نقاط حساسة . وما زالت الدعاوة الصهيونية تستخدم هذا السلاح حتى اليوم .

ولم يبرح هذا «الانقلاب» السياسي ان أدى الى «انقلاب» عقائدي . فاليهود لم يكونوا أمة ، ولكنهم الان اصبحوا أمة .

---

٢ ـ وهناك معلومات تشير الى ان الاتحاد السوفياتي حصل على اسرار الذرة مقابل الاعتراف ...

3 — Deutscher, Issac: Ibid. p. 591.

وقد بررت مجلة «الازمنة الحديثة» في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٧ تأييد الاتحاد السوفياتي لمشروع التقسيم بقولها : «وبما ان فلسطين تقطنها أمتان : عربية ويهودية ، لهما جذور تاريخية في البلاد على السواء ، فلا يمكن الدفاع عن مصالحهما المشروعة الا عن طريق انشاء دولة عربية يهودية مستقلة ديمقراطية. هذا ما طالب به غروميكو : انشاء دولة يتمتع بها العرب واليهود بحقوق متساوية ، وهي الوحيدة التي تستطيع ان تضمن التعاون بين الامتين لمصلحتها ورفاهيتها المشتركة . وانه اذا استحال تحسين العلاقات بين السكان العرب واليهود ، وفي هذه الحالة فقط ، كما قال غروميكو في آخر خطبته ، سنضطر الى اعتبار الاقتراح الآخر لحل المشكلة الفلسطينية ، وهو التقسيم الى دولتين مستقلتين : احداهما عربية والاخرى يهودية» (٤) .

ان مجلة الازمنة الحديثة هنا تلتمس العذر للتأييد السوفياتي، من خلال وضع العرب واليهود في فلسطين على قدم المساواة : اعتبار اليهود ، امة ذات جذور تاريخية في البلاد ، ولها مصالح مشروعة . ولكن كيف يكون ذلك ؟ هذا ما لم تجب عنه المجلة ، ولا اية مجلة سوفياتية اخرى .

واندفعت السياسة السوفياتية في هذا الاتجاه ، حتى ان الحكومة السوفياتية اعتبرت تدخل الجيوش العربية عدوانا على الكيان الصهيوني . وأخذت الاوساط السوفياتية الحاكمة تتملق الدولة الجديدة ، مدعية ان الاتحاد السوفياتي هو الصديق الصدوق الوحيد لها . ووصل الامر الى حد القول بأن التأييد الامريكي مجرد «ادعاء» ، وان بريطانيا تتآمر مع الامريكان لتقطيع أوصال الدولة الجديدة . وحرصا من الحكومة السوفياتية على

٤ ــ دروزة ، الحكم : المرجع السابق ، ص (٣٠٧ ــ ٣٠٨) .

الكيان الصهيوني ، فقد هاجم ممثلوها بعثة برنادوت على اساس انها تستهدف : «احباط استقلال اسرائيل وتقوية الاردن الصنيعة البريطانية» (٥) .

ولكن هذا الاتجاه لم يدم طويلا ، ففي خريف ١٩٤٨ بدأت السياسة السوفياتية تخفف من غلوائها في الحماسة للدولة الجديدة ، وكان ـ على ما يبدو ـ السبب الرئيسي للبرود هو ـ كما يقول لاكور ـ تسوية العلاقات البريطانية اليهودية (٦) ، بعد خروج الانجليز من فلسطين . ويقول اسحق دويتشر : «وسرعان ما اصبحت اسرائيل مركزا أماميا غربيا في الشرق الاوسط ، فلام ستالين قادتها على نكرانهم للجميل» (٧) . كما ان محاولته لاصلاح العلاقات السوفياتية الامريكية عن طريق تأييد قيام دولة «اسرائيل» لم تثبت نجاحا .

وتجمع المصادر المختلفة على ان ما أثاره قيام الكيان الصهيوني من حماسة في اليهود السوفيات ، وخاصة العناصر المؤمنة منهم ـ وهؤلاء هم الاغلبية ـ أشعر قادة الاتحاد السوفياتي ، وستالين خاصة ، ان المسألة اليهودية التي خالوها حلت في الاتحاد السوفياتي لم تحل ، وأن الحماسة الجديدة تهدد بيقظة الروح اليهودية في الاتحاد السوفياتي من جديد . وقد كشفت حادثة الاستقبال الحاشدة لجولدا مئير اول مبعوثة دبلوماسية للكيان الصهيوني في موسكو عما ذكرناه (٨) .

ولم يكن ستالين مستعدا للتسامح مع مثل هذا النشاط اليهودي ـ على ما يبدو ـ . وكانت النتيجة اعتقال بعض اليهود

---

٥ ـ لاكور ؛ ولتر : الاتحاد السوفياتي والشرق الاوسط ، ص ١٧٥ .

٦ ـ المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

7 — Deutscher, Issac: Ibid. p. 591.

8 — Deutscher, Issac: Ibid. p. 591.

ونفيهم .

من هنا بدأ التوتر . وزاد من حدته ان دولة الكيان الصهيوني بدأت تطالب بالسماح ليهود الاتحاد السوفياتي بالهجرة اليها . ولم يكن الاتحاد السوفياتي على استعداد لتلبية هذه الرغبة ، التي تعني تلبيتها فشل النظام السوفياتي في حل المسألة اليهودية .

وبدأت اوساط الحزب تشن حملة على دولة «اسرائيل» صنيعة الامبريالية ، كما اخذت تهاجم اليهود السوفيات الذين اظهروا بالتعبير عن ولائهم لها عدم ولاء لوطنهم .

واتخذ ستالين قرارا باغلاق الصحف اليهودية ، وايقاف المسارح ، وانهاء تعليم التلاميذ اليهود لغتهم (اليديش) ، وهي المنجزات التي حققها لهم عندما كان مفوضا لشؤون القوميات . وجرت تصفيات لشخصيات يهودية من ميادين مختلفة . ويروى بأن ستالين فكر في نقل اليهود السوفيات الى منطقة بيرابيجان ، منطقة الحكم الذاتي اليهودي السالفة الذكر ؛ ولكن ضرورات عملية حالت دون ذلك (٩) .

رافقت ذلك حملة على «شذاذ الافاق ــ العالميين» ، وذوي «الولاء المتذبذب» .

وبلغت ذروة الازمة بين الاتحاد السوفياتي والكيان الصهيوني خلال ازمة الاطباء اليهود (١٩٥٢ ــ ١٩٥٣) . وفي شباط من سنة ١٩٥٣ انفجر لغم في السفارة السوفياتية في الكيان الصهيوني ، فقطعت العلاقات الدبلوماسية ، وظلت مقطوعة حتى تموز من تلك السنة .

وكانت الدعاية السوفياتية تبرر الموقف الجديد بالقول : «ان اسرائيل لم تعد الدولة المستقلة الديمقراطية التي ايد الاتحاد السوفياتي خلقها ، وانما تحولت ، بدلا من ذلك ، آلة «وول

---

9 — Deutscher, Issac: Ibid, pp. (591 - 593).

ستريت» وبلدا راسماليا رجعيا ، تضطهد فيه الاقلية القومية العربية والجماهير الشعبية وتستغل» [10] .

ونستطيع القول بأن موقف الاتحاد السوفياتي ، اخذ يتحول لمصلحة العرب منذ سنة ١٩٥٤ . ذلك ان المنطقة العربية اخذت تنفجر بعد النكبة . وكانت المعركة ضد الاستعمار تزداد اتساعا يوما بعد يوم . بينما كانت دولة العصابات الصهيونية تزداد ارتباطا به واعتمادا عليه . وفي سنة ١٩٥٥ كانت صفقة الاسلحة بداية عهد جديد في تاريخ العلاقات السوفياتية العربية ، وفي تاريخ الصراع العربي ــ الصهيوني . ولم يمض عام حتى أيد الاتحاد السوفياتي مصر ضد العدوان الانجليزي ــ الفرنسي ــ الاسرائيلي . ومنذ ١٩٥٥ حتى الان ، ونطاق التعاون العربي ــ السوفياتي يتسع ، حتى اصبح الاتحاد السوفياتي المصدر الرئيسي للاسلحة بالنسبة للاقطار العربية التقدمية ، هذا عدا المعونات والقروض والاتفاقات الاقتصادية . وتمضي العلاقات العربية السوفياتية قدما لمصلحة التقدم والسلام .

---

١٠ ــ لاكور ، ولتر : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

٢ ــ يهود الاتحاد السوفياتي بعد سنة ١٩٤٨

استمر تدهور نسبة اليهود في الحزب والدولة بعد سنة ١٩٤٨ . وقد أدت انتخابات سنة ١٩٥٠ ، التي جرت في الثاني عشر من آذار ، الى ما يسميه الكتاب اليهود استئصالا كاملا لليهود من اجهزة الحزب والدولة القيادية . فمن بين ٦٧٨ عضوا في سوفيات الاتحاد كان هنالك يهودي واحد ، هو لازار كاجانوفتش ، ممثلا لاحدى الدوائر بطشقند . وكان هنالك شخص آخر يفترض بأنه يهودي ، هو مارك س. سبيفاك من ستالينو . وهذه النسبة أقل من ٣٣ر. بالمئة ، مقابل ٦ر٥ بالمئة سنة ١٩٣٧ .

وكان في مجلس القوميات الذي يبلغ عدد اعضائه ٦٣٨ عضوا يهوديان معروفان وشخص ثالث يفترض بأنه يهودي . وهذه النسبة أقل من ٥ر. بالمئة مقابل ٦ر٢ بالمئة سنة ١٩٣٧ (١) .

---

1 — Schwars, Solomon M., The Jews in The Soviet Union, p. 364 - 365.

وكان هنالك ثلاثة من اليهود في مجلس السوفيات الاعلى سنة ١٩٥٨ من بين ١٣٣٦ عضوا ، اي بنسبة ٢٥ر. بالمئة . ولم يكن يوجد بين اعضاء اللجنة المركزية البالغ عددهم ١٢٢ الا شخصان من اليهود سنة ١٩٦٠ (٢) .

واصاب اليهود في القوات المسلحة ما أصابهم في الميادين الاخرى . وابتدأ التدهور الحاد في نسبتهم بعد قيام الكيان الصهيوني. فبين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٣ احيل على التقاعد ثلاثة وستون جنرالا ، ومائة واحد عشر كولونيلا ، ومائة وتسعة وخمسون من مختلف الرتب . ولم يكن في نهاية هذه الفترة يهودي واحد بين مائة من اعلى قادة الجيش الكبار .

وتجمد الوضع مدة ثلاث سنوات ، لتبدأ حملة تطهيرات جديدة بعد حرب السويس سنة ١٩٥٦ . وقد حوّل من تبقى من اليهود من الخدمة الفعلية الى الاحتياط غير الفعال . الا ان هناك قطاعات لم يمس اليهود فيها هي قطاعات الخدمات الطبية والهندسية والتموين والنقل (٣) .

ويلاحظ ان العسكريين اليهود لا يرسلون في بعثات الى الخارج ، مع الوفود العسكرية السوفياتية ، ولا يشتركون في الوفود التي تستقبل الوفود الخارجية .

وتشير بعض المصادر الصهيونية الى ان خروتشيف قام بنشاط كبير لتطهير قياداتالحزب السوفياتي والاحزاب الشيوعية في اوروبة الشرقية من اليهود . ويروى عنه انه قال في اجتماع اللجنة المركزية لحزب العمال المتحد في بولندا :

---

2 — Schechtman, Joseph. Star in Eclipse: Russian Jewry Revisited. pp. 61 - 63.

3 — Ibid. pp (53 - 55).

«انني أعتقد انكم في بولندا ايضا تعانون من تكوين شـــاذ للكوادر القيادية ، كما عانينا نحن منه ... ان نسبة المسؤولين الكبار من اليهود هي لا شيء الان في بلادي ـ اثنان او ثلاثة في الالف . ولكن في بلادكم ؟ كم هنالك من اليهود في بولندا ؟ حوالي ٣٠ او ٤٠ الفا ... وعليه ما هي نسبتهم بالنسبة لمجموع السكان، وما هي نسبتهم في الكوادر القيادية ، بما فيه اللجنة المركزيـــة للحزب» ، وأضاف : «على الحزب الشيوعي البولندي ان يتأكـــد بأن في قيادته بولنديين فقط» .

ولقد اكد خروشوف هذا للبولنديين اكثر من مرة . ومما قاله لهم سنة ١٩٥٦ في التاسع عشر من أكتوبر : «لقد جئنا لنمنعكم من تسليم بولندا للامريكيين والصهيونيين ... ان لديكم كثيرا من الابراهيميين في قيادتكم» (٤) .

واذا كان يهود الاتحاد السوفياتي قد تضاءلوا في الميـــدان السياسي ، فانهم قد برزوا في ميادين اخرى . ففي ميــــدان البحوث مثلا كان عدد العاملين من اليهود سنة ١٩٥٨ قرابة تسعة وعشرين الفا (٢٨ر٩٦٦) . وقد ارتفع هذا العدد سنة ١٩٦٥ الى ثلاثة وخمسين الفا تقريبا (٥٣ر٠٦٨) وهذه نسبة عالية جدا اذا ما قورنت بقوميات اخرى. ذلك ان الاوكرانيين الذين كانوا يعملون في نفس الميدان لم يزد عددهم عن ثمانية وعشرين الفا تقريبـــا (٢٧٨٠٣) سنة ١٩٥٨ ، ولم يزد عن واحد وسبعين الفا تقريبـا سنة ١٩٦٦ ، مع ان الاوكرانيين يعدون عشرين ضعفا من اليهود. ويبلغ عدد الاعضاء والاعضاء المراسلين اليهود في اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي سبعة وخمسين شخصا ، بينما يبلغ عدد هؤلاء عشرين في اكاديمية العلوم الطبيعية .

ويبلغ عدد اليهود الاختصاصيين الحائزين على تعليم ثانوي

---

4 — Ibid. p. 81 - 85.

عال او متخصص ، والذين يعملون في الاقتصاد الوطني السوفياتي ١٠٠ر٤٢٧ سنة ١٩٦٠ ، و٤٠٠ر٤٥٧ ، سنة ١٩٦٤ ، و٤٠٠ر٤٨٢ سنة ١٩٦٦ . وهذا يعني ان ١٤ بالمئة من السكان اليهود في البلاد حائزون على تعليم ثانوي عال او متخصص ، بينما لا تزيد النسبة في البلاد عن ٩ر٤ بالمئة .

ويعود السبب ، بالطبع ، في هذا كله الى ان اليهود سكان مدن كما بينت . ذلك ان الاحصاء الاخير اظهر ان ٩٦ بالمئة من اليهود يعيشون في المدن (٥) .

وما ينطبق على ميدان البحوث ينطبق على مجالات اخرى . ففي موسكو ١٧٩٣٦ طبيبا (Physician) بينهم ٦٧٠٩ من اليهود، اي بنسبة ٤ر٣٧ بالمئة . وفي موسكو ايضا ١١٩٠ محاميا بينهم ٤٦٥ من اليهود . ويشكل اليهود في لينينجراد وخاركوف نسبة ٥٠ بالمئة من كل المحامين . وهذه النسبة تزداد في كييف وأوديسا . وهم ممثلون جيدا في ميدان الآداب والفنون والمسرح. ففي مؤتمر الفنانين السوفيات الذي عقد سنة ١٩٥٧ كان عدد الحضور ٥٧٩ ، وكان اليهود ٩ بالمئة ، وفي مؤتمر الكتّاب السوفيات الذي عقد سنة ١٩٥٤ كان عدد المشاركين ٧٣٨ بينهم ٧٢ يهوديا ، اي ٨ر٩ بالمئة . اما الصحافة والاذاعة فعدد اليهود فيهما قليل اليوم ، مع ان الامر كان عكس ذلك قبل الحرب (٦) .

---

5 — Rabinovich, Solomon, Jews in The Soviet Union, Novosti Press Agency Publishing House, Moscow, p. 53.

6 — Schechtman, Joseph B., Star in Eclipse, pp. 56-57.

٣ ـ الهجرة من الاتحاد السوفياتي الى الكيان الصهيوني

أ ـ الهجرة حتى سنة ١٩٦٦ :

سمح للقليل من اليهود بالهجرة من الاتحاد السوفياتي قبل سنة ١٩٤٨ . فقد هاجر بين ١٩١٩ و١٩٣١ من بين اليهود في الاتحاد السوفياتي ٣١ر٣٠٠ ، ولم تنجح الا قبضة منهم بمغادرة الاتحاد السوفياتي في الثلاثينات .

اما بعد سنة ١٩٤٨ ، فقد سمح بهجرة خمسة من اليهود الى الارض المحتلة ما بين ١٩٤٨ ـ ١٩٥١ . وكان من هؤلاء الخمسة مقعد واربعة عجائز . ولم يسمح لاحد سنة ١٩٥٢ بالهجرة . وقد تغير الوضع قليلا في عهد مالينكوف (تموز ١٩٥٣ ـ ايلول ١٩٥٥) . فسمح لمائة وخمسة وعشرين مهاجرا ، من سكان مقاطعة كانت سابقا تابعة لرومانيا ، وضمت في الحرب العالمية الثانية الى

الاتحاد السوفياتي ، بالهجرة الى الارض المحتلة . ووصل الى الارض المحتلة في الفترة (يناير – ابريل ١٩٥٦) مائة وثمانية عشر مهاجرا (بينهم رجل واحد في الخامسة والثلاثين من آسيا الوسطى) . وكان هؤلاء من كل انحاء الاتحاد السوفياتي . اما سنة ١٩٥٨ فقد وصل الف ومائة وعشرون مهاجرا .

ومع ان باب الهجرة من الاتحاد السوفياتي كان مغلقا ، فيما عدا هذه الارقام المحدودة المرتبطة بحالات خاصة ، فان ثلاثماية الف من اليهود هاجروا من رومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا في السنوات (١٩٤٨ – ١٩٥٥) . والجدير بالذكر ان بعض يهود الاتحاد السوفياتي كانوا يهاجرون الى بولندا ، ومن هناك الى الكيان الصهيوني .

وكان الاتحاد السوفياتي ، وما زال ، يواجه ضغطا صهيونيا منظما لفتح باب الهجرة لليهود . وما من شخصية رسمية او غير رسمية تزور الاتحاد السوفياتي ، الا وتكلف بدراسة الموضوع مع القادة السوفيات . وكان آخر الذين بحثوا الموضوع مع القادة السوفيات رئيس الوزراء البريطاني ولسن ، في آخر زيارة له للاتحاد السوفياتي .

ولقد ردت الازفستيا سنة ١٩٦٦ في ايلول على حملة الدعاية المضادة للاتحاد السوفياتي التي تشنها الصهيونية العالمية ، مبينة ان اسباب هذه الحملة هي محاولة الضغط على الاتحاد السوفياتي لفتح المجال امام هجرة اليهود ، بعد ان فشلت الصهيونية في دفع يهود امريكا الشمالية والجنوبية الى مغادرة البلاد التي يقطنون فيها للتوطن في «اسرائيل» ★ .

وكان خروتشيف يجيب اجابات لبقة او مطمئنة عندما يسأل عن الموضوع . وقد اجاب اليانور روزفلت عندما قابلته في

★ — Ibid. pp. 198 - 199.

موسكو سنة ١٩٥٨ : «انا أدري ، ولكن الوقت الذي يكون فيه كل من يريد الذهاب قادرا عليه سوف يجيء» * .

وحين سئل كوسيجين سنة ١٩٦٦ في باريس عن الموضوع اجاب :

«اما فيما يتعلق بلم شمل العائلات ، اذا كان افراد بعض العائلات يريدون ان يلموا الشمل ، او اذا كانت هناك بعض العائلات تريد ان تغادر الاتحاد السوفياتي ، فاننا لنرحب ان يفعلوا ذلك ، وما من مشكلة هنا» ** .

ب ـ الهجرة بعد سنة ١٩٦٧ :

لقد تطور موضوع الهجرة الصهيونية من الاتحاد السوفياتي، بعد سنة ١٩٦٧ . ولقد حدث تحوّل على الصعيدين الصهيوني والسوفياتي . وسأعرض هنا لهذا التحول ، ومخاطره على القضية الفلسطينية .

فعلى الصعيد الصهيوني ، كانت الحركة الصهيونية ترى ان يهود الاتحاد السوفياتي مهددون بالتمثل والاندماج ، لانتشار الثقافة العلمانية ، بعد انتصار الاشتراكية ، وانتهاء دور رجال الدين والغيتو . وكان هذا ، بالاضافة الى السياسة التي انتهجت في حل مشكلة القوميات ، ومحاربة الاتجاهات العنصرية ، يهدد بانهاء قضية اليهود في الاتحاد السوفياتي ، وتحويلهم الى مواطنين عاديين مثل أبناء القوميات الاخرى . والصهيونيون بالطبع ضد التمثل ، كما تشير كل ادبياتهم . ففي المؤتمر اليهودي العالمي

---

* ـ لاكور ، ولتر : الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط ، ص ٣١٣ .

** ـ المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

المنعقد في ٢٧ حزيران و٤ تموز ١٩٧٣ ، اعرب كثير من المشاركين من الولايات المتحدة وكندا «عن الحاجة الى مواجهة مشكلات الاندماج ، والزواج المختلط ، ورعاية التقاليد اليهودية والوعي اليهودي ، وتكوين قيادات يهودية فتية تكرس نفسها لدعم اسرائيل ويهود الشتات» . اما غولدمان فهو يذكر المؤتمرين ان عليهم ألا ينسوا ان يهود الاتحاد السوفياتي لن يهاجروا جميعا ، وان جاليات كبيرة ستبقى «ولا نستطيع ان نسمح لانفسنا بأن نفقد هؤلاء اليهود نتيجة اندماج تام» (١) .

ومن جهة اخرى ، فان الحركة الصهيونية أزعجها تلاشي الحركة المعادية للسامية ، بعد انتهاء الحرب العالمية . وهذا ما يتضح ايضا من الادبيات الصهيونية . ان يتسحاق كورن ، عضو الكنيست ، ورئيس ادارة الفرع الاسرائيلي للمؤتمر اليهودي في الوكالة اليهودية ، يكتب في يديعوت احرنوت ٢٠-٦-١٩٧٣ عن خطورة وضع اليهود في العالم «حيث لم يعد العداء للسامية المشكلة الاولى» (٢) . ولذلك بدأت الحركة الصهيونية حملة واسعة ضد ما أسمته اللاسامية في الاتحاد السوفياتي ، ونظمت من اجل ذلك حملات واسعة النطاق ، بكل الطرق الممكنة وبدأت هذه الحملات بالمطالبة «بالمزيد من الحريات الدينية والثقافية لليهود السوفيات» ، ولكنها تحولت بعد ذلك الى المطالبة بحرية الهجرة (٣) .

وكان أخطر ما في الامر ان الحركة الصهيونية استطاعت

---

١ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : السنة الثالثة ، العدد ١٥ ، ١ آب ١٩٧٣ ، الحركة الصهيونية ، ص ٤٧٢ .

٢ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المرجع السابق ص ٤٧٤ .

٣ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي ١٩٧٠ ، ص ٧٦٦ .

الوصول الى اليهود السوفيات ، واستغلال هوس بقايا المتدينين، ونقمة الناقمين منهم لاسباب مختلفة ، من اجل ان تؤجج حملة داخلية ، معادية للنظام ، تواكب الحملة الخارجية ، وتكون مادتها وغطاءها .

وهنا تقوم الحركة الصهيونية بدور مزدوج : العمل لاثارة المشاكل داخل الاتحاد السوفياتي ، والعمل لهجرة اليهود السوفيات الى فلسطين . يقترن ذلك كله باثارة مشكلة مصطنعة، تستخدمها الصحافة الصهيونية ، في اثارة ما تسميه قضية اللاسامية في الاتحاد السوفياتي (٤) .

لقد شهدت العلاقات السوفياتية مع الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني مرحلة من التوتر ، بعد حرب حزيران ، وبعد قطع علاقات الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية بهذا الكيان . ولكن عام ١٩٧٠ شهد انتقال الحركة الصهيونية الى المواجهة . فلقد ارادت ان تجعل هذا العام عام المجابهة المباشرة (٥) . وتمثل ذلك في تصعيد معركة الصهيونيين داخل الاتحاد السوفياتي ، وتصعيد الحملة على الاتحاد السوفياتي في الخارج . ففي الداخل ، بدأ النشاط الصهيوني يبرز الى العلن عبر حملات توقيع العرائض وتنظيم الاحتجاجات والمطالبة بالهجرة ، والاتصال بالصحف ووسائل الاعلام الغربية، وتوجيه الرسائل الى شخصيات دينية وسياسية خارج الاتحاد السوفياتي . وكان من ذلك مثلا الرسالة التي وجهها عدد من اليهود الروس الليتوانيين في نهاية ايار ١٩٧٠ الى حاخام الدانمرك ، يرجونه فيها التدخل بسرعة ،

---

٤ ــ نعطي مثلا على ما يكتبه الصهيونيون في هذا المجال الفصل المعنون «اللاسامية في الاتحاد السوفياتي» في كتاب James Parkes: Antisemitism: Vallentine. Mitchell London. pp. 146 - 157.

٥ ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، المرجع السابق ، ص ٧٦٦ .

لدى الامم المتحدة والدول الغربية ، كي يسمح لهم الاتحاد السوفياتي بالهجرة «والاستيطان في اسرائيل» ، ويصفون فيها اوضاع اليهود في مدينتي كوفنو وفولون . ولقد قام الحاخام بما طلب منه ، فوجه الرسالة الى يوثانت ، ووزير خارجية الدانمارك ، ورئيسة وزراء «اسرائيل» جولدا مئير ... وبعد ذلك بقليل ، (حوالي اسبوعين) ، قامت مجموعة من الصهيونيين بمحاولة خطف طائرة سوفياتية الى اسوج . وكان هذا كله ايذانا بتصعيد الصراع في الداخل .

اما في الخارج ، فقد بدأ المؤتمر الاميركي اليهودي سنة ١٩٧٠ حملته حول «اليهودية السوفياتية» ، فأعد بيانا ، استهدف توقيعه من حكام الولايات المتحدة الاميركية من اجل اثارة اهتمام العالم بما أسمي «نكبة اليهود السوفيات» . وقد اتخذ قرار آخر بعقد اربعة مؤتمرات داخل الولايات المتحدة ، حول وضع اليهود السوفيات ، في كليفلند (اوهايو) ٢٨-٢-١٩٧٠ وفيلادلفيا (بنسلفانيا) ٨-٣-١٩٧٠ وسان فرنسيسكو (كاليفورنيا) ١٦-٥-١٩٧٠ ، واطلنطا (جورجيا) ٦-٦-١٩٧٠ . وتواصلت الحملة وتنوعت . فتم مثلا ايفاد بعثة دينية من حاخام يهودي ، وكاهنين كاثوليكيين، لتقصي اوضاع اليهود في الاتحاد السوفياتي (نيسان ١٩٧٠) . ونشر «المؤتمر اليهودي الاميركي حول اليهودية السوفياتية» اعلانا في جريدة «نيويورك تايمز» ٢٩-٥-١٩٧٠ يحمل تواقيع الف وثلاثماية استاذ جامعي ، ينددون فيه «بحملة الافتراء والضغط» التي يتعرض لها اليهود السوفيات : ونشرت «اللجنة الطارئة لشؤون اليهود السوفيات» اعلانا يوم ٩-١٢-١٩٧٠ بعنوان «دعوا شعبي يخرج» ، طالبت فيه الاتحاد السوفياتي ، باطلاق سراح جميع المعتقلين اليهود ، وباطلاق حق الهجرة ، وباعطاء اليهود الحقوق «القومية والدينية والثقافية» . ولم تكتف المنظمات الصهيونية بذلك ، بل قامت بعمليات استفزازية . اذ ان «عصبة الدفاع اليهودي» ارسلت مجموعة في أواخر كانون الثاني

١٩٧٠ لمنع الفرقة الفلهارمونية السوفياتية من تقديم حفلتها الموسيقية في نيويورك . كما نسفت في ٢٥-١١-١٩٧٠ مكاتب ايرفلوت وانتوريست في نيويورك ...

داخل الارض المحتلة ، قام الكنيست بعقد جلسة خاصة في ١-٧-١٩٧٠ من اجل مناقشة وضع اليهود السوفيات ، واتخذ قرارا بانشاء «مجلس عام لليهودية السوفياتية» . وعقد جلسة ثانية في ١٦-١٢-١٩٧٠ ليناقش بدء محاكمات خاطفي الطائرة في الاتحاد السوفياتي . وشاركت الصحف والمؤسسات في الحملة بأشكال مختلفة . وقبل نهاية العام (١٩-١٢-١٩٧٠) كانت جولدا مئير تصف في مقابلة اذاعية «نضال» اليهود السوفيات من اجل «حق الاستيطان في اسرائيل» انه «واحد من اكبر الثورات، وواحد من اكبر اعمال البطولة» (٦) .

وواصلت وسائل الاعلام الصهيونية حملتها على «حرب موسكو على اليهود» (٧) ، وظلت تتابع أخبار المحاكمات والمساجين والمتظاهرين والمحرومين من السفر ، لتؤكد «ان الوضع العام لليهود في الاتحاد السوفياتي يتدهور» (٨) . وتصف الصحف الصهيونية العقبات التي يواجهها اليهود في الاتحاد السوفياتي ، حتى يحصلوا على اذن السفر (٩) ، وكيف تنمو معاداة السامية في كل انحاء الاتحاد السوفياتي (١٠) .

---

٦ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المرجع السابق .

7 — Jewish Observer and Middle East Review Jan. 1 1971 p. 2.

٨ - المصدر السابق ، ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٧٤ .

٩ - المصدر السابق : كيف تخرج من روسيا ، ٣٠ تموز ١٩٧١ .

١٠ - المصدر السابق : ١٠ ايار ١٩٧٤ ، ص ١٨ .

ان هذا كله قاد الى موقف سوفياتي مزدوج . فمن جهة تمت الموافقة على هجرة اليهود السوفيات ، ومن جهة اخرى صعدت وسائل الاعلام السوفياتية الحملة على الصهيونية .

فعلى الصعيد الداخلي قام اليهود السوفيات بردود متعـددة الاشكال ، تتراوح بين البيانات والبرقيات والندوات (١١) . كما قامت الدولة والحزب بحشد كل طاقاتهما السياسية والاعلامية من اجل دحض افتراءات الصهيونيين ، وكشف أضاليلهم . وكانت هذه المادة الاعلامية ، تطبع وتوزع ، في معظم اللغات المستخدمة في الاتحاد السوفياتي والعالم . ونشأت نتيجة لذلك جماعات من الكتاب المتخصصين في دراسة الصهيونية . وتجد الكتب التي ترد على الصهيونية في كل المكتبات ومحطات القاطـــرات والمطارات تقريبا ، حتى في مطارات سيبيريا . وتجد من بين هذه المواد كتبا وكراسات ومقالات نشرتها الصحف ، وندوات مع مهاجرين يهود عائدين (١٢) . ولقد ترجم من هذه الكتب ، عدد لا بأس به ، منها ما ترجمه السوفيات انفسهم ، ومنها ما ترجمتـــه دور النشر

---

١١ ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المرجع السابق .

١٢ ـ نذكر منها مثلا : منشورات نوفوستي ١٩٧١ .

B. Prahye: deceived by Zionism. Zionism: Instrument of Imperialist Reaction .

ويضم وجهة نظر السوفيات حول أحداث الشرق الاوسط ـ شباط ـ اذار ١٩٧٠ . Soviet Jews Reject Zionist «Protection».

ندوة وكالة نوفوستي ٥ شباط ١٩٧١ التي نظمتها بالتعاون مع اتحاد الكتاب وهيئة تحرير الوطن السوفياتي Sovietisch Heimland التي تصدر باليديش .

المختلفة (١٣) وكل هذه الكتب تشدد على النواحي التالية :

أ ـ ان الصهيونية ايديولوجية رجعية ، وهنا يستعاد ما قاله فيها لينين خاصة .

ب ـ ان «اسرائيل» أداة للامبريالية ووظيفتها العدوان والتوسع ، وهي تقود شبكات التخريب العالمية .

ج ـ ان المخطط الصهيوني يخدم الامبريالية ، والامبريالية الامريكية خاصة .

د ـ ان «اسرائيل» تقوم باضطهاد العرب واحتلال اراضيهم ، ولا تمتثل لقرارات الامم المتحدة .

هـ ـ ان الصهيونية ، باعتبارها رجعية ، تحارب الاشتراكية ، وحربها على الاتحاد السوفياتي الذي حل مشكلة القوميات ،

---

١٣ ـ نذكر منها :

أ ـ هيئة تحرير «العلوم الاجتماعية اليوم» : الصهيونية ايديولوجية الامبريالية ، تعريب اكرم الرافعي ، دار الفارابي ١٩٧٣ .

ب ـ ايفان دونيف : الصهيونية بلا قناع : تعريب فرات الجواهري ، دار الفارابي ١٩٧٤ .

ج ـ عدد من المؤلفين : الجوهر الرجعي للصهيونية (مجموعة مقالات) ، دار التقدم ، موسكو ١٩٧٠ .

د ـ عدد من المؤلفين : الصهيونية نظرية وممارسة : ترجمة يوسف سلمان، دار الطليعة ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ١٩٧٤ .

هـ ـ ر.م. برودسكي و يو. أ. شوليستر : الصهيونية في خدمة الرجعية، ترجمة هاشم حمادي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق ، ١٩٧٧ .

و ـ غزو بلا سلاح ، اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ١٩٧٨ .

وساوى بين الشعوب ، وحارب العنصرية ، جزء من هــذه السياسة .

وتتناول هذه الكتب والنشرات الصهيونيــة بالتحليــل الايديولوجي ، فتكشف اصولها ، وتربط بينها، وما في الدين اليهودي من عناصر رجعية . ثم تبين العلاقة التاريخيــة بين الصهيونية والاستعمار والامبريالية . وتكشف دور «اسرائيل» والصهيونية اليوم . ان في هذه الكتب والكراسات الكثير مــن المعلومات الهامة والمفيدة للمكتبة العربية والعالمية ، وللقراء فــي هذا العصر .

ونستطيع ان نقول ان الاتحاد السوفياتي وحده ، يواجه في هذا المجال الدعاوة الصهيونية المتعددة الوسائل ، الواسعــة الانتشار .

هذا جانب ، اما الجانب الآخر ، فهو ان الاتحاد السوفياتي، وامــام الضغوط الصهيونية الداخليــة والصهيونية العالمية الخارجية ، قبل بفتح باب الهجرة . «ويبــدو ان الحكومــة السوفياتية تحققت ان لا حل يمكن ان ينفذ غير الهجرة اليهودية» كما تقول احدى الصحف الصهيونية (١٤) . وسأترك هنا الارقام تتكلم وهي ارقام توصل اليها هارولد ميلر ، نائب رئيس الاتحاد الصهيوني في بريطانيا ، ومتخصص بالاحصاء (١٥) .

---

14 — Jewish Observer and Middle East Review: Dec 19, 1971 p. 14.

١٥ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العدد (٧) السنة الرابعة ، ١ نيسان ١٩٧٤ ، والاحصائية تتوقف عند نهاية ١٩٧٢ ، وتعتبر رقم ١٩٧٢ مؤقتا .

عدد المهاجرين	السنة
٢٩٠	١٩٥٠
١٨٦	١٩٥١
٥٦	١٩٥٢
٣٩	١٩٥٣
٢٦	١٩٥٤
١٢٣	١٩٥٥
٤٦٠	١٩٥٦
١٣١٤	١٩٥٧
٧٢٠	١٩٥٨
١٣٥٣	١٩٥٩
١٩١٧	١٩٦٠
٢٦١	١٩٦١
١٨٤	١٩٦٢
٣٠٤	١٩٦٣
٥٣٠	١٩٦٤
٨٨٧	١٩٦٥
٢٠٧٢	١٩٦٦
١٣٨٠	١٩٦٧
٢٢٤	١٩٦٨
٣٠١١	١٩٦٩
٩٨٢	١٩٧٠
١٢،٦٨٧	١٩٧١
٣٢،٠٠٠	١٩٧٢

٣٤،٧٥٠ او ٣٣،٦٠٠	١٩٧٣ (١٦)
١٧٤٥٠	١٩٧٤ (١٧)
٨٥٥٠ (١٣،٢٢٠)	١٩٧٥ (١٨)
٣٦٥٠ (٧٠٠٠)	١٩٧٦ (١٩) (عن نصف عام)
١٤٠٠٠	١٩٧٧
١١٥٠٠	١٩٧٨ (٢٠) (النصف الاول من العام)

---

١٦ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العدد ٧ ، السنة الرابعة، ١ـ٤ـ١٩٧٤ .

١٧ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العدد ٢٤ ، السنة الرابعة ، ١٦ـ١٢ـ١٩٧٤ . الرقم ١٦٠٠٠ حتى ٢ـ١٢ـ١٩٧٤ . والمعدل ١٤٥٠ في الشهر ، فأضفت ١٤٥٠ . خاصة عدد المهاجرين كان ١٢٠٠ في شهر تشرين الثاني ٧٤ و١٤٠٠ في تشرين الاول . وتشير الدستور الاردنية الى ان العدد ٢٠ الفا ، ١٣ـ١١ـ١٩٧٧ .

١٨ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العددان ١ و٢ ، السنة السادسة ١ و١٦ـ١ـ١٩٧٦ الرقم الاول عدد الذين وصلوا ، والثاني عدد الذين هاجروا .

١٩ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العدد (٢٠ ـ ٢٣) السنة السادسة ١ـ١٢ـ١٩٧٦ ص ٣٩٨ والرقم ٣٦٥٠ عن نصف عام ، وتقول الدستور الاردنية (١٣ـ١١ـ١٩٧٧) ان عدد المهاجرين سنة ٧٦ هو ١٤٠٠٠ «تساقط نصفهم في فيينا . وقد سمح سنة ١٩٧٦ بهجرة ١٥٧٩١ ، يبدو ان قسما منهم لم يهاجر. ووصل الارض المحتلة (٧٢٣٨) النهار ٢٥ـ٦ـ١٩٧٧ .

٢٠ ـ الانوار اللبنانية ٤ـ٥ـ١٩٧٨ . ارقام المؤتمر القومي لليهود السوفيات، واكدتها وزارة الخارجية الاميركية هي ٨٠٠٠ عن الثلث الاول و١١٥٠٠ عن النصف الاول من العام ، النهار ٥ـ٨ـ١٩٧٨ .

وتشير المصادر الصهيونية الى ان عدد اليهود الذين غادروا الاتحاد السوفياتي متوجهين الى الارض المحتلة من تشرين الثاني ١٩٦٨ الى نهاية آذار ١٩٧٧ بلغ نحـــو ١٣٥،٠٠٠ (٢١) ، اي ان المعدل السنوي قرابة ستة عشر الفا . وتقول الاوساط الصهيونية، بأن عدد المهاجرين استقر الان على حوالـــي ١٠٠٠ الى ١٢٠٠ شهريا . ولكن المصادر الصهيونية عادت فأكدت «ان الهجـــرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي ارتفعت بشكل كبير في الثلث الاول من ١٩٧٨ الى حوالي ضعفي معدل العام الماضي» (٢٢) .

ومع ذلك فان هذه الارقام لا ترضي الجهات الصهيونية المعنية، فقد كتب مناحيم غسيس في عال همشمار : «ان سنة ١٩٧٦ كانت قاسية وكئيبة بالنسبة لحركة الهجرة من الاتحـــاد السوفياتي ، بسبب القيود التي فرضتها السلطات هناك . وقد سمح في تلك السنة لنحو ١٤ الف يهودي بمغادرة الاتحاد السوفياتي ، مقابـل ١٣،٢٢٠ سنة ١٩٧٥ ، اي بزيادة ٦ بالمئة فقط» (٢٣) . والبرنامج الصهيوني يطمح الى هجرة مفتوحة . وحتى رقم الستين الفا الذي قيل ان الاتفاق الذي تم عليه بين كيسنجر والسلطات السوفياتية، لم يرض الجهات الصهيونية . فلقد ارادوا ان يضمنوا ان يكون كل هؤلاء من اليهود ، باعتبار ان المان الفولغا يريدون الهجرة ايضا، ثم قالوا «حتى لو افترضنا ان رقم الستين الفا ، باعتباره معدل حد ادنى اساسي ، يعود اساسا الى اليهود ، فمن المعروف ان مائة وأربعين الفا قد قدموا طلبات هجرة . فاذا لم يقدم احد سواهم، سيحتاجون لسنتين ونصفا ليهاجروا» . الا ان الدوائر الصهيونية

---

٢١ ـ الدستور الاردنية ، ١٣ـ١١ـ١٩٧٧ .

٢٢ ـ الانوار ، ٤ـ٥ـ١٩٧٨ .

٢٣ ـ الدستور ، ١٣ـ١١ـ١٩٧٧ .

لا تسقط طموحاتها على الوقائع . ولذلك فانها تقبل فتح باب الهجرة لتواصل الضغط ، من الداخل بدفع المزيد من اليهود لتقديم طلبات الهجرة ، ومن الخارج بتصعيد الحملات. وهي لذلك تريد الان ان يرتفع الرقم الحالي قليلا ليتشجع اليهود السوفيات بتقديم المزيد من الطلبات (٢٤) .

وعقد مؤتمر في النصف الاول من ايار سنة ١٩٧٤ لبحث تدني هجرة اليهود السوفيات ، حضره ممثلون عن خمسة عشر بلدا . ولقد اختتمه رئيس الوكالة اليهودية بالوكالة دولتزين قائلا : «على العالم وروسيا ان يفهما ان هذا نضال ، لن يتخلى عنه الشعب اليهودي» (٢٥) . وكان بيليد وزير الاستيعاب ، قد بنى تفاؤله ، قبل ذلك على ثلاثة عوامل ، قال : «استمرار نضال اليهود داخل الاتحاد السوفياتي ، والمساندة الدولية لنضالهم ـ ولكن دون العنف الذي أعارضه ـ وحسن استيعاب القادمين الجدد الحاليين في اسرائيل» .

اما السوفيات من جانبهم ، فقد رفضوا رفضا قاطعا ، ان يكونوا «قد وصلوا الى اتفاق مع الولايات المتحدة الاميركية حول قضية الهجرة مقابل تنازلات تجارية» (٢٦) . ولكن كيسنجر أكد «ان الحكومة الاميركية تم التأكيد لها ان ما من تقييدات غير معقولة ، يمكن ان توضع على اناس يريدون الهجرة ، وانه سوف لا يكون هناك مضايقات» . وتوقع بناء على ذلك «ان يوازي معدل الهجرة عدد مقدمي الطلبات» . «وهذا سيقود الى زيادة في

---

24 — Jewish Observer and Middle East Review: Oct. 25, 1970 .

٢٥ ـ المرجع السابق ، ايار ١٠-١٩٧٤ ، ص ١٨ .

٢٦ ـ المرجع السابق ، تشرين الثاني ٢٢-١٩٧٤ ، ص ١٤ .

الهجرة» (٢٧) .

وكانت نوفوستي قد اجرت حوارا مع نائب وزير الداخلية ، حول موضوع الهجرة نشرته جريدة الاتحاد ١٩-١-١٩٧٣ قال فيه : «ان تصاريح المغادرة قد أعطيت في العام الحالي (١٩٧٢) الى ٩٥ بالمئة من اليهود الذين تقدموا بطلبات خروج» . ولكنه اضاف «... وجدير بالملاحظة حقيقة ان غالبية المواطنين اليهود، الذين يطلبون السماح لهم بالمغادرة الى اسرائيل ، يحصلون على موافقة الدولة ، الا انهم يرفضون المغادرة . ففي العام الحالي - ١٩٧٢ - تقدم الفا شخص ممن ليس لهم مؤهل علمي عالي - بطلبات خروج ، الا انهم لم يغادروا ، ولم يستخدموا التصاريح التي منحت لهم» (٢٨) .

ومن الجدير بالذكر ان الاذاعة الصهيونية ، اعلنت يوم ٢٣-٢-٧٣ ، ان الاتحاد السوفياتي وزع بيانا في الامم المتحدة ، جاء فيه «انه غادر اراضيه في العام الماضي ٢١،٠٠٠ يهودي ، ومنذ وضعت الحرب العالمية أوزارها هاجر الى اسرائيل ٤٢،٠٠٠» (٢٩) .

ومن الواضح ان كل الاجراءات السوفياتية ، وحتى فرض الفدية على العلماء والخبراء ، لم تمنع سيل الهجرة . وبالتالي فان الهجرة تصبح مشكلة سوفياتية ، كما هي مشكلة عربية ...

ان فرار مواطنين بمئات الآلاف ، من بلد انهى البطالة ، والتفرقة العنصرية ، واقام نظاما اشتراكيا منذ سنة ١٩١٧ ،

---

٢٧ - المرجع السابق ، كانون الاول ٦-١٩٧٤ ، ص ١٤ .

٢٨ - نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : العدد (٥) ، السنة الثالثة، ١ اذار ١٩٧٣ .

٢٩ - نشرة رصد اذاعة اسرائيل (إ - إ) رقم ١٦٩ والمرجع السابق ص ١٤١ .

يعكس مشكلة حقيقية . انها مشكلة اليهودي الذي كان بالتاريخ، ويريد الان ان يكون بالتاريخ وضده ... لقد أتيح له ان يكـــون مواطنا ، وأن يهجر الغيتو ، وان يكون دولة اشتراكية اذا اراد في بيرابيدجان ، ولكن هذا كله لم يقنع ورثة التقاليد اليهوديـــة التربوية، تقاليد التوراة والغيتو ، الذين يصرون ان يكونوا جزءا من النظام الراسمالي العالمي ، وفي خدمته ، وان يستبدلوا الغيتــو الصغير بغيتو كبير ، وموسكو بنيويورك ، وجورجيا او اوكرانيــا بالكيان الصهيوني . انها مشكلة «العصاعيص» التاريخية التـــي تستعصي على التمثل والاندماج والتكيف .

ولكن هذه المشكلة باتت مشكلة النظام السوفياتي الذي لـــم يستطع حتى الان ان يحل مشكلة هذا اليهودي ، مما جعله لقمة سائغة للدعاوة المضادة ، وعامل قلاقل اجتماعية ، ومن هنا فان النظام السوفياتي مطالب بأن يدرس اسباب هذا الانخلاع وجذوره، ليعالجها .

اما بالنسبة لنا ، وللعالم أجمع ، فهي مشكلـــة اكبر . ان المزيد من الهجرة يعني :

١ ــ المزيد من المهاجرين ، الذين يحتشدون في الارض المحتلة ، ليكونوا قوة جديدة للمجتمع الصهيوني ، وأداة للاستيطان وللعدوان . وكل يهودي يخرج من الاتحاد السوفياتي ، حتى لو ذهب الى الولايات المتحدة الاميركية ، او غيرها ، فانمـــا هو رصيد بشري وسياسي لمجتمع الاستيطان والعدوان فـــي ارضنا المحتلة .

٢ ــ المزيد من المستعمرات ، وبالتالي الاستيلاء على المزيد مـــن الارض ، وطرد المزيد من العرب .

٣ ــ اعطاء القدوة لمزيد من الصهيونيين كي يهاجروا الى فلسطين، والى غيرها ... لان الهجرة عموما ، تزيد ارتباط اليهـــود بالصهيونية .

٤ ـ المزيد من أخطار الحرب ، ومن زيادة احتمالاتها ، لان زيادة قوة الكيان الصهيوني بزيادة سكانه ، تجعله بحاجة الى المزيد من الارض والماء ، كما تجعله اكثر جراة على المغامرة .

ان الشعار الذي ترفعه الحركة الصهيونية هو : «وجود ٧ ـ ٨ ملايين يهودي في اسرائيل خلال ٢٥ سنة» ولا يرون ذلك وهما ... (٣٠) وسابير رئيس الوكالة اليهودية الجديد ، المنتخب سنة ١٩٧٤ يعد بأن يعمل من اجل هجرة مائة الف كل سنة (٣١) فكم سيصبح في سنة ألفين ، وهي التي لم يكن فيها سنة ١٩١٧ اكثر من خمسين الفا من اليهود ...

ولعله من المناسب ان أذكر بالتفصيل طبيعة هؤلاء المهاجرين ليعرف القارىء مدى خطرهم . وسأتناول هنا مهاجري ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ، جميعا ، وليس مهاجري الاتحاد السوفياتي فقط . لقد كان عددهم ٤١،٨٩٨ . وتوزيع هؤلاء كالتالي :

٥٤٠٧ أكاديميا اي ١٣ بالمئة من مجموع المهاجرين .
١٥٢٤ مهندسا .
٧٧٦ طبيبا .
١٥٨ متخصصا بالرياضيات .
٢٣٤ متخصصا في الاقتصاد .
٢٣٦ متخصصا في الموسيقى .
٦٧ متخصصا في الفيزياء .

أما بالنسبة لاعمار هؤلاء فهي كالتالي :
٢٠ بالمئة اطفال حتى سن الثانية عشرة ١٢ .
١٢ بالمئة فتيان ما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ١٣ـ١٨ .
٣٩ بالمئة عاملون ما بين التاسعة عشرة والخامسة والاربعين

---

٣٠ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : السنة الرابعة العدد (١٥) ، ١ آب ١٩٧٤ ، ص (٥٠٢ ، ٥٠٣) .

٣١ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : المرجع السابق .

١٩ ــ ٤٥ .

٧ بالمئة طاعنون في السن يتجاوزون ٦٦ سنة (٣٢) .

ولذلك ، فاننا نرى ان هذه الهجرة تهدد ارضنـــا وامتنا ، وبالتالي فانها تهدد سلام العالم وأمنه . تضعنا امام مجتمـــع استيطاني ينمو في ارضنا ، وتضع كل شعب ، يعيش بينه يهود، امام قوة تهدد حركة التقدم من الداخل ، تعبىء الجماهير اليهودية، باتجاه الهجرة ، بدلا من ان تدفعها للنضال لحل مشاكلها حيث تقيم او تضع اليهود وجها لوجه مع الشعوب التـــي يسكنون بين ظهرانيها ... لانها تريد ان تنقلهم الى فلسطين . وهي تضعهم في فلسطين وجها لوجه مع حركة الثورة العربية ... ولذلك فانها تجند قوى الامبريالية والتكنولوجيا لخدمتهم . وهنا يصبـــح الخيار إما قبول الاستيطان والعدوان او الحروب ... ولما كان العرب أمة تصارع من اجل مستقبلها ، فان الحروب الحاسمـــة ستكون الحل الوحيد .

قال اشكول سنة ١٩٦٨ : «سوف لا نترك راحة في العالم طالما يمنع اليهود من الخروج من البلدان التي لا تسمح لهم بالعيش كيهود» (٣٣) وها هو العالم يشهد تنفيذ هذا الوعد القاطع ومخاطر تنفيذه على الاسرة البشرية بأسرها ✶ .

---

٣٢ ــ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية : السنة الثالثة ، العدد ١٢ ، ١٦ حزيران ١٩٧٣ ، ص ٣٨٧ .

٣٣ ــ تيسير النابلسي : حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ . مركز الابحاث ــ م.ت.ف. ص ٥٦ . وفي الكتاب نبذة عن الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي ، من ص ٦٧ الى ٧١ .

✶ ان الارقام الواردة في هذا الفصل تشمل عدد اليهود الذين هاجروا الى دولة الاحتلال حتى نهاية ١٩٧٨ فقط . اذ زادت الهجرة بعد سنة ١٩٧٩ ، فبلغت حوالي ٥٠ الفا . ولم يكن بالمقدور توسيع الفصل حتى يشمل عام ١٩٧٩ لانه كان قد أنجز في تشرين الثاني ١٩٧٨ .

٤ ــ بيرا بدزان ثانية

زار احد مراسلي النيويورك تايمز بيرا بدزان سنة ١٩٥٥ ، وقد ذكر انه لم تعد هنالك مدارس لتعليم اليديشية ، وان المسرح الذي كان يعرض اعمالا فنية باليديشية قد حُوِّل الى نادٍ لانه غير مربح . وكانت جريدة «البيرا بدزان ستار» تصدر ثلاث مرات في الاسبوع باليديشية . أما الاذاعة فكانت تبث باليديشية مرتين في الاسبوع .

وتحدث خروشيف معمراسل الفيغارو الفرنسية سنة١٩٥٨ ، فاعتبر مشروع بيرابدزان فاشلا ، مشيرا الى ان اليهود لا يحبذون العمل الجماعي ، والنظام الجماعي . وتحركت اجهزة الاعـــلام السوفياتية على أثر نشر المقابلة في ٩ــ٤ــ١٩٥٨ ، فأنكرت مـــا ورد على لسان خروشيف . وظهرت في ٦ــ٨ــ٥٨ مقابلة فـــي جريدة سوفيتسكايا روسيـــة sovietskaya Rossia بقلـــم V. Pakhman تحدث فيها عن تجربة بيرا بدزان ، في محاولة

لاثبات انها لم تفشل ، وقد ترجمت المقالة الى عدد من اللغات ، ونشرت في صحف عديدة .

واذاع راديو موسكو تحقيقا سياحيا «Travelogue» في نوفمبر من العام ذاته ، وصف فيه وصفا خلابا جمال الاقليم ، وتحدث بحرارة عن منجزاته ، ولم يذكر ساكنيه من غير اليهود ، مع انهم نصف السكان .

وقد سمح في أواخر سنة ١٩٥٨ واوائل سنة ١٩٥٩ لعدد من الصحفيين الشيوعيين بزيارة المنطقة ، بينما منع آخرون . وكان يبدو واضحا ان الذين منعوا هم الاكثر عناية بيهودية المنطقة .

ومن الذين زاروا المنطقة Dominik Hosodynski مراسل جريدة Swiat في وارسو . يقول هذا المراسل «بأن يهود بيرا بدزان لا يعلقون اهمية كبرى على أصلهم اليهودي . انهم على العكس من ذلك يتمثلون بسرعة ، بل يميلون الى التمثل ...» . ومما يذكره هذا المراسل بأن الآباء اليهود يفضلون ارسال ابنائهم الى المدارس الروسية حتى يستطيعوا اتمام تعليمهم . ويختم هذا الصحفي تحقيقه بقوله : «ان تجربة تحويل اليهود الى مزارعين ، واسكانهم شرق منغوليا ، في مكان لا توجد فيه تقاليد يهودية لا يمكن ان تكلل بالمجد . فالبيرا ليس الاردن . لم يكن الاردن ابدا . . ولن يكون» .

وذكر ماكس فرانكل Max Frankel مراسل النيويورك تايمس في ايار سنة ١٩٥٩ بأن اليديشية لا تعلم في المدارس ، ولا تطبع كتب بهذه اللغة ، ولا تعرض افلام بها . اما صحيفة بيروبدجانر شتيرن فتصدر ثلاث مرات بالاسبوع باليديشية ، وفي صفحتين فقط ، وتوزع الف نسخة .

ويقول ب.ز. جولدبرج (١) : «واليوم نستطيع ان نقول بتأكيد

---

1 — Goldberg, B.Z: Ibid, p. 225 Issue of 1961.

مطلق انه لا توجد مدرسة واحدة تعلم اليديشية ، او اية وسيلة اخرى لتعليم هذه اللغة في الاقليم كله» . ومما يذكره ان اليديشية ليست لغة رسمية الان ، وان اللافتات المرفوعة على مكاتب الحزب ودوائر الحكومة ، مكتوبة بالروسية ، بينما كانت باليديشيـــة من قبل .

ثم يقول الكاتب ذاته : «لقد مات الحكم الذاتي اليهودي في بيرا بدزان فلماذا لا يدفنونه» .

ويشير سلمون رابينوفيتش ، في كتابه الآنف الذكر ، الى ان عدد سكان المقاطعة كان حسب احصاء سنة ١٩٥٩ مائة واثنين وستين الفا ، يبلغ عدد اليهود منهم اربعة عشر الفا واربعمائـــة وخمسة وعشرين ، اي ٨ر٨ بالمئة فقط ، بينما يبلغ عدد الروس ١٢٧ر٢٨١ الفا ، اي ٢ر٧٨ بالمئة ، والاوكرانيين ١٤ر٤٢٥ ، اي ٨ر٩ بالمئة والبيلوروس ١٥٧٨ ، اي ١ بالمئة (٢) .

ويبدو هذا العدد أقل كثيرا مما توقعه سفير الولايات المتحدة في موسكو ، ولتر بيدل سميث ، الذي كتب يقول بأن عدد اليهود في بيرا بدزان «لا يتجاوز نصف سكان المقاطعة» (٣) .

وقال سلمون رابينوفيتش تعليقا على قلة عدد السكان اليهود في بيرا بدزان :

«قد يسأل القارىء : لماذا هنالك هذا العدد القليل جدا من اليهود في الاقليم ؟» .

وأجاب :

«يبدو لي ان احد الاسباب الرئيسية هو هذا : مع نهايـــة الثلاثينات ، وخلال سنوات الحرب خاصة ، لم يكن هنالك حاجة

---

2 — Rabinovich, Solomon, Ibid. p. 28.

٣ ـ صفوة ، نجدة فتحي : اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى ، سنة ١٩٦٧ ، ص ٤٠ .

لان يتحرك يهود عاملون . لماذا يغادر امرؤ يعيش في فينتسا او كييف او سفيردلوفسك مكانا عاش فيه سنوات طوالا ، ويتنازل عن عمله الدائم ويهجر اصدقاءه ومعارفه ، وقد تكون هنالـــك اسباب اخرى ، وبالطبع فان الملامة لا تقع على السلطة السوفياتية بسبب ان عشرات الالوف وليس مئات الالوف قد توجهت الـــى بيرا بدزان» (٤) .

ومع ان اليهود أقلية في بيرا بدزان فما زالت تدعى المنطقة اليهودية ذات الحكم الذاتي .

---

4 — Rabinovich, Solomon, Ibid. p. 79.

٥ ــ اليهود في كتابين سوفياتيين

لم استطع الحصول على اي مرجع سوفياتي ، منشور باللغات الاجنبية ، غير مؤلفات ستالين ولينين ، يفيد في دراسة القضية المطروحة في هذا الكتاب . ولكني وجدت ، سنة ١٩٦٧ ، كتابين صادرين بالانجليزية عن موسكو * ، عنوان الاول : «سكان الاتحاد السوفياتي» بقلم اي. بيساريف، وعنوان الثاني : «اليهود في الاتحاد السوفياتي» بقلم سولومون رابينوفيتش ، الصحافي اليهودي .

وليس في الكتاب الاول الا فصل يفيد دراستنا عنوانه : «التكوين القومي لسكان الاتحاد السوفياتي» . ولكن ليس في

---

* صدر الكتاب الاول عن دار التقدم بموسكو ، والثاني عن وكالة انباء نوفوستي . ويشير التعريف بالكتاب الثاني الى ان الكاتب اصدر كتابا آخر عن اليهود في الاتحاد السوفياتي ، سنة ١٩٦٥ .

هذا الفصل اية اشارة الى اليهود من قريب او بعيـــد ، مع ان الكاتب يذكر بأن في الاتحاد السوفياتي «حسب الاحصاء الاخير اكثر من مائة قومية مختلفة . ويعطي التقرير الاحصائي اسماء مائة وتسع من القوميات ، وتأتي تحت العنوان العام : «قوميات اخرى» مجموعة من سبعة عشر الف انسان ، أي قسم صغير جدا من السكان» .

ويعدد المؤلف واحدة وثلاثين قومية ، موزعة على خمس عشرة جمهورية اتحادية . وبينما يذكر اناسا مثل الماديوالتتر والياقوت، عددهم أقل من عدد اليهود كثيرا ، فانه لا يذكر اليهود .

ويشير احد الهوامش في الكتاب الى ان استمارة احصـــاء سنة ١٩٢٦ وحدها تضمنت بندا عن «الاصل العرقي» . بينمـا اكتفت احصاءات سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٥٩ بالاشارة الى «القومية» (Nationality) . وعلى هذا الاساس ، يصبـــح اليهود موزعين على قوميات الدول المؤلفة للاتحاد (١) .

اما الكتاب الثاني فيتضمن معلومات أوفر عن اليهود فـــي الاتحاد السوفياتي . ويمكن ان يعتبر اغنى مرجع سوفياتي علـى صغر حجمه .

ولكن ما ان يبدأ المرء بقراءة الكتاب ، حتى يحس بأن الكاتب الاشتراكي الماركسي ، يخفي ميولا صهيونية . ذلك انه لا يلبث في الصفحة الثانية من النص (صفحة عشرة من الكتاب) ان يكشف عن هذه الروح عندما يشير الى ان اليهود «حرموا من ارضهم ومن موطنهم القديم ...» (٢) . وهو عندما يتحدث عن اضطهاد النازية لليهود يتحدث عنهم باسم «شعبي» (My People) .

---

1 — Pisarev I., The Population of The U.S.S.R., Progress Publishers. Moscow pp. (60 - 73).

2 — Rabinovich, Solomon, p. 10.

ومن المعلومات التي يقدمها ان عدد اليهود كان ، حسب احصاء سنة ١٩٥١ ، ٢٫٢٦٨٫٠٠٠ ، وانهم لا بد من ان يكونوا ، اصبحوا ثلاثة ملايين سنة ١٩٦٦ ✶ .

ويبرز الكاتب عدم وجود مدارس باليديش قائلا : «لقد كان في نهاية الثلاثينات مجرد حفنة من المدارس اليهودية . ولقد مر اكثر من ربع قرن منذ ذلك الحين . فهل نستطيع ان نقول الان ، في الستينات ، بأن هنالك حاجة موضوعية حقيقية لمدارس يهودية في أي جزء من البلاد ؟ انني أعتقد ان كلا . وانني لا أعني بهذا ، طبعا ، بأنه لا يوجد أناس في الاتحاد السوفياتي يريدون تعلم اليديش . هنالك مثل هؤلاء الناس بلا شك . ليس هنالك الكثير منهم ، ولكنهم موجودون . وفي رأيي ، ان الشكل المناسب لتعلم هؤلاء الناس ، يمكن ان يوفر بواسطة دروس خاصة ، او دورات او الدراسة بالمراسلة » (٣) .

ويشير الكاتب الى ان : سبعة أعشار السكان اليهود (في الاتحاد السوفياتي) اعتبروا اليديش لغتهم الاصلية (Native) سنة ١٩٢٦ ، ولكن النسبة انخفضت الى الربع سنة ١٩٥٩ .

اما بالنسبة الى الموقف من الصهيونية ، فهو يعلن ان «اليهود» ليس الشباب بل كبار السن ايضا ، ليس لديهم ما يجمعهم بالايديولوجية الصهيونية ، التي هي غريبة عن وجهات نظرهم ، وطريقة تفكيرهم ، ونفسيتهم ، وأسلوبهم في الحياة . ان وجود شواذ ممكن بالطبع . ولكنهم ليسوا نماذج لليهودي السوفياتي ، الذي يكره ضيق الافق القومي والعزلة . وهم يعرفون جيدا ان

✶ يرى رودنسون انهم حوالي خمسة ملايين مثلا ... الا ان الفرق يسجل في خانات قوميات اخرى .

3 — Rabinovich, Solomon, p. 35.

الطريق الى حياة جديدة تمر عبر تعزيز الصداقة بين الامم»(٤) .
والكتاب على ما فيه من معلومات لا يطرح مشكلة ... انه يقدم واقعا ويبرره . والظاهرة الهامة التي يؤكدها هي الاندماج (Assimilation) . وهذه الظاهرة عامة ولا تتعلق باليهود وحدهم .

***

ان الكتابين يمثلان سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه اليهود ، احدهما يتجاهل وجودهم تجاهلا تاما .. والآخر يحاول ان ينفي وجود مشكلة .. من خلال التأكيد على صحة خط السياسة السوفياتية ، منذ ثورة اكتوبر حتى الان ، بشأن اليهود .

---

4 — Rabinovich, Solomon, p. 63.

نظرة شيوعية اوروبية
الى اليهود والمسألة القومية

كان لا بد من ان تطرح قضية اليهود والمسألة القومية اليهودية بعد قيام «اسرائيل» طرحا جديدا في الاوساط الماركسية . ذلك ان قيام «اسرائيل» جعل المسألة اليهودية تكتسب طابعا جديدا . واذا كان يهود الاتحاد السوفياتي لا يشكلون قومية فما وضع يهود «اسرائيل» !.

وقد طرح الاستاذ هايمن ليفي ، وهو عالم انجليزي يهودي، وعضو فيالحزب الشيوعي البريطاني هذه المسألة سنة ١٩٥٨ (١). كان ليفي قد زار الاتحاد السوفياتي ، في عداد وفد مـــن

---

1 — Levy Hyman: «Jews and The National Question», Hillway Publishing Company, London.

الحزب الشيوعي البريطاني سنة ١٩٥٦ ، من اجل ان يدرس وضع اليهود هناك . وقد كان الكتاب الذي نقدمه هنا نتيجة لهذه الرحلة .

وأول ما يلاحظ قارىء الكتاب ، ان المؤلف يعتبر «اليهود» شعبه : «انني يهودي وأنا معني بمصير شعبي» هكذا يقدم لنا البروفسور ليفي المسألة .

وسأحاول هنا أن ألخص موقفه من المسألة اليهودية . انه يرى :

اولا : ان اليهود المنتشرين في جميع انحاء العالم ليسوا امة «فمن المستحيل القول بأن هذا الشعب المنتشر انتشارا واسعا ، والذي يدعى اليهود ، هو أمة واحدة» . وهو «ليس طائفة دينية، وليس في كثير او قليل هوية ثقافية محددة» (٢) ذلك ان بين اليهود اختلافات ثقافية بسبب تصنيفهم الطبقي في المجتمع الذي يعيشون فيه ، كما ان بينهم وجوه شبه ثقافية تعود أصولها الى التاريخ الماضي . وهم «ليسوا موحدين في اللغة من بلد الى آخر» (٣) . «أن كلامهم العادي هو كلام الشعوب التي يقطنون بينها ، والتي تلقوا ثقافتهم العامة معها : الانجليزية والروسية والفرنسية ، واليديشية ، بالنسبة لهؤلاء الذين تعود جذورهم الى المجتمعات اليهودية في اوروبا الشرقية مباشرة» (٤) .

ومع ذلك فهو يرى ان اليهود شعبه .

ثانيا : ان «اسرائيل أمة الان ، تتكشف عن كل المعالم التي طالب ستالين توفرها في الامة ...» (٥) . واذا كانت أطروحات

---

٢ ــ المرجع السابق ، ص ٣٩ .
٣ ــ المرجع السابق ، ص ٣٩ .
٤ ــ المرجع السابق ، ص ٣٧ .
٥ ــ المرجع السابق ، ص ٥٤ .

ستالين حول الامة ، ضرورية في الماضي ، «فانها في ظل الظروف الحديثة : المواصلات ، النقل ، التمويل ، وبالامكانيات المتوافرة لاستنهاض الراي العام العالمي لمصلحة جماعة قومية في حالة تكوّن ، ليست كلها او معظمها ضرورية من اجل ميلاد أمة او اعادة ولادتها» (٦) .

ثالثا : ان «الراسمالية هي التي طرحت المسألة اليهودية ، ولكنها لم تكن قادرة على حلها ، لانها ، ببساطة ، كانت غير قادرة على استيعاب اليهود ، وعلى ان تجعلهم يتلاشون» (٧) . ذلك ان «الراسمالية ما ان وطدت نفسها بنجاح ، حتى لم تكن لديها حاجة معينة لليهود في اي دور خاص» (٨) . **فاليهود كان لهم دور تقدمي زمن اقتصاد الكفاف ، أي قبل نشوء المجتمع الرأسمالي(٩) . واذا كانت المسألة اليهودية هي بنت الرأسمالية المأزومة ، فان اسرائيل هي كذلك (١٠) .**

رابعا : ان الماركسيين توقعوا ان تحل مشكلة اليهودي في ظل الاشتراكية . ولكن توقعاتهم منيت بالفشل (١١) . واذا كان من المتفق عليه ان الراسمالية قد اختفت من الاتحاد السوفياتي ، فهل نستطيع القول بأن المسألة اليهودية قد حلت ؟ ... وعلى الرغم من ان المؤلف يجيب على هذا السؤال اجابة لبقة في البدء (١٢) ، معلنا

---

٦ ـ المرجع السابق ، ص (١٩ ـ ٢٠) .
٧ ـ المرجع السابق ، ص ٥١ .
٨ ـ المرجع السابق ، ص ٥١ .
٩ ـ المرجع السابق ، ص ١٥ .
١٠ ـ المرجع السابق ، ص ٥٥ .
١١ ـ المرجع السابق ، ص ٥٢ .
١٢ ـ المرجع السابق ، ص ١٣ .

بأنه «لا توجد أجوبة واضحة محددة من المصادر الروسية ، وانه اذا كان هنالك اجوبة فستكيف مع وجود اسرائيل» ، فــان مضمون كتابه يدل دلالة واضحة على انه يعتقد بأن الاتحـاد السوفياتي كان عاجزا عن حل المشكلة ، وانه قدم تحليلا خادعا لها ، بينما حاول المؤلف ان يكشف في كتابه «اين يقع هـذا الزيف » (١٣) .

خامسا : ان اسرائيل مستعمرة امريكية ، وانها تابعة مـن الناحية الاقتصادية . ذلك ان اسرائيل تعتمد في التوظيف المالي في الثلث على الراسمال الاميركي ، وعلى المساعدات بالثلث الآخر . فاذا ما نظرنا الى سجل تصويتها في الامم المتحدة يبدو واضحـا مدى تبعيتها للولايات المتحدة (١٤) .

سادسا : ان المسألة اليهودية ، ومسألة حلها ، ليست مسألة ارض (١٥) . وعلى هذا يرى المؤلف ان محاولة الحزب والحكومة في الاتحاد السوفياتي انشاء مقاطعة يهودية ذات حكم ذاتي ، لا تختلف عن محاولة الصهيونية انشاء دولة في فلسطين (١٦) . ثم انه يرى ان محاولة انشاء هذه المقاطعة في بيرا بدزان «غير واقعية وغير تاريخية» ، ذلك ان يهود الاتحاد السوفياتي سكان مـدن بشكل رئيسي (١٧) .

سابعا : ان «تأييد السوفيات لعبد الناصر ورفاقه ، فـي المرحلة الحاضرة من الكفاح ضد الامبريالية ، وعلى الشكل الذي

---

١٣ ـ المرجع السابق ، ص ١١ .

١٤ ـ المرجع السابق ، ص (٥٧ ـ ٥٨) .

١٥ ـ المرجع السابق ، ص ٥٤ .

١٦ ـ المرجع السابق ، ص ٧٦ .

١٧ ـ المرجع السابق ، ص ٧٦ .

يعبر به عن نفسه في الشرق الاوسط ، معناه التنكر لوحدة الطبقة العاملة بين العرب واليهود» (١٨) . و«هذا بالنسبة للماركسي ثمن باهظ ، ويثير الوضع كله مسألة خطرة في الاخلاق الماركسية . فمتى ، والى أي حد يبرر إضعاف وحدة الطبقة العاملة من اجل كسب حلفاء مؤقتين في الكفاح ضد الامبريالية» (١٩) . ولا شك ان هذا الحلف سيعني منع هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي الى «اسرائيل» (٢٠) .

ثامنا : ان السوفيات ارتكبوا خطأ غير دياكتيكي ، اذ اعتبروا ان اليهود يجب ان يصبحوا مواطنين سوفيات عاديين ما داموا ليسوا أمة . ومنطق «إما او» هذا يعني «ان كل مجالات التعبير الثقافي اليهودي يجب ان تسد ، وان أفواه هؤلاء الذين يسعون لتطويرها او يتحدثون باسمها يجب ان تكم» (٢١) . ولقد كان من نتيجة انهاء وسائل التعبير هذه «استثارة مشاعر معادية للسوفيات» (٢٢) .

تاسعا : ان اليهود اختفوا من الميدان السياسي «فاليوم ليس هنالك من يهودي واحد في مكان سياسي مرموق» (٢٣) . أما في الميادين الاخرى كالتكنيك والتكنولوجيا «فاليهود في مراكز ذات مسؤولية كبيرة» (٢٤) . ولكن المؤلف يؤكد بأن سياسة هذه طبيعتها

---

١٨ ـ المرجع السابق ، ص ٧٤ .
١٩ ـ المرجع السابق ، ص (٧٤ ـ ٧٥) .
٢٠ ـ المرجع السابق ، ص ٧٥ .
٢١ ـ المرجع السابق ، ص ٧٧ .
٢٢ ـ المرجع السابق ، ص ٧٩ .
٢٣ ـ المرجع السابق ، ص ٨١ ـ ٨٣ .
٢٤ ـ المرجع السابق ، ص ٨٣ .

لا بد من ان تنتقل من الميدان السياسي الى الميادين الاخرى (٢٥) .

عاشرا : ان هنالك ما هو شبيه بالتمييز ضد اليهود في الاتحاد السوفياتي ، ولكن هذا التمييز ليس النمط الكلاسيكي لمعاداة السامية . فاليهود لم يعترف بهم اقلية قومية (٢٦) . ويتساءل المؤلف : «هل انزل مستوى اليهود مرة اخرى الى مستوى مواطن من الدرجة الثانية ، كما كانت الحال في عهد القيصرية . واذا كان الامر كذلك فهل هذا نابع من تحليل زائف لمشاكل هذا الشعب ؟ وماذا يكون حقا المواطن الاشتراكي من الدرجة الثانية» (٢٧) .

والملاحظ ان هذا الشيوعي البريطاني ، يمثل نمطا من الشيوعيين الاوروبيين ، الذين يتبنون الماركسية على طريقتهم الخاصة . فهؤلاء لا يتبعون نهجا ماركسيا في التحليل ، ولا يسترشدون بآراء ماركس ولينين في مواقفهم ... ولا يتخذون مواقف ثورية من قضايا التقدم البشري . ولهذا فهم يرتكبون اخطاء فادحة .

ان هايمن ليفي ، يتجاهل الاشارة الى مواقف ماركس أو لينين من «المسألة اليهودية» ! لماذا ؟ بالطبع لانه لا يريد ان يبدأ نقاشا ينطلق من دحض آرائهما من المسألة اليهودية . ولو فعل ذلك لظهر تهافته ، ولرفضه جمهور كبير من الماركسيين . ثم انه لا يملك المنطق الذي يجعله قادرا على دحض آرائهما .

وان ليفي ، فوق هذا ، يتجاهل الاشارة الى مواقف ماركس ولينين من قضايا التحرر القومي ، وخاصة مواقف لينين . ذلك انه لو ناقش موقف اللينينية من قضية التحرر القومي لاضطر ان

---

٢٥ ـ المرجع السابق ، ص ٨١ .

٢٦ ـ المرجع السابق ، ص ٨٢ .

٢٧ ـ المرجع السابق ، ص ٨٥ .

يقف ضد «اسرائيل» ، وهو ما لا يريده .

وبعد هذا ، فان ليفي لا يتعرض لموقف لينين من حق تقرير المصير ، ومن قضية التمثل واندماج الشعوب ، لان ذلك ليس في صالح قضية الدفاع عن الثقافة اليهودية اليديشية او غيرها .

وهكذا نجد كاتبا عالما شيوعيا يقف الى جانب الصهيونية في الحملة على الاتحاد السوفياتي الذي يعمل على دمج اليهود ثقافيا وتمثلهم . ومطالبه لا تختلف عن مطالب الصهيونية العالمية : حق الهجرة وحق تنمية الثقافة الوطنية اليهودية .

وليفي بالطبع ، لا يطرح على نفسه السؤال التالي : لماذا تثار حملة ضد الاتحاد السوفياتي لانه لا يسمح لليهود بالهجرة ، بينما لا يجري الالحاح على يهود الولايات المتحدة بضرورة الهجرة؟ ثم لماذا يطالب الاتحاد السوفياتي بتنمية الثقافة الوطنية اليهودية، ولا تطالب الولايات المتحدة الاميركية ؟؟

٧ ــ ماركس والشعوب الرجعية

بينما كان ماركس يؤيد حركات التحرير في بولندا وايرلندا ، وقف ضد سلاف الجنوب وحركاتهم القومية ، وايد سحقهم على اعتبار انهم شعوب رجعية . وكان سبب موقف ماركس نظرته الواعية الشاملة الى قضية التقدم على الصعيد العالمي .

وكانت الشعوب التي ايد ماركس سحق حركاتها القومية شعوبا بكل ما في الكلمة من معنى ، تعيش في مجتمعات طبيعية قابلة للتطور . فاذا كانت تلعب دورا رجعيا في مرحلة معينة ، فانها مؤهلة لان تلعب دورا تقدميا في مرحلة اخرى .

فماذا ترى ماركس كان سيقول لو راى دولة الصهاينة ؟ انه اعتبر اليهودي الفرد رجعيا ، فماذا كان سيقول في دولة الصهاينة ؟ ان منطق ماركس واضح في هذا المجال ، ومنطق لينين واضح ايضا . فالصهيونية : «في جوهرها خاطئة ورجعية بصورة مطلقة ، وان فكرة القومية اليهودية ذات صفة رجعية ضارة لا بالنسبة لمعتنقيها فحسب ، بل وكذلك للذين يحاولون خلق

انسجام بينها وبين الافكار الاشتراكية» (١) .

هذا ما يراه ماركس ولينين فما قول بعض ماركسيي اليوم الذين يدافعون عن وجود الدولة الصهيونية ؟ والذين يعتبرون الكيان الصهيوني امرا واقعا ؟

---

١ ــ لينين ، حق الامم في تقرير مصيرها ، ص (١٩١ ــ ٢٠١) ، منشور مع ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية ، طبع موسكو .

٨ ـ موقف الشيوعيين العرب

عاش الشيوعيون العرب عين التحولات التي عاشتها السياسة السوفياتية . ويمكن تقسيم الفترة الزمنية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) الى مرحلتين كبريين : الاولى تبدأ سنة ١٩٤٨ وتنتهي سنة ١٩٥٤ ، والثانية تبدأ سنة ١٩٥٥ وتنتهي سنة ١٩٦٧ . وتختلف كل من هاتين المرحلتين بشعاراتها ومواقفها .

أ ـ المرحلة الاولى : (١٩٤٧ ـ ١٩٥٤)

تبدأ هذه المرحلة في اللحظة التي اعلن مندوب الاتحاد السوفياتي موقفه من التقسيم . فقد احدث اعلان الموقف السوفياتي انقلابا في موقف الاحزاب الشيوعية العربية . وبعد ان كانت تندد بالصهيونية وتشجب التقسيم ، اصبحت تعلن رسميا انها تؤيد التقسيم ، واعتبرت تدخل الجيوش العربية عدوانا ، وطالبت بسحبها .

وقد بدأ نشاط الشيوعيين العرب لتأييد التقسيم ، وقيام دولة «يهودية» في شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ ، اي بعد ان اصدرت هيئة الامم المتحدة قرار التقسيم بوقت قليل . فقد نظم الحزب الشيوعي العراقي مظاهرات في شهر كانون الاول ١٩٤٧ تأييدا لقرار التقسيم ، ولقيام دولة يهودية في فلسطين . وكان يتصدر هذه المظاهرات يهودي وعربي ، وقد تصالبت ايديهما دليلا على «الصداقة والمحبة» بين العرب واليهود (١) .

وعاد الحزب الشيوعي العراقي ، بعد قيام دولة العصابات ، فنظم مظاهرات انحصرت مطالبها في الاعتراف بدولة «اسرائيل»، وسحب الجيوش العربية وتسريحها (٢) .

وكان الخامس عشر من ايار موعد جلاء بريطانية عن فلسطين، ودخول الجيوش العربية . وكان الخطر الصهيوني يزداد ، بعد ان اتضحت المؤامرة الدولية ، وسقط عدد من المدن العربية الهامة بأيدي العصابات الصهيونية . وما برح الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ، أن عقد اجتماعا في بيروت ، ناقش فيه المسألة الفلسطينية . وقد صدر عن الاجتماع بيان يصم الحرب بأنها دينية عنصرية ، ويطالب بانسحاب الجيوش العربية .

واصدر الحزب الشيوعي العراقي ، في هذه الفترة نشرة داخلية ، بعنوان «توجيهات بشأن الحرب الفلسطينية القذرة» ، نصت على ضرورة تعاون الديمقراطي العربي والديمقراطي اليهودي في «شجب الحرب الفلسطينية القذرة» ومنعها .

وأسرع الشيوعيون في سوريا ولبنان ، فأصدروا بيانا آخر في تموز بعنوان : «الى الاتحاد في جبهة وطنية جبارة» . جاء

---

١ – لاكور ، الشيوعية والقومية في الشرق الاوسط ، ص ٣١٣ .
٢ – المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

فيها : «لقد ثبت بشكل لا يقبل الجدل ما قاله الشيوعيون العرب من ان الحرب الفلسطينية كانت مؤامرة مدبرة بين الانجليز وخادمهم الملك عبد الله والزعماء الصهيونيين ، مؤامرة فظيعة هائلة هدفها اولا : منع قيام الدولة العربية المستقلة في القسم العربي من فلسطين ، والحاق هذا القسم بمستعمرة شرق الاردن البريطانية ...» .

ويضيف البيان : «ان الشيوعيين السوريين واللبنانيين وعددا عديدا من الوطنيين الصادقين والديمقراطيين المخلصين ، قد حذروا من هذه الاخطار الكامنة وراء المغامرة العسكرية في فلسطين ، وبينوا ان قضية فلسطين هي قضية نضال ضد الاستعمار البريطاني والامريكي ...» . ويطالب البيان «بالاتحاد في سبيل سحب الجيوش من فلسطين ..» (٣) .

ولم يتأخر الشيوعيون في مصر عن رفاقهم في سورية والعراق ، فأعلنت «الوعي» نشرة «الحزب الشيوعي المصري» موقفها في ٢٠ كانون الاول ١٩٤٧ . ان «الوعي» ترى ان «أمة جديدة» قد ولدت ، وان هذه الامة يجب ان يعترف لها «بحق تقرير المصير» ، وبالتالي «حق الانفصال» .

وكان موقف بقايا «عصبة التحرر الوطني» في قطاع غزة لا يختلف عن موقف الحركة الشيوعية العربية : «النضال الواعي لتنفيذ (قرار التقسيم) ، وتحرير القسم العربي من جيوش فاروق وعبد الله وبن غوريون ، واقامة الدولة الديمقراطية المستقلة فيه، المتحدة اقتصاديا مع «اسرائيل» والصديقة للشعب اليهودي» .

ظلت الاحزاب الشيوعية ترفع مثل هذه الشعارات ، وتفسر الاحداث من خلال اعتبار اليهود أمة معتدى عليها ، وشعبا يناضل ضد الاستعمار والصهيونية الخ ... وأخذ شعار الصلح مع

---

٣ ـ المرجع السابق ، ص (٣١٥ ـ ٣١٦) .

«اسرائيل» بعد سنة ١٩٥٠ يحتل المكان الاول .

ب ـ المرحلة الثانية (١٩٥٥ ـ ١٩٦٧) .

بعد تبدل الموقف السوفياتي اخذت الاحزاب الشيوعية العربية تبدل مواقفها ، فسارع خالد بكداش في السادس من تشرين الاول سنة ١٩٥٥ الى الهجوم على الصهيونية بعنف ، خلال خطاب القاه في البرلمان السوري ، ونفى ان تكون لليهود او تتوفر فيهم مقومات الامة (٤) .

وفي اجتماع موحد للجنتين المركزيتين للحزبين الشيوعيين في سورية ولبنان ، بتاريخ السابع من ايار سنة ١٩٥٦ ، اتخذت قرارات صدرت بعنوان «نحو آفاق جديدة» جاء فيها : «ان فكرة ايجاد «الوطن القومي» اليهودي بفلسطين ، الذي تحول فيما بعد الى «دولة اسرائيل» ، كانت من اساسها فكرة استعمارية عدوانية مجافية للعدالة ، ومنطوية على مؤامرة سافرة ضد شعب آمن لا ذنب له» (٥) .

وتضيف المقررات : «وهكذا قامت اسرائيل من اساسها على العدوان والاغتصاب ، وبقوة حراب الاستعمار ...» .

وتشير الى ان اسرائيل اثبتت : «منذ وجودها ، انها ركيزة للاستعمار في قلب الشرق العربي ، فهي يد استعمارية في قفاز صهيوني ، كما وصفها احد الوطنيين العرب ، يستعملها الاستعمار اداة ضغط وعدوان وتهديد لكبح الحركة الوطنية في الشرق العربي ، ولمحاولة ارغام البلدان العربية على الانضمام الى الاحلاف

---

٤ ـ خطاب خالد بكداش في البرلمان السوري .

٥ ـ الحزب الشيوعي ، نحو آفاق جديدة ، ص ٢٦ .

العسكرية الاستعمارية كحلف بغداد» .

«... ويمضي الاستعمار الامريكي الانجليزي في مساعيه لجعل اسرائيل مركزا عسكريا وصناعيا قوميا لتثبيت مواقعه المزعزعة في الشرق العربي ، وللاستمرار في نهب ثرواته البترولية ، ولبسط سيطرته السياسية والعسكرية على الشرق الاوسط ولاكتساح اسواق البلدان العربية ، وتهديم اقتصادها ، ومنعها من تحقيق ما تنشده من تقدم وازدهار» .

ولكن ما الحل ؟

تجيب المقررات : «ان الملابسات التي تكتنف قضية فلسطين بتشابكها مع مطامع المستعمِرين وأهدافهم العسكرية والسياسية والاقتصادية في كل الشرق العربي ، تجعل الوصول الى حل عادل نهائي لهذه القضية ، امرا معقدا ، يتطلب من العرب يقظة دائمة وتنبها شديدا ازاء مؤامرات الاستعمار والصهيونية» .

ومع ان «الحل العادل النهائي» غامض ، وغير محدد ، فانه يعني بالطبع التنازل عن الشعار الرئيسي في القضية الفلسطينية ، الا وهو : اسقاط دولة اسرائيل وانهاء كيانها ، والاعتراف للحركة الصهيونية بحقوق في فلسطين ، فالمقررات تريد حلولا «لقضية فلسطين تتفق مع مبادىء الديمقراطية والعدالة وتضمن حقوق العرب » .

وعلى الرغم من ان ما ذكرناه كان الموقف الرسمي للاحزاب الشيوعية ، فقد علمت مثلا ان فؤاد نصار الامين العام للحزب الشيوعي الاردني حاول مقاومة هذا الاتجاه ، وأرسل تعليماته من السجن سنة ١٩٥٥ الى سكرتير اللجنة المركزية كي لا ينجرف الحزب مع هذا الاتجاه .

وعندما احتلت القوات الصهيونية غزة سنة ١٩٥٦ ، رفض الشيوعيون في القطاع ان يشتركوا في حركة المقاومة السرية ،

ورفعوا شعار : الغاء الاحكام العرفية ، وزيادة الاجور (٦) .

ولم يحدث اي تغير على مواقف الاحزاب الشيوعية الجديدة التي اعلنت سنة ١٩٥٥ ، ولكن عددا من الادلة يكشف ان هذه الاحزاب ما زالت مبدئيا تعتقد بصحة موقفها الذي اتخذته في السنوات (١٩٤٧ ــ ١٩٥٤) . ومن هذه الادلة النشرة السرية التي اصدرها الحزب الشيوعي الاردني سنة ١٩٦٤ ، والتي اشار فيها الى صحة موقفه السابق من قضية فلسطين . وقد صدرت هذه النشرة بعد البرقيتين اللتين ارسلهما خروشيف رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي الى عبد الناصر ورئيس جمهورية دولة العصابات الصهيونية ، بمناسبة راس السنة الجديدة ، لحل قضية مشاكل الحدود بالطرق السلمية . وكان خروشوف قد ارسل مثل هذه البرقيات الى عدد كبير من رؤساء الدول في العالم . ويبدو ان بعض الشيوعيين قد ظنوا بأن الاتحاد السوفياتي قد عزم على المبادرة الى الدعوة لتحقيق سلم بين العرب و«اسرائيل» ، فآثروا ان يكونوا السباقين .

وترفع الاحزاب الشيوعية الان ، في ميدان القضية الفلسطينية ، شعار : الحقوق المشروعة لعرب فلسطين . وهو شعار غامض ، كما يعترف كثير من الشيوعيين ، ولكنه ــ على ما يبدو ــ رفع تحاشيا لرفع شعار حاسم . وتعتقد بعض الاوساط الشيوعية القائدة ، بأن رفع شعار حاسم مثل القضاء على دولة العصابات الصهيونية ، من شأنه ان يفقد العرب تأييد كل الاحزاب الديمقراطية في الخارج . وتتحاشى هذه الاوساط امكانية صدام بين العرب والكيان الصهيوني ، وتبرر عدم رفع شعار حاسم بالخوف من مثل هذا الصدام ؛ وترى ان تقدم حركة التحرر العربي وانتصارها بترسخ الاوضاع التقدمية في مصر وسورية

---

٦ ــ دروزة ، الحكم : الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ، ص٣٨١ .

كفيل بأن يخنق الكيان الصهيوني دون حرب . وتؤكد هذه الاوساط بأن «اسرائيل» ليست أمة ، وأن تناقضاتها كفيلة بالقضاء عليها .

ونستطيع بأن نقول : ان موقف الشيوعيين العرب من قضية فلسطين يحدده عاملان :

الاول : الموقف السوفياتي من قضية فلسطين . وما دام الموقف السوفياتي يتجه نحو حل سلمي ، فان الشيوعيين العرب بأوضاعهم الحالية لن يسيروا في غير هذا الاتجاه . وقد ناقشت احد الاصدقاء الشيوعيين في موقف الاتحاد السوفياتي من قضية فلسطين ، فأكد لي ان الاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة المؤيدة لحق العرب في فلسطين ، الا انه لا يعلن موقفه بسبب حراجة الموقف الدولي . ويدل موقف صديقي على انه حريص على رفع الشبهة عن الموقف السوفياتي ، اكثر مما هو حريص على مطالبته باتخاذ موقف حاسم وواضح ، على الرغم من حراجة الظروف الدولية . ولكن كيف يمكن ان نطالب اصدقاءنا الشيوعيين بمثل هذا ، وهم لم يتخذوا ـ حتى الان ـ موقفا حاسما وواضحا؟

ان تبدلات مواقف الشيوعيين العرب في السنوات (١٩٢٥ ـ ١٩٦٧) دلت على أن مواقفهم مربوطة بالموقف السوفياتي .

الثاني : الموقف المحلي من الحركة العربية . على الرغم من ان موقف الشيوعيين العرب من قضية فلسطين لم يتغير جذريا بعد سنة ١٩٤٨ ، الا ان التغيرات التي حدثت دلت على ان موقف الشيوعيين من قضية فلسطين «يتحسن» بمقدار ما يكون موقفهم من الحركة العربية سليما . ففي سنة ١٩٣١ عندما حددوا موقفا واضحا من القضية العربية كان الموقف واضحا وحاسما من الصهيونية . وفي السنوات (١٩٤٨ ـ ١٩٥٤) عندما كان الشيوعيون يتهمون الحركة القومية العربية بالفاشية ، كان الموقف من دولة العصابات الصهيونية خاطئا ، ويلخص بالدعوة للصلح والاعتراف بالاغتصاب الصهيوني . وعندما حدث التغير سنة

١٩٥٥ تحول موقف الاحزاب الشيوعية من الدعوة للصلح والاعتراف «باسرائيل» الى اعتبار «اسرائيل» مركزا اماميا للاستعمار ، ودولة قامت بالاغتصاب والقوة الخ ... ان صحة الموقف من القضية العربية عامة تتضمن دائما موقفا صحيحا من قضية فلسطين والعكس صحيح . وبمقدار ما يكون الموقف من القضية العربية ثوريا ، يكون الموقف من قضية فلسطين ثوريا . ولكن موقف الشيوعيين العرب من القضية العربية مرهون بالموقف السوفياتي ، كما دلت كل الوقائع الثابتة في تاريخ الاحزاب الشيوعية العربية (٧) . ولهذا يكون العامل الاول هو الهام والاساسي .

---

٧ ـ مرقص ، الياس : تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي .

الموقف من الصهيونية والغزو

١ ــ اليهودي قديماً وحديثاً

يرى ماركس اننا يجب الا نبحث عن سر اليهودي في دينه ، بل علينا ان نبحث عن سر اليهودية في اليهودي الواقعي . صحيح ان سر اليهودية في اليهودي الواقعي ، ولكن ما اليهودية ان لم تكن ايديولوجية اليهودي الواقعي ؟

ان اليهودي لا بد له من المحافظة على دينه حتى يظل يهوديا، لانه في الوقت الذي يهجر فيه هذا الدين يتحول الى آخر .. الى مسيحي او ماركسي او اي صنف من البشر . وتحوله هذا يوصل ما بينه وبين الانسانية ، ويفتح له مجالا واسعا للانطلاق والتقدم. ولكنه يقاوم مثل هذا التحول . لماذا ؟ لان دينه الخاص يمنحه خصوصيته ، وبالتالي يبرر له ان يكون ما هو عليه : منغلقا وتاجرا ومرابيا وحرفيا وجوالا وصهيونيا .

ان إلهه اباح له ان يقتل ويغتصب ويحتال . وعندما جاء اليهودي الاول من مصر هاربا وفاتحا ، قال له إلهه المحارب العطش للدماء : «اعطيتكم ارضا لم تتعبوا عليها ، ومدنا لم تبنوها

وتسكنوا بها ، ومن كروم وزيتون لم تغرسوها تأكلون» . ولم ينس هذا الاله المحارب الجبار ان يذكره قائلا : «ولكن اذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب اولئك الباقين معكم ، وصاهرتموهم ودخلتم اليهم وهم اليكم ۱۳۰ ـ فاعلموا يقينا ان الرب إلهكم لا يعود يطرد اولئك الشعوب من امامكم ، فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم ، وشوكا في اعينكم حتى تبيدوا عن تلك الارض الصالحة التي اعطاكم اياها الرب إلهكم» (۱) .

الرب هنا صارم وحاسم ، فلقد منح وحذر ، اعطى وقرر ان «يبيد جميع سكان الارض من امام» بني اسرائيل ، شعبه المختار. اما الذين احتالوا على الله وشعبه المختار ، وظلوا فقد قال لهم يشوع : «۲۳ فالآن ملعونون انتم ، فلا ينقطع منكم العبيد ومحتطبو الحطب ومستقو الماء لبيت إلهي» (۲) .

هذا اليهودي الذي دخل فلسطين هاربا من اضطهاد الفراعنة قبل اكثر من الفي سنة ، فقتل من قتل واستعبد من استعبد ، يعود حفيده بالدين اليوم ، في ظروف جديدة ، ولاسباب عديدة هاربا او مهربا ، ليقتل من اهل الارض من يقتل ، ويستعبد من بقي .

قرابة الفي سنة تمر ، فتحدث الانقلابات الاجتماعية ، وتتقدم البشرية خطوات الى الامام ، بينما يظل «اليهودي» كما هو .. ويظل إلهه كما هو .

وخلال الشتات اليهودي ، تهود اناس اكثر من غير اليهود ، وكانت الديانة الجديدة لا تحوّل المؤمنين الجدد الى التوحيد كما يدعى ، بل كانت تجعلهم مؤمنين برب خاص ، هو ربهم دون جميع

---

۱ ـ الكتاب المقدس : يشوع ، الاصحاح ۲۳ (۱۲ ، ۱۳) و۲٤ «۱۳» .

۲ ـ الكتاب المقدس : يشوع ، الاصحاح ۹ (۲۲ ، ۲۳ ، ۲۷) .

البشر ، وتجعلهم قبيلة منقبضة على ذاتها ، متنافرة مع من حولها .. انها كانت تقودهم الى «الغيتو» .

وعندما اخذت أسوار «الغيتو» تتهدم وتتلاشى في كل مكان، لاسيما في الشرق السوفياتي ، وفي الغرب الرأسمالي ، اخذ «اليهودي» الحريص على يهوديته ، المرتبط بها بأسباب ، يبحث عن «غيتو» اكبر .. فكانت دولة العصابات الصهيونية .

وما برحت الصهيونية تدعي بأنها تستهدف من قيام دولة «اسرائيل» توفير حياة طبيعية آمنة لليهود ، ولكن كيف يمكن ان توفر «اسرائيل» الامان لهم ، وهي تسلحهم وتضعهم امام محيط عربي زاخر ، وتجعل القتل والعدوان والتوسع شريعة لهم .

ان وضع اليهودي في فلسطين أعسر من وضعه في الشتات. فعندما كان اليهودي في «الشتات» كان مخيرا بين ان يظل يهوديا او يصبح مواطنا ، وهو في الحالتين يستطيع ان يعيش ويعمل الخ .. ولكنه في «اسرائيل» يقف امام خيار عسير . ان عليه ان يَقتل او يُقتل ، وبما انه محدود ومحصور وطارىء ، ويستفز قوى اكبر منه كثيرا فانه ، بحمله السلاح ، يقود نفسه الى المذبحة .

ووضعه هذا الذي خلقه بنفسه ، يدفعه اكثر فأكثر الى الاعتماد على قوى خارجية كبرى . ان هذه القوى هي التي سهلت له مهمة الوصول الى فلسطين واغتصابها والاحتفاظ بها حتى الان. ان إلهه اليوم ليس اسرائيل اياه ، انما هو الدولار . واعتماده على هذه القوى العدوانية الرجعية يجعله يقف نهائيا في صف «القوى السوداء» المتقهقرة من جهة ، ويقوده الى معاداة النهوض العربي من جهة اخرى .

لهذا يعلن قادة «اسرائيل» دائما بأنهم ضد كل تغيير في الوطن العربي . ولهذا يزداد الدعم الامريكي للكيان الصهيوني كل يوم . فقوة هذه الدولة الطارئة الغازية مرهونة بتفكك وطننا وضعفه .

ولقد اثبتت تجربة الدولة اليهودية ، من دخول بني اسرائيل

الى فلسطين ، حتى سقوط القدس ، واندثار المملكة اليهودية ان دولة اليهود ، على الرغم من سطوة إلهها وجبروته ، وحبه للبطش والدماء ، لا تستطيع ان تعيش حين توجد دولة كبرى في المنطقة. فعندما كانت دولة الفراعنة قوية كانت دولة اليهود صنيعة لها . وعندما كانت اية دولة تقوى في العراق كانت دولة اليهود تصبح صنيعة لها . . وكثيرا ما ضاعت دولة اليهود بين الولاء لهذه او تلك من دول مصر والعراق .

اما اليوم فوضعها اكثر تعقيدا . فلقد نشأت هذه الدولة في ظل حراب الامبريالية العالمية ، وما زالت الامبريالية تتعهدها وترعاها . ولما كان مستقبل الامبريالية معروفا ، فان مستقبل هذه الدولة يبدو معروفا ايضا . وهي لن تجد اليوم ما وجدته في الماضي : دولة في العراق تدعمها ضد دولة في مصر ، او عكس ذلك ؛ فليس في المنطقة من يجرؤ على دعمها ، حتى القوى السوداء السائرة الى الزوال والاندثار (٢) ، بينما بدأت حركة جبارة لتحقيق وحدة القوى المعادية للامبريالية وللصهيونية في هذه المنطقة من العالم .

ان قوى جبارة تنهض وتتقدم .

---

٣ ــ أثبتت الاحداث ان هناك سلطة في مصر تجرؤ على دعم دولة الكيان الصهيوني ، ضد كل الجماهير العربية .

٢ ــ طبيعة الكيان الصهيوني

يتسم المجتمع الصهيوني في فلسطين المحتلة بخصائص ثلاث:

الاولى : انه مجتمع مصطنع . صنعته الصهيونية العالمية بالتآمر مع الاستعمار البريطاني وفي ظل حرابه اولا ، ثم بحماية الامبريالية الامريكية ونفوذها ونقودها . والسمة الاولى لهذا المجتمع المصطنع ، انه يضم اشتاتا من الناس ، يتكلمون لغات مختلفة ، ولهم تقاليد وعادات مختلفة ، ولا علاقة قومية بينهم . انهم اشتات من شعوب شتى يجمعهم دين واحد فقط . فلا يمكن اعتبار اليهودي الالماني واليهودي اليمني من قومية واحدة . وما يجمع اليهودي الروسي بالمواطن الروسي اكثر واقوى مما يجمع اليهودي الروسي باليهودي الالماني . اليهودي الالماني الماني لولا دينه ، وهذا شأن اليهودي الروسي واليهودي الانجليزي واليهودي العربي .

وتبرز هذه الحقيقة على صعيدين :

١ ــ انثروبولوجي : فاليهود ليسوا أمة ولا حتى وحدة

أثنواوجية . وهذا ما يؤكده كثيرون من الذين تصدوا للموضوع . وقد كتب مؤلفو كتاب نحن الاوروبيون : «ان اليهود لا يمكن ان يصنفوا لا كأمة ولا حتى كوحدة اثنولوجية ، بل هم بالاحرى مجموعة اجتماعية ـ دينية تحمل قدرا كبيرا من عنصر البحر المتوسط والارميني وغيرهما كثير ، وتتفاوت كثيرا في الصفات الجسمية» . ثم يضيف هؤلاء «ان اليهود المحدثين ان لم يكونوا ارمينيين في الأعم الاغلب ، فانهم بالتأكيد يبدون من الصفات الارمينية اكثر مما يبدون من الصفات السامية ، وان النمط الجنسي الذي يميز طائفة السامريين ، وان كنا نلقاه بين اليهود المحدثين ، الا انه بالتأكيد نادر بينهم» (١) .

وهذا يؤكد حقيقتين ، الاولى : ان يهود اليوم ليسوا احفاد يهود فلسطين قوميا ، والثاني انهم اخلاط قومية . وقد لاحظ دالبي Dalby «ان هنالك كل الانواع والالوان بين اليهود : البيض والسمر والسود» (٢) ، «فثمة اليهود السود في الحبشة وجنوب الصحراء الكبرى ، واليهود الملونون في الهند ، بل والصفر احيانا في التركستان ، وأخيرا اليهود الشقر في اوروبا» (٣) .

٢ ـ قومي ثقافي : اذ ليس لليهود لغة واحدة او عادات وتقاليد واحدة . فالعبرية ليست لغة في الشتات ، واليديشية

---

١ ـ حمدان ، جمال : اليهود انثروبولوجيا ، دار الكاتب العربي القاهرة، الطبعة الاولى ، ص ٧٢ .

٢ ـ حمدان ، جمال ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

٣ ـ حمدان ، جمال ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

ويراجع بهذا الشأن كتاب :

L. Abrahm, The Jewish Question: A Marxist Interpretation. Editiones Pioneras - Mexico, D.F 1950 p. (203 - 206) .

ليست غير لغة قسم صغير منهم ؛ وليس لهم بالتالي ادب مشترك. وعلى الرغم من ان بعض التقاليد ما زالت تلازمهم ، فان هـــذه التقاليد ليست اكثر من تقاليد شيعة دينية . وقد اخذت هذه التقاليد تذوب وتضمحل مع انهيار جدران الفيتو ، واندمــــاج اليهود ــ اجتماعيا وثقافيا ــ مع الشعوب التي يعايشونها .

وانعكست هذه التناقضات في تكوين «اسرائيل» ، فمـــن اختلاف السحن الى اختلاف الثقافات ، ومن اختلاف اللغات الى اختلاف التقاليد . هذه التناقضات التي لاحظها مفكرون يهود مثل فريدمان ؛ وأشاروا اليها (٤) .

الثانية : انه مجتمع عدواني : فلقد قام هذا المجتمع بالقوة ، ولا يستطيع ان يستغني عن القوة في المحافظـــة على وجوده . فاليهود الذين تجمعوا في فلسطين منذ اوائل القرن التاسع عشر حتى سنة ١٩١٨ ، لم يزيدوا عن أقلية ضئيلة جدا بالقياس الى عدد سكان الوطن العربي ، ذلك انه لم يكن هنالك كيان سياسي اسمه فلسطين ، قبل الانتداب البريطاني . ولم يبلغ هؤلاء اليهود الذين منحتهم بريطانيا وعدا باقامة وطن قومي لهم عشرة بالمائة من سكان هذا الجزء من الوطن العربي الذي اقتطع ، وخططت حدوده بعد الاحتلال البريطاني ، لكي تقوم فيه دولة صهيون . ومنـــذ سنة ١٩١٨ ، وحتى سنة ١٩٤٧ ، وعلى الرغم من نشـــاط الصهيونية العالمية وتآمر الاستعمـــار البريطاني والامبرياليـــة الامريكية ، لم تزد نسبة الذين أدخلوا الى فلسطين من اليهود ، رغم مقاومة اهلها ، عن ٣٠ بالمئة من سكانها . ولم يستطع هؤلاء رغم كل الاساليب التي استخدموها ، والصهيونية العالمية تخطط

---

٤ ــ خليل احمد خليل : فريدمان ومصير اليهود ، دراسات عربيـــة ، السنة ٣ ، العدد ٨ ، ص ٢٣ .

لهم وتحفزهم وتمولهم ، ورغم كل الاساليب الماكرة التي استخدمتها السلطة البريطانية ، ان يملكوا اكثر من ٦ بالمئة من ارض فلسطين .

ولكن مؤامرة التقسيم سنة ١٩٤٧ ، والدعم الامبريالي هيئا لهذه الفئة القليلة الوافدة التي تملك القليل ، ان تبسط سلطانها سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ على حوالي ٨٠ بالمئة من ارض فلسطين، وتطرد حوالي مليون من سكانها ، وتستولي على املاكهم .

ومنذ قيام هذه الدولة ، وهي تؤكد على ألسنة قادتها انها لا بد لها من ان تتوسع ، وإلا فانها سوف تختنق . وبالاضافة الى ان الرقعة التي احتلتها سنة ١٩٤٨ لا تكفي لسد حاجات سكانها ، فانها لا تتسع لملايين اليهود الذين تفكر الصهيونية العالمية بحشدهم في فلسطين . ولهذا فان الدولة الصهيونية لم تكتف بمصادرة أراضي العرب الذين طردتهم من بيوتهم ، بل عملت بكل وسيلة على تجريد الذين ظلوا من املاكهم . وقد سنت القوانين اللازمة لذلك.

وبالاضافة الى ذلك ، فان الدولة الصهيونية لم تتورع عن ان تغتصب مياه نهر الاردن وتعلن عن مطامعها في مياه نهر الليطاني .

وجاء عدوان الخامس من حزيران ، واحتلال اراض جديدة دليلا جديدا على العدوانية والاتجاه نحو التوسع . وهو ما تؤكده خطابات القادة الصهيونيين وتصريحاتهم . يروى عن اشكول انه قال في خطاب له بنيويورك حين زارها في اوائل عام ١٩٦٩ : «لقد توسعنا وسنتوسع» . وهذه هي حقيقة الاستراتيجية الصهيونية .

لقد قام الكيان الصهيوني بالعدوان ، ولن يستطيع ان يتطور وأن ينمو الا بالعدوان . وهذا يقتضي ان يظل المجتمع الاسرائيلي مجتمعا عسكريا متماسكا ، وان يظل المجتمع العربي مجتمعا منحلا مفككا .

وتدل آخر الدراسات على ان نسبة العسكريين الى المدنيين في الكيان الصهيوني هي اعلى نسبة في العالم ، وهي تبلغ واحدا وعشرين ضعفا من مثيلتها في الوطن العربي . هذا من حيث العدد، وليس من حيث الكيف .

ويفرض هذا الوضع ان تقوم استراتيجيتها السياسية والعسكرية على ثلاث دعائم : القوة ، الردع ، التدمير . القوة ما تعتبره ضمان البقاء ، انها الوسيلة للمحافظة على الوجود . وتتمثل هذه القوة في ناحيتين الاولى: التعبئة العسكرية الكاملة للمجتمع. والثانية : امتلاك اكثر الاسلحة تدميرا واقدرها على تحقيق الهدف . والردع ــ لمواجهة القوى العربية النامية ، قبل ان تصبح قادرة على الهجوم . الردع هنا هجومي وليس دفاعيا . انه يستهدف استدراج الخصم لخوض معركة خاسرة . ولعل معركة سيناء سنة ١٩٥٦ وحرب السويس سنة ١٩٦٧ خير مثلين على نموذج الردع الاسرائيلي . أما التدمير فيستهدف تحقيق الهدف الاساسي لهذه الاستراتيجية ، وهو القضاء على قوى الخصم ــ تدمير اسلحته وقتل شبابه وتهجيره من المناطق الاستراتيجية .

الثالثة: ان «اسرائيل» كيان مرتبط بالامبريالية العالمية ارتباط مصلحة ومصير . ذلك ان الدولة الصهيونية التي نشأت بتدبير من الامبريالية ، لا تستطيع ان تبقى وتتطور الا بدعم الامبريالية ومساعدتها. ويحدد هذه العلاقة بين الكيان الصهيوني والامبريالية عاملان :

الاول : ان الامبريالية في عصر يقظة الشعوب ، وانفجار ثورات التحرر الوطني ، وفي عصر الانتقال الى الاشتراكية ، اصبحت بحاجة الى قوى محلية رادعة ، تتراوح بين الحكومات الرجعية العميلة ، وبين القوى الاجنبية الاستعمارية . وتمثل «اسرائيل» نموذجا مثاليا للقوة الاستعمارية الاجنبية الرادعة المدمرة . واذا عرفنا اهمية الشرق الاوسط الاستراتيجية والاقتصادية ، بالنسبة للامبريالية العالمية ، عرفنا اهمية الدور

الذي تلعبه الدولة الصهيونية .

الثاني : ان الكيان الصهيوني كيان صغير جغرافيا وبشريا ، وسط مجتمع عربي كبير زاخر بالقوى البشرية والاقتصادية . وبينما تظل امكانيات نمو الكيان الصهيوني بشريا وماديا محدودة، تظل الامكانيات العربية غير محدودة . و«اسرائيل» التي تعرف هذه الحقيقة حق المعرفة ، قررت ان تضع نفسها في خدمة قوة كبرى . ولقد اختارت الان الولايات المتحدة الاميركية لكي تكون مركزا اماميا من مراكزها .

ودور الكيان الصهيوني الان ينحصر فيما يلي :

١ ــ ابقاء الوطن العربي مجزأ ؛ والعمل على زيادة تجزئته ، باثارة النعرات الطائفية .

٢ ــ المحافظة على الاوضاع المتخلفة فيه ، بتأييد الرجعية ضد الحركة الوطنية . «فاسرائيل» مع حسين ضد الحركة الوطنية في الاردن ، ومع الامام البدر ضد الجمهوريين ، ومع فيصل ضد عبد الناصر الخ .. ومواقفها واضحة في هذه المجالات.

٣ ــ ضرب القوى النامية بالحملات العسكرية او التخريب او كليهما .

ان هذه الحقائق ليست اسرارا . وهنالك مصادر علنية تبينها وتكشفها . وأول هذه المراجع تصريحات القادة الصهيونيين انفسهم . اما ثاني هذه المصادر فهو تاريخ الحركة الصهيونية ، منذ المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ حتى اليوم . فمن محاولة الارتباط بالسلطان العثماني عبد الحميد الى الارتباط بالاستعمار البريطاني ، ثم الامبريالية الاميركية . ومن استعمال اساليب مضللة لاستعمار فلسطين ، الى القيام بحملات عسكرية سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ؛ غير منفصلة عن حملات الامبريالية العالمية للسيطرة على العالم . فلقد رافق هجوم سنة ١٩٥٦ اتجاه حركة التحرر العربية نحو الوحدةوالاستقلال وتصفية المصالح الاجنبية ؛ وكان من أبرز ما مثّل هذا الاتجاه عمليا: تصاعد

دور الجماهير الشعبية على مستوى الوطن العربي ، وبروز شعار الوحدة العربية ، وتأميم قناة السويس ، وكسر طوق الحصار المضروب على التسلح العربي ، وشراء اسلحة من الدول الاشتراكية . ورافق هجوم ١٩٦٧ : انحسار قوى الحركات الوطنية على صعيد العالم الثالث (سقوط حكم نكروما وسوكارنو)، واستشراس الامبريالية الاميركية في كل انحاء العالم ، وبروز حركة التحرير الوطني الفلسطيني حركة مسلحة تؤمن بالعمل المسلح طريقا للتحرير . ونجد ثالث هذه المصادر في تراث الماركسيين عامة واليهود منهم خاصة . ولن نعود الى تروتسكي ولينين فقد بيّنا مواقفهما ، كما انا بينا موقف هايمن ليفي . واذا كان ابراهيم ليون * معاديا للصهيونية ، فان ليفي مؤيدا لها ، وهو مع ذلك يعترف بارتباط «اسرائيل» اقتصاديا وسياسيا بالولايات المتحدة . وسأقدم هنا آراء بعض المنظمات الاسرائيلية في هذا الموضوع .

لنبدأ اولا ، بحزب المابام ، وهو حزب اسرائيلي كبير ، يدعي بأنه حزب ماركسي واشتراكي ، وان كان حزبا صهيونيا كما سنرى : يقول رئيس هذا الحزب ماير ياري : «ولقد عبرت مرارا — هنا في اسرائيل او خلال مقابلات عالمية — عن تحفظات المابام بصدد **ارتباطنا المفرط بالغرب** ، وكنت دائما ادعو الى اتباع سياسة حيادية» (٥) . اما الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، فانه يرى ان «دولته اداة بيد القوى الاستعمارية» (٦) . ويقول سميحا

---

* كاتب ماركسي تروتسكي ، مؤلف كتاب هام عن «المسألة اليهودية» اشرنا اليه سابقا .

٥ — مجموعة من الكتاب الاسرائيليين ، من الفكر الصهيوني المعاصر ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير — بيروت ١٩٦٧ ، ص ٢٩٢ .

٦ — المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

فلابان ، من حزب المابام بأن اسرائيل «ارتمت في أحضان القوى الامبريالية الملتحمة في صراع مع حركات التحرر الوطني العربي» وانها «انضمت الى المعسكر الامريكي . .» (٧) .

و«اسرائيل» هذه أداة في يد الامبريالية ، لا على نطاق الوطن العربي فحسب ، بل على نطاق آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية. ودورها على هذا الصعيد يتمثل بالقيام بدور الوساطة وتنفيذ المشاريع لمصلحة الاحتكارات .

---

٧ ــ المرجع السابق ، ص ٢٧٦ .

٣ ــ اليسار في الكيان الصهيوني

هنالك قضيتان في هذا المجال لا بد من التصدي لهما :

أولهما : معنى اليسارية ومضمونها ، وثانيهما : واقع اليسار في الكيان الصهيوني .

اولا : معنى اليسارية ، يعني اليسار اختيار خط التحـــرر والثورة ، خط العمال والكادحين والمضطهَدين طبقيا وقوميا ، انه خط الكفاح الوطني ضد الاستعمار الخارجي ، وخط الكفـــاح الطبقي ضد الطبقات المستغلَة . وتنطلق الماركسية في ميـــدان التحرر الوطني من مسلمة واضحة : «ان شعبا يضطهد غيره من الشعوب لا يكون حرا» . فماذا يكون وضع الكيان الصهيوني اذا طبقنا هذا المقياس عليه ؟ ان الكيان الصهيوني لم يضطهد بـــل استأصل ، ولم يستعمر بل استبـدل ! انه واضـــــح هنا ان «المستعمر» لا يستطيع ان يكون يساريا ، حتى ولو كان عاملا او فلاحا . والكيان الصهيوني فوق هذا ليس جماعات متفرقة من

المعمرين ، انه دولة استعمارية ، واقع استعماري (١) . فكيف يمكن ان ينبثق يسار من قلب هذا الواقع الاستعماري ؟

ان اليساري هو الذي يناضل من اجل تحرر أمة او طبقة من الاستعمار او الاضطهاد والاستغلال . والوضع في فلسطين جعل اليهودي ، كل يهودي ، مستعمِرا ومضطهِدا ومستغـلا ، لان البيت الذي يسكنه هو بيت انسان غيره ، ولان الارض التـي يفلحها ارض انسان آخر ... ولأن الانسان المطرود من بيتـه وأرضه ما زال يقف على بعد أميال منفيا مشردا جائعا . فاذا اراد اليهودي ان يكون يساريا وجب عليه ان يثور ضد احتلالـه واستعماره واضطهاده واستغلاله ، اي ضد نفسه . فهل يستطيع ان يفعل ذلك ؟ هذا هو الإشكال . لانه إما ان يفعل هذا فيكون يساريا حقا ، او يحمل السلاح ويقاتل اصحاب الارض والحق ، فيكون بذلك مستعمِرا ومضطهِدا ...

ولقد سجل تاريخ الهجرة الى فلسطين وقائع تستحق الانتباه هنا . ذلك ان بعض الشيوعيين اليهود الذين وفدوا الى فلسطين، بعد سنة ١٩٢٠ حلوا هذا التناقض بالهجرة منها ... ولقد قام بعضهم بتوزيع المناشير على المهاجريـن القادمين ، قائلين لهم : «عودوا من حيث جئتم ، فهذه ارض العرب» (٢) . فعلوا ذلك لانهم كانوا مخيرين بين ان يكونوا يساريين او استعماريين ، فاختاروا أن يكونوا من اليسار .

وان يكون الانسان يساريا في «اسرائيل» معناه ان يكون ضد «دولة اسرائيل» ، ضد الهجرة الصهيونية ، ضد استئصال شعب

١ ـ رودنسون ، مكسيم : اسرائيل واقع استعماري ، وزارة الثقافة ، دمشق .

2 — Laqueur, Walter: Nationalism and Communism in The Middle East.

فلسطين ؛ فمن الذي يستطيع ان يكون كذلك ؟

ثانيا : واقع اليسار في الكيان الصهيوني . ان احزاب الكيان الصهيوني جميعا ، بما فيها «الحزب الشيوعي الاسرائيلي» متفقة على اعتبار ان وجود الدولة الصهيونية امر لا جدال فيه ؛ وان كانت تختلف في أمرين : اولهما : وجودها ضمن اية حدود ، وثانيهما : وضع العرب ضمن هذه الحدود ، وعلاقة هذه الدولة بالجيران العرب وبالعالم .

وتصر كل الاحزاب ، بما فيه الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، على اعتبار حدود ما قبل الخامس من حزيران حدودا لا يمكن التراجع عنها ؛ وان كان معظم هذه الاحزاب لا يرى انها حدود نهائية ، بل يرى انه لا بد من التوسع . ولا نريد هنا ان نتحدث عن احزاب اليمين ، الدينية وغير الدينية ، بل نريد ان نتحدث عن الاحزاب التي تسمى احزاب اليسار ، وهي المباي والمابام والحزب الشيوعي الاسرائيلي وحركة القوى الجديدة ، حديثا موجزا جدا .

١ ــ المباي :

● نشأ هذا الحزب سنة ١٩٣٠ ، نتيجة اندماج حزبي العامل الفتى (هابوئيل هاتسعير) وحزب العمل الموحد (احدوت ها عفودا) . وكان أولهما لا يؤمن بالماركسية ، بينما كان الثاني يعتبر نفسه ماركسيا .

● تقوم ايديولوجية هذا الحزب على ضرورة حشد اليهود في فلسطين واقامة دولة يهودية ، تشمل اجزاء واسعة من المنطقة العربية ، تتجاوز حدود فلسطين التي رسمها الانتداب .

● قاد هذا الحزب النشاطات الصهيونية منذ سنة ١٩٣٣ ، حين سيطر على الوكالة اليهودية ، وأنشأ الهستدروت (اتحاد العمال اليهود) والهاجاناه (جيش الدفاع الاسرائيلي) ، وقاد معركة

سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ التي أدت الى تهجير العرب وقيام الكيان الصهيوني .

● ظل العمود الفقري للسلطة في الكيان الصهيوني ، منذ ذلك الحين ، وقاد كل الاعتداءات التي حدثت ، بما فيها عدوان سنة ١٩٥٦ وعدوان سنة ١٩٦٧ .

● ليس لديه برنامج اشتراكي .

● تقوم سياسته الخارجية على اساس التحالف مع الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة ، وعلى اساس متابعة سياسة العدوان والتوسع والسعي لفرض الاعتراف بالوضع القائم على العرب (٣).

٢ ـ المابام :

● حزب يدعي بأنه ماركسي لينيني .

● يعتبر الحزب الثاني في الكيان الصهيوني من حيث القوة.

● يطرح شعارات الكفاح الطبقي والحياد ، ويطالب بالمساواة في الحقول للعرب ، ولكنه يلح في الوقت ذاته على تقوية اجهزة الكيان الصهيوني الدفاعية (اي الهجومية العدوانية) لكي تكون قادرة على مواجهة اي هجوم عربي، وللانتقام من هجمات الحدود. وترفع جريدته اليومية الهامشمار (الحارس) شعار : «نحو الصهيونية والاشتراكية والصداقة بين الامم» .

● كان المابام مشتركا بوزارة بن غوريون التي خططت للهجوم على السويس سنة ١٩٥٦ ، وحين أجبر بن غوريون على قبول الانسحاب من سيناء وغزة نظم حزب المابام مظاهرات ضد الانسحاب .

● يختلف هذا الحزب مع الماباي حول الشعارات ، ولكنه

---

٣ ـ العابد ، ابراهيم : الماباي . مركز الابحاث ، منظمة التحرير .

ليس الا ظلا له عمليا .

● يلعب دورا هاما في الباس الصهيونية لبوسا اشتراكيا ، على النطاق العالمي ، ويقوم بدعاية واسعة في الاوساط الاشتراكية لمصلحة الكيان الصهيوني والصهيونية . ويصدر مجلة مكرسة لهذا الغرض تدعى (نيو اوت لوك) (٤) .

٣ ــ الحزب الشيوعي الاسرائيلي :

● حزب ضعيف له نائبان في البرلمان ، وقد باتت اكثرية قواعده من العرب ، بعد الانشقاق الذي حدث في صفوفه سنة ١٩٦٥ ، وانفصال قسم كبير من العناصر اليهودية التي اسست حزبا شيوعيا آخر .

● يتبنى الماركسية اللينينية نظريا ، ويتبنى النهج السوفياتي في المناظرة العالمية الدائرة بين الشيوعيين .

● كان يطالب بتنفيذ قرارات التقسيم لسنة ١٩٤٧ ، ولكن رئيسه نشر دراسة بعد حرب حزيران سنة ١٩٦٧ في مجلة «الازمنة الحديثة» ، دعا فيها الى تحويل حدود هدنة ما قبل الخامس من حزيران ، الى حدود ثابتة (٥) .

● يطالب الحزب بتحسين احوال العرب الذين ظلوا تحت الاحتلال الاسرائيلي ، ويشجب اعتداءات اسرائيل المتكررة ، ويدعو للصلح وللاعتراف «باسرائيل» على ان تعترف «اسرائيل» بحقوق عرب فلسطين القومية ، دون ان يوضح كيف يمكن ان لا تقع مثل هذه الدعوة في التناقض .

---

٤ ــ مجاعص ، لمياء جميل : المابام . مركز الابحاث ، منظمة التحرير .

٥ ــ مجموعة من المفكرين الاسرائيليين : من الفكر الصهيوني المعاصر ، مركز الابحاث ، ص ٢١٤ ــ ٢١٥ .

٤ ـ بعض التجمعات الصغيرة الجديدة :

● أهم هذه التجمعات «حركة القوى الجديدة» بزعامة أوري افنيري .

● نشأت هذه الحركة سنة ١٩٦٥ .

● ترى هذه المجموعة ان يهود العالم لا يشكلون امة .

● وتطالب بأن يفصل الدين عن الدولة .

● يجب ان يعقد صلح بين اسرائيل و«الامة الفلسطينية» .

● ترفض العودة الى حدود التقسيم لسنة ١٩٤٧ .

● تطالب بحقوق اللاجئين في العودة او التعويض ، على ان تتم العودة حسب ترتيب تضعه «اسرائيل» «وفق العوامل الاقتصادية والعسكرية» .

وتكشف لنا دراسة هذه الاحزاب حقيقتين :

الاولى : ان ما يسمى باحزاب اليسار ، وعلى راس القائمة حزبا الماباي والمابام ، ليس له علاقة باليسار ، لا من حيث النظرية ولا من حيث الواقع .

الثانية : الحزب الشيوعي ، وهو حزب اكثرية قواعده من العرب ، يزداد ضعفا في اوساط اليهود ، لانه يتجرأ على طرح شعارات تشجب العدوان الصهيوني ، وتطالب بالمساواة للاقلية العربية .

ولكن اذا كان الامر كذلك ، الا يوجد هنالك أمل بتطور يسار حقيقي ؟

ان هذا السؤال يعيدنا الى البدء لنطرح سؤالا آخر هو : هل هنالك من هو مستعد ان يثور ضد نفسه . انني أعتقد انه لا بد من ان يكون هنالك ، ولكن امكانية تحرك اليهود في الكيان الصهيوني ضد السياسة الصهيونية والوجود الصهيوني تزداد بمقدار ما يثبت المقاتلون العرب فشل الصهيونية عسكريا وسياسيا .

٤ ـ موقف سليم من الغزو

ان الحركة الثورية العربية مطالبة بتحديد موقف من الصهيونية دون تردد ، فكيف يجب ان يكون هذا الموقف ؟

ان هذا الموقف يجب ان يكون : القضاء على دولة العصابات الصهيونية وإنهاء كيانها . وهذا هو الموقف السليم الوحيد . وان اي تردد او خشية لا يخدم السلام ، بل يخدم القوة والاغتصاب ، ولا يصون الدم بل يؤدي الى مزيد من اهراق الدماء . واذا كان هذا العصر عصر الثورة على الالحاق والاستعمار والاستغلال ، فمن باب أولي ان يكون عصر الثورة على ما هو أبشع من الالحاق والاستعمار والاستغلال ... ان يكون عصر ثورة على الاحلال والاستئصال .

ان الغزوة الصهيونية لفلسطين ، التي تمت بتدبير من الامبريالية العالمية ، لا تختلف عن الغزوات البربرية التي عرفها التاريخ ؛ وهي أشبه ما تكون بهجرات الشعوب البدائية ، وأقرب ما تكون في أبعادها ودلالاتها الى الغزوة الصليبية . فما الفرق بين

حشود الصهيونيين التي جاءت فلسطين لتقيم مملكة «اسرائيل»، وحشود النصارى الذين جاءوا ليقيموا دولة الصليب في البلاد المقدسة ؟

وهل يجوز ان يبرر الانتصار الاولي للغزو عملية الغزو ذاتها ؟

ان الذين يطالبون العرب بقبول الكيان الصهيوني ، يتجاهلون انهم يشاركون في دعم أوسع وأبشع غزوة بربرية عرفها التاريخ الحديث .

فاذا كان هؤلاء من المعسكر الامبريالي ربطنا بين موقفهم ومصالحهم ، أما اذا كانوا من المعسكر الاشتراكي حرنا في الاستدلال على سبب لموقفهم . ولا يلبث ان يتضح لنا انهم في مثل هذا الموقف يغلّبون المساومة على المبدأ ، ومنهم المحرف الذي يستخدم المبادىء لاغراض بعيدة عنها . فالماركسية اللينينية ضد الالحاق ، واكثر ماركسيي اليوم مع «الاحلال» . والماركسية اللينينية تعتبر مبدأ حق تقرير المصير من مبادئها في معالجة القضايا القومية ، ولكن مبدأ حق تقرير المصير ينكر على العرب، وهم الشعب صاحب الحق به ، بينما لا ينكر على العصابات الصهيونية الغازية . وماركسيو اليوم يتحدثون عن القضاء على نفوذ الامبريالية وقواعدها العسكرية ، ولكنهم يتجاهلون اكبر «قاعدة عسكرية مأهولة» في العالم : «دولة اسرائيل» .

واذا كان عهد الاستعمار قد انقضى ، واذا كانت الامبريالية تسير نحو التلاشي والزوال ، واذا كانت الشعوب مطالبة بإنهاء كل أشكال السيطرة الاجنبية ، فلماذا يطلب من العرب دون شعوب الارض ان يقبلوا قاعدة عسكرية كبيرة مأهولة ، لا يمكن ان تعيش الا بالتوسع والعدوان ؟

ولماذا كافح الشيوعيون الفرنسيون والسوفيات الغزو العسكري النازي ، ويكافح الفيتناميون اليوم الغزو الامريكي اذا كانت مكافحة الغزو ليست واجبا وطنيا ؟!..

ان الشيوعيين الفرنسيين ما زالوا يفتخرون بالدور الباسل

البطولي الذي لعبوه في مقاومة الغزو الهتلري ، ولكن هؤلاء الرفاق انفسهم يطالبوننا اليوم بمسالمة غزو ابشع من الغزو الهتلري ، دون ان يسائلوا انفسهم كيف يمكن ان يفعلوا ذلك دون ان تحمر وجوههم خجلا ...

اما الشيوعيون العرب ، فان موقفهم اكثر مدعاة للاستغراب والدهشة . فلقد رفعوا شعار السلم بدل ان يرفعوا شعار المقاومة . وبينما طالبوا العربي ان يدعم السوفياتي والالماني والانجليزي ضد النازي والفاشي ، طلبوا منه ان يتآخى مع الغازي الصهيوني ايضا . وعندما انقض الغازي الصهيوني يحتل ويقتل ويدمر ، لم يرفعوا شعار الوقوف في وجهه ، بل رفعوا شعار مقاومة محاربته . وحين نشبت الحرب الكورية كان الشيوعي العربي يطلب من العربي ان يقاتل ضد المستعمر الامريكي في كورية ، ولكنه طلب منه ايضا ان يدير خده الايسر للغاصب الصهيوني ..

وما زال الشيوعيون العرب يتهربون من اتخاذ موقف واضح حاسم . وهم ـ حتى عندما يعلنون شجبهم الصهيونية، واعتبارهم «اسرائيل» قاعدة عدوانية ـ لا يسمحون لانفسهم باعلان النتيجة الحاسمة : القضاء على القاعدة العسكرية العدوانية . انهم ما زالوا يميلون الى التفريق بين الصهيوني واليهودي ، أي بين بن غوريون والعامل الصهيوني الذي يؤيده . ومع ان طبيعة تكوين الحزب الشيوعي «الاسرائيلي» تدل على ان يهود الكيان الصهيوني ما زالوا على غير استعداد لان يتحولوا عن صهيونيتهم ، فما زال الشيوعيون العرب يعتمدون هذا التفريق في موقفهم . ويبدو هذا واضحا في الاشارة التي وردت عن «اسرائيل» في مقال اخير للامين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني فؤاد نصار . ان فؤاد نصار في اشارته والموجزة جدا ، على عكس المقال (الايجاز هنا مقصود لان بحث الموضوع مفصلا يقود الى الحرج) يذكر «اسرائيل» وكأنه يذكر البرتغال او اسبانيا او المانيا الغربية

مثلا .. ذلك انها «اصبحت» «تلعب دور المركز الامامـــي» «في الاستراتيجية الامبريالية الموجهة ضد» البلدان العربية ... وقد «حوّلها قادتها الى خزين للاسلحة» ... «اصبحت» هذه تــدل على انها لم تكن يوما كذلك . وهي لم تكن كذلك في نظر فــؤاد نصار منذ سنة ١٩٤٧ ، كما تدل مواقفه ومواقف الحزب الشيوعي الاردني ، واذا كانت اصبحت ، كما اصبحت فرموزا ، خزينـــا للاسلحة ، فما الذي يمنع ان تتحول عن هذه السياسة ما دام الامر يتعلق بقادتها فقط ؟ (١) .

ان الشيوعي العربي مطالب اليوم اكثر من اي وقت مضى ، ان يعلن بأعلى صوته بأنه ضد الغزو .. وانه يعمل لمحاربتـــه والقضاء عليه ، والا فانه لن يكون عربيا ولا شيوعيا . نحن الان في مرحلة مخاض المقاومة الحاسمة ، وهذه المقاومة لا تحتمل التردد والمساومة .

ربما كان الشيوعي العربي يخشى تهمة النازية والفاشية ان تلصق به ، كما الصقت بغيره ممن لم ينساقوا مع الموجة الصهيونية التي تحكمت بالاحزاب الشيوعية في الوطن العربي والغرب ، او انساقوا ولكنهم ارادوا ان يتحفظوا . وهو موقف في الواقع لا يحسد عليه . فبـــدلا من ان يفضـــح الشيوعيين الصهيونيين الفاشست اصبح يخشى هجماتهم ، حتى بات يدافع عما كان يجب ان يقاومه .

والشيوعي العربي عندما يفعل ذلك ، عندما يقاوم الصهيونية: دولة غازية في فلسطين ، واتجاها سياسيا استسلاميا فـــي الاحزاب الشيوعية ، فهو لا يقوم بواجبه الوطني فحسب ، انــه يقوم ايضا بواجبه في محاربة الامبريالية ، وارساء المضمـــون

---

١ ـ نصار ، فؤاد : حركة التحرر الوطني في البلاد العربية ، مجلــة المبادىء العدد ٩ ، سبتمبر ـ ايلول ـ ١٩٦٦ ، ص ١٥ .

الصحيح الثوري الاممية : مقاومة كل غزو وكل احلال وكل استعمار .

اننا نملك من الجرأة ما يجعلنا قادرين على ان نصيح بأعلى أصواتنا : نحن ضد الغزو ؛ ولسوف نفعل كل ما نستطيع لمقاومته وسحقه . لن نتردد لحظة واحدة في هذا الموضوع . وسنفضح المترددين والخائفين والمنحرفين . سنكون من الان فصاعدا أشد وطأة عليهم من ماركس على لاسال ، ومن لينين على كاوتسكي والبوند . ونحن عندما نفعل ذلك لا نفعله من أجل مقاومة الشيوعية ، بل نفعله من اجل انتصار الثورة ؛ وانتصار الافكار الثورية الصحيحة ، والقيم الثورية الناصعة .

هذا هو موقفنا ، ولسوف يبقى هكذا ، حتى لو تحولت «اسرائيل» الصهيونية الرجعية الى بلد اشتراكي ، مع ان هذا يبدو غريبا وبعيدا . ان موقفنا لن يتغير لاننا يجب الا نتهاون مع الغزاة ، حتى ولو لبسوا لبوس الاشتراكية . ولا ادري ما هي الاشتراكية التي تسمح للصوص والقتلة والسماسرة والسائرين في ركابهم ببناء دولة على حساب آخرين . واذا كنا مطالبين بشيء ، فاننا مطالبون بالدفاع عن المشردين ، لا بالدفاع عن الغزاة .

خاتمـــة

أنجز هذا الكتاب قبل الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ . ولقد جاءت أحداث الخامس من حزيران لتطرح قضية الموقـــف الماركسي من الكيان الصهيوني والصهيونية مجددا .

وبما ان هنالك مواقف مختلفة في الحركة الماركسية العالمية، فلا بد لنا من ان نتحدث عن كل فئة على انفراد ، حديثا موجزا .

أ ـ الاتحاد السوفياتي والاحزاب والدول المنسجمـة معه ، ويركز هذا التحالف على ما يلي :

١ ـ حق الكيان الصهيوني في البقاء . وقد اكد كوسيجين ذلك في خطابه في الامم المتحدة قائلا : «وقد يسأل سائل لمـــاذا يقف الاتحاد السوفياتي ضد «اسرائيل» بمثل هذا الحزم ؟ كـــلا ايها السادة لا يقف الاتحاد السوفياتي ضد «اسرائيل» ، بل ضد السياسة العدوانية التي تنتهجها الاوساط الحاكمة لهذه الدولة . وان الاتحاد السوفياتي طيلة الاعوام الخمسين من تاريخه ، يكن الاحترام لكل الشعوب كبيرها وصغيرها . ولكل شعب الحق في تأسيس دولته الوطنية المستقلة . وهذا مـــن المبادىء الاساسية

لسياسة الاتحاد السوفياتي .

ولقد حددنا ، انطلاقا من هذا بالذات ، موقفنا من «اسرائيل» كدولة ، وصوتنا في عام ١٩٤٧ الى جانب قرار هيئة الامم المتحدة ، بقيام دولتين مستقلتين عربية ويهودية في اراضي فلسطين التي كانت مستعمرة بريطانية . واقام الاتحاد السوفياتي بعد ذلك علاقاته الدبلوماسية مع «اسرائيل» ، اهتداء منه بذلك الموقف المبدئي» (١) . واكد رئيس الحزب الشيوعي الاميركي هذه الحقيقة في الخطاب الذي القاه في دلهي ، في المؤتمر الذي عقدته جمعيات انصار السلم لنصرة العرب (٢) .

ان هذه الفئة من الدول والاحزاب الشيوعية تصر على هذا الموقف ، وترفض اية مناقشة للوجود الصهيوني في فلسطين .

٢ ــ شجب العدوان ، ومطالبة الكيان الصهيوني بالانسحاب، والاعلان عن الاستعداد لدعم العرب .

٣ ــ تحريم الصهيونية وربطها بالامبريالية العالمية ، والفصل بينها وبين الكيان الصهيوني (٣) .

---

١ ــ نشر نص الخطاب في جريدة الاخبار ، بيروت ٢٥ حزيران ١٩٦٧ ، العدد ١٧٢ .

٢ ــ المرجع السابق .

٣ ــ تراجع بهذا الشأن الدراسات التالية :

Kudryvatsev V., The Middle East Knot p. 29 International Affairs, 9, 1967 Moscow.

Ivanov K., Israel, Zionism and International Imperialism. p. 13, International Affairs, 6, 1968 Moscow.

Astakhov S. , More About The Secret Springs of The Israeli Aggression, p. 33 International Affairs, 10 , 1967 .

٤ ـ الدعوة لحل سلمي ، ينهي حالة الصراع بين العـــرب والكيان الصهيوني . وقد تمثل هذا الحل بالمشروع البريطانـــي الذي أقره مجلس الامن ، ونال موافقة القادة السوفيات ورضاهم . ولقد جاء المشروع السوفياتي استمرارا لهذه المساعي السلمية .

ولكن داخل هذا المعسكر اتجاهات ثانوية اخرى . فهنالـــك مثلا رومانية التي رفضت قطع العلاقات مع الكيـــان الصهيوني ، وتبنت وجهة النظر الصهيونية بضرورة اجراء مفاوضات مباشرة مع الكيان الصهيوني . وهنالك المانية الديمقراطية التي تبدو اكثر ميلا لمعاداة الكيان الصهيوني لاسباب عديدة ليس هنا مجال شرحها .

ولا شك ان الموقف السوفياتي ، وموقف الدول والاحزاب المنسجمة معه ، يكرس شرعية الوجود الصهيوني القائم علـــى الاغتصاب والمرتبط بالامبريالية . ان كوسيجين اشار في خطابه في الامم المتحدة الى السياسة الاغتصابية التي تنتهجها «اسرائيل» منذ سنة ١٩٤٨ . ان كوسيجين يجيب على السؤال التالي : «وما هي السياسة التي تتبعها دولة اسرائيل» قائلا : «بكل اســـف انتهجت الاوساط الحاكمة في اسرائيل طوال فترة طويلة مـــن تاريخ قيام هذه الدولة ، سياسة الالحاق والاغتصاب ، وتوسيع اراضيها على حساب اراضي الدول العربية المجاورة ، بطردها ، وحتى إبادتها السكان العرب . وهذا ما حـــدث خلال ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ عندما استولت «اسرائيل» بالقوة على جزء كبير من اراضي الدولة العربية التي تقرر قيامها بقرار من هيئة الامم المتحدة . وطرد حوالي مليون شخص من ديارهم ، وجعلوا عرضة للجـــوع والآلام والبؤس» .

وبعد ان يشير كوسيجين الى عدوان سنة ١٩٥٦ ، والـــى الاعتداءات المتكررة فيما بعد يقول :

«وكما نرى فان الحرب العدوانية التي شنتها «اسرائيل» على الاقطار العربية ، هي استمرار مباشر للسياسة التي فرضتهـــا

الاوساط الحاكمة المتطرفة على بلادها طوال مدة وجود الدولة الاسرائيلية» (٤) .

ان كوسيجين بعد هذا كله لا يربط بين الوجود الصهيوني القائم على الاغتصاب وبين العدوان ، وهو يطالب بتكريس «اسرائيل» ما قبل عدوان حزيران ، ويبحث عن حل لمشكلة اللاجئين ، لانها تسبب التوتر في المنطقة .

ان هذا الموقف السوفياتي ، وهو موقف احزاب ودول ، ذات قدرة ومكانة وامكانيات ، يقف عائقا بين المقاومة العربية واستقطاب قوى تقدمية كبيرة في مختلف انحاء العالم . لان تأييد الحل السلمي ، والقبول ببقاء «اسرائيل» يحرم المقاومة في فلسطين من مبررات التأييد لدى قطاعات واسعة من الرأي العام التقدمي . وان كان لا بد من القول ان شجب الاتحاد السوفياتي للعدوان ، وتركيزه على ارتباط «اسرائيل» بالامبريالية ، يلعب دورا هاما في خدمة النضال العربي .

ب ـ الصين والاحزاب الشيوعية الملتقية معها . ويركز هذا التحالف على ما يلي :

١ ـ عدم الاعتراف بشرعية وجود الكيان الصهيوني ؛ وبالتالي تأييد تصفية الكيان الصهيوني (٥) .

٢ ـ دعم حركة المقاومة ، ورفض الحلول السلمية .

وتنبع اهمية الموقف الصيني ، من انه دفع كل الاحزاب والجماعات الملتقية مع الصين في العالم ، بما في ذلك اوروبا ، الى تأييد المقاومة العربية في فلسطين .

ج ـ كوبا وفياتنام وكورية ، وتركز هذه الدول على ما يلي :

---

٤ ـ خطاب كوسيجين ، المرجع السابق .

٥ ـ انظر مقررات مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا ، بكين ، ٢٧ حزيران ـ ١٠ تموز ١٩٦٦ .

١ ـ شجب العدوان .
٢ ـ دعم المقاومة .

ويزداد الموقف الكوبي كل يوم وضوحا . ومن المتوقع ان يزداد الموقف الفياتنامي وضوحا بعد الانتصار . ان الجنرال جياب يشير الى حرب حزيران اشارة سريعة في احدى مقالاته، ولكنها اشارة واضحة . فهو يعتبر ان : «الانتصارات المؤقتة للامبرياليين الاميركان والمرتزقة الاسرائيليين باتت اخطاء استراتيجية خاصة لهم ، وهي تسبب لهم مصاعب متزايدة الحجم في كل الميادين» (٦) .

د ـ الاحزاب الشيوعية العربية ، والاحزاب الشيوعية العربية فئتان : الاولى ، تمثل الخط السوفياتي ، والثانية تمثل الخط الصيني ، وهي ضئيلة الحجم نسبيا (٧) .

اما الاحزاب الاولى ، فمواقفها بعد الخامس من حزيران ، استمرار لمواقفها قبل الخامس من حزيران . وهي الان تركز على ما يلي :

١ ـ فضح العدوان الصهيوني وارتباطه بالامبريالية .
٢ ـ الدعوة للحل السلمي والدعوة للمرونة والتعقل .

وقد مر وقت ، بعد العدوان مباشرة ، أكد فيه بعض هذه الاحزاب على ان الامم المتحدة هي القادرة على حل المشكلة (٨) .

---

٦ ـ جياب ، فونجوين : نصر كبير ومهمة عظيمة ، دار الطليعة ـ بيروت، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧ .

٧ ـ اندثرت هذه الاحزاب ، وظل هناك مجموعات «ماركسية» مضطربة ، وضئيلة الحجم والفعل .

٨ ـ مصطفى ، ابراهيم : العدوان الاسرائيلي الامبريالي ، الطريق ، العدد الثالث ـ آب ـ ١٩٦٧ ، ص (٢ ـ ٩) ونشرت الدراسة في جريدة الاخبار .

وقد ركزت صحف الحزب الشيوعي اللبناني على تأييد المشروع البريطاني ، واعتباره خطوة ايجابية في طريق الحل السياسي للمشكلة الفلسطينية .

٣ ـ اتهام المقاومة بالمغامرة . وقد ورد هذا الاتهام اكثر من مرة ، في بيانات وتعليقات للاحزاب الشيوعية العربية كان آخرها بيانا صادرا عن الاحزاب الشيوعية والعمالية مجتمعة (٩).

ومن الاحزاب الشيوعية التي تشذ عن هذا الخط الحزب الشيوعي المغربي ، الذي يؤيد حركة التحرير ، ويدعم مطلب تصفية الوجود الصهيوني (١٠) . ويقف ممثلو هذا الحزب مواقف باسلة في المؤتمرات الدولية .

ولكن أخطر ما في مواقف الاحزاب الشيوعية العربية انها تستخدم لغتين ، أولهما للصحف والبيانات ، وهي لغة مرنة وحذرة ، وان كانت واضحة مكشوفة ، والثانية لغة الحديث العادي . واذا كانت اللغة الاولى المعروفة خاطئة ، فان الثانية اكثر امعانا في الخطأ . انها تدعو الى الصلح ، وتشكك بامكانيات العرب جماهيرا ودولا على القتال والنصر .

ومع ان الاحزاب الشيوعية صغيرة ومعزولة ؛ فان هذا الاتجاه يزيدها ضآلة وعزلة ... وقد بدأت العناصر الطيبة في قواعدها تتململ ضد اصرار القيادات على مواقفها المعروفة من قضية فلسطين .

وتجب الاشارة الى ان الحزب الشيوعي اللبناني قد قام بنقد مواقفه من القضية الفلسطينية ، خلال الخمس وعشرين سنة

---

٩ ـ الاخبار والنداء ، ٤ـ٨ـ١٩٦٨ .

١٠ ـ بيان الحزب الشيوعي المغربي يوم ٥ـ٦ـ١٩٦٧ .

الماضية ✶ .

ان الماركسية ، من حيث هي عقيدة ، تمر باختبار عسير في فلسطين ، يتعلق بموقفها من قوى الثورة وقوى الثورة المضادة من جهة ، وبقدرتها على الحسم في مواضيع اساسية مثل حق تقرير المصير ، واستعباد شعب لشعب آخر . والماركسيون مطالبون بالوقوف الى جانب قوى الثورة . ان عليهم ان يحسموا بسرعة ، فالزمن لا ينتظر احدا .

هذا الوجه النظري وجه واحد من وجوه المشكلة . اما الوجه الآخر ، فهو الوجه العملي : انه التكتيكات التي تتبعها اية حركة في سبيل تحقيق مصالح معينة . والموقف السوفياتي ، مثلا ، من قضية فلسطين ، ليس موقفا نظريا فحسب ، ولا يخضع في النهاية للتحليلات ، بل يخضع لظروف السياسة العالمية ومشاكلها.

وهنالك عوامل ضاغطة تؤثر في اتجاه السياسة السوفياتية اهمها :

اولا : النهج الذي تنتهجه السياسة السوفياتية عالميا . وهو نهج توفيقي يسعى الى حل المشاكل حلولا وسطا ، وعلى موائد المفاوضات ، او في اروقة الامم المتحدة .

ثانيا : الصراع الاميركي ـ السوفياتي عالميا ، وهو صراع حوّل العالم الى مناطق محددة ، ضمن اطار توازن شبه ثابت .

ثالثا : قدرة الصهيونية العالمية على اثارة المشاكل داخل البلدان الاشتراكية ، وقدرتها على اثارة حملات مضللة ومسممة ضد الاتحاد السوفياتي ، لسيطرتها ، او لوجود نفوذ لها في كثير من اجهزة الاعلام في الغرب ، بالتحالف ، مع الامبريالية العالمية، العدوة الرئيسية للاتحاد السوفياتي وسائر البلدان الاشتراكية.

✶ يراجع التقرير ، خمسة وعشرون عاما من تاريخ الحزب اللبناني ، دراسات عربية ، العدد ٤ ، السنة الخامسة ، دراسة عن نفس التقرير .

وهنالك دول مثل كوبا او فياتنام ، لا تقوم سياستها الخارجية على اساس نهج اصلاحي ، ولا تخشى قدرة الصهيونية العالمية على اثارة مشاكل في الداخل ، ولكنها تتعرض لضغوط عالمية ، حين تتخذ موقفا ثوريا من قضية فلسطين . فهذان البلدان مثلا يحتاجان الى مساندة من اليسار عامة واليسار الاوروبي خاصة. وبما ان معظم قوى اليسار الاوروبي واقعة تحت النفوذ الصهيوني، فان اتخاذ موقف من هذا النوع سيكلف هاتين الدولتين ثمنا غاليا . . ولقد اضطرت كوبا، لان تحذف اية اشارة تتعلق بفلسطين في البيان النهائي لمؤتمر مثقفي العالم ، بسبب ضغط بعض الاشتراكيين والصهاينة الاوروبيين . مع ان كوبا ، كما ذكرت ، تؤيد المقاومة في فلسطين .

ان هذه العوامل الضاغطة ، مهما كان وزنها ، يجب الا تتمكن من توجيه الفكر السياسي ، وإلا تحوله الى فكر تابع انتهازي . وليست الماركسية كذلك .

***

ولا بد لي ، في الختام ، من بعض ملاحظات :

الاولى : ان هذا النقد الموجه لبعض قطاعات الماركسية لا ينطلق من مواقع عداء للماركسية وللشيوعية ، او لبعض الدول الاشتراكية . فليس بين شعبنا والدول الشيوعية او الماركسية اي تناقض رئيسي . ان المعركة الاساسية هي معركتنا مع الامبريالية العالمية وحليفتها الصهيونية ، والماركسيون حلفاء في هذه المعركة . ولذلك فالنقد يستهدف ازالة سوء فهم حدث ، وتصحيح خطأ ارتكبته بعض الدول الاشتراكية ، ازاء قضيتنا وشعبنا . وبما ان هذا الخطأ الاستراتيجي والتكتيكي يؤثر في وجودنا ، ويترك آثاره في مجمل المعركة العالمية مع الامبريالية،

فقد كان لا بد ان يكشف وينقد . ويجب ان يفهم النقد ضمن هذا الاطار . انني أحس ان من واجبي ، باعتباري وطنيا مؤمنا بالتحالف مع الشيوعية ضد الامبريالية العالمية ، ان اخاطب الشيوعيين مباشرة خطابا وديا وقاسيا في آن معا . وانا اخاطبهم لانني أعتقد بأن ما يبعدهم عني ليس مصالح متناقضة ، ولا عداء طبقيا ، ولا احتلالا اجنبيا . . . ولو كان بيني وبينهم شيء من ذلك، لما كان هنالك حاجة لغير السلاح .

الثانية : ان هذا النقد يتجه الى التصحيح لا الى التهديم ، والى الافهام لا الى المهاترة . ذلك ان الغرض من النقد كله ينحصر في محاولة اقناع القطاعات الماركسية المختلفة ، بأن الصهيونية فصيلة من فصائل الامبريالية ، وبأن «اسرائيل» قاعدة من قواعدها ، وبأن النضال ضد الصهيونية و«اسرائيل» جزء من معركة التحرر العالمية ضد الامبريالية والعنصرية والكولونيالية بكل اشكالها . وهو لا يستهدف ، بأية حال ، دخول اية معركة من المعارك النظرية الدائرة حول الماركسية او داخل أروقتها .

الثالثة : ان الجمود الذي يبدو في اتجاهات مدرسة من المدارس الماركسية او اخرى ، يجب الا يعني يأسنا من قدرة الماركسية والدول الاشتراكية على التطور والتفهم . ان كل القوى الماركسية الطالعة ، رسمية وغير رسمية ، ابتداء من الصين وانتهاء بالجماعات الماركسية التي لا يحس بها احد ، قد ادركت أبعاد المسألة العربية في فلسطين ، او هي تبدي تقدما يوميا في ادراك أبعادها . وهذا يعني اننا يجب الا نتوجه الى هؤلاء الذين لم يفهمونا فقط ، بل يجب ان نتوجه الى هؤلاء الذين ثبت انهم يفهموننا ايضا ، او هؤلاء الذين ثبت انهم ماضون قدما في عملية التفهم . فهذه القوى التي لا بد من ان نتوجه اليها قوى هائلة ماديا ومعنويا ، وهي تملك بيديها نفوذا معنويا واسعا في كل الاوساط التقدمية العالمية . ومما لا شك فيه ان كسب هذه القوى والتعاون معها سبيل شعبنا الى كسب جماهير واسعة في

العالم . وربما كان وسيلة ناجعة لتصحيح خطأ القطاعات الاخرى من الماركسية .

***

ان المقاومة التي كانت مخاضا ، عند كتابـــة هذا الكتاب ، اصبحت اليوم حركة مسلحة ، تستقطب تأييد كل الجماهير في فلسطين والبلاد العربية .. ولن يكون ماركسيا من يقف خارج حركة المقاومة .

الفهرس

مقدمة الطبعة الثالثة ٥
مقدمة الطبعة الاولى ١٨

اليهود ليسوا أمة : (١٨٤٤ ـ ١٩٤٧) ٢١

تمهيد ٢٢
١ ـ ماركس والمسألة اليهودية ٢٣
٢ ـ لينين والمسألة اليهودية ٣١
٣ ـ موقف الاممية الثالثة ٤٤
٤ ـ تروتسكي : ضد الانفصالية اليهودية ٥٨
٥ ـ ستالين : لا امة يهودية ٦٠
٦ ـ توطين اليهود في "بيرابدزان" ٧١
٧ ـ موقف الحركة الشيوعية في فلسطين ٨٦
ملحق ١٣٨

٨ ــ تقييم ١٤١

اليهود يصبحون أمة : (١٩٤٨ ــ ١٩٦٧) ١٤٥

١ ــ الاتحاد السوفياتي و«اسرائيل» ١٤٦
٢ ــ يهود الاتحاد السوفياتي بعد سنة ١٩٤٨ ١٥٣
٣ ــ الهجرة من الاتحاد السوفياتي الى الكيان الصهيوني ١٥٧
٤ ــ بيرا بدزان ثانية ١٧٥
٥ ــ اليهود في كتابين سوفياتيين ١٧٩
٦ ــ نظرة شيوعية اوروبية الى اليهود والمسألة القومية ١٨٣
٧ ــ ماركس والشعوب الرجعية ١٩٠
٨ ــ موقف الشيوعيين العرب ١٩٢

الموقف من الصهيونية والغزو ٢٠١

١ ــ اليهودي قديما وحديثا ٢٠٢
٢ ــ طبيعة الكيان الصهيوني ٢٠٦
٣ ــ اليسار في الكيان الصهيوني ٢١٤
٤ ــ موقف سليم من الغزو ٢٢٠
خاتمة ٢٢٥

كتب صادرة عن دار الطليعة

حول القضية الفلسطينية
وحول الصهيونية والمسألة اليهودية

المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨)
(طبعة ثالثة) ناجي علوش

الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ـ١٩٤٨
(طبعة ثانية) ناجي علوش

المسيرة الى فلسطين
ناجي علوش

فلسطين والخطر المصيري

هنري ابو خاطر

تاريخ الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ــ ١٩٤٧

(طبعة ثانية) الن تايلر

المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية

بديعة امين

المفهوم المادي للمسألة اليهودية

(طبعة ثانية) ابراهام ليون

حوار في ظل البنادق : التاريخ والامة والطبقة والتجمع الصهيوني

محجوب عمر

الصهيونية : نظرية وممارسة

مجموعة من المؤلفين السوفييت

اليهود السوفييت يدلون باعترافاتهم

وثائق وضع المهاجرين في فلسطين

أمجاد اسرائيل على ارض فلسطين

د. جورجي كنعان

ملحمة القيد والحرية : عالم اسرى المقاومة الفلسطينية في سجون العدو الاسرائيلي

عدنان جابر

هذا الكتاب

□ صدر هذا الكتاب اول مرة سنة ١٩٦٩ ثم اعيد طبعه ثانية وها هو يصدر للمرة الثالثة وقد اعيدت صياغته بصورة جذرية وتم تطوير بعض فصولـه عـلى ضوء المتغيرات والمستجدات في فترة العشر سنوات الماضية .

يطمح مؤلف الكتاب الى طرح اكثر من قضية هامة :

١ـ الماركسية وموقفها من اليهودية، ومن ثم بالصهيونية .

٢ـ الماركسية وموقفها من الكيان الصهيوني .

٣ـ الموقف العربي العلمي والثوري من الحركة الصهيونية والكيان الصهيوني ، الخ . . .

□ ولهذه الغاية ، يدرس مؤلفنا موقف الماركسية من الحـركة الصهيونية ابتداء بكـارل ماركس وانتهاء بماركسيي اليوم ، ويُحلل الكـيان الصهيوني في بنيته ومقوماته وسياساته تحليلاً ماركسياً ... في مسعى جـلي وجريء الى تحديد جبهة الاصدقاء والحلفاء ، وجبهة الاعداء بدقة ووعي ، بعيداً عن التشنج والمواقف الطفولية أو الخيالية .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت